الفيوضات الربانية

من أنفاس السادة العلوية

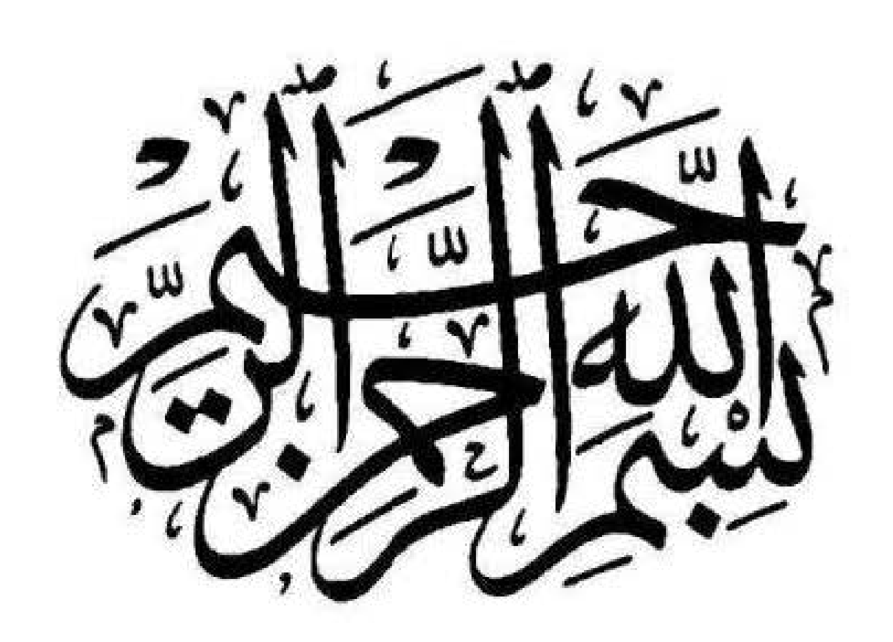
في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

تأليف

العلامة المحقق الداعي الى الله

الحبيب زين بن ابراهيم بن سميط

باعلوي الحسيني


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدُ لله حقَّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيدِنا ومولانا محمدٍ نبيِّه وعبدِه، وعلىٰ آلِه وصحبِه، ومَن سارَ علىٰ هُداهُ ودَربِه.

أما بعد،

فهـذه جواهرُ وبدائعُ ودررٌ قذفـت بها أمواجُ بحار الأئمةِ الساداتِ آل باعلـوي رضـيَ الله عنهم، مما حباهـم مولاهم سبحانه من فهـومٍ وفتوحٍ في معاني كلامه تعـالىٰ وكلامِ نبيهِ ﷺ، جمعَها فضيلـةُ العلامة المحقّق، بقيةِ السلـف، الحبيب زَين بن إبراهيم بن سُمَيـط باعلـوي الحسينـيّ الحضرميّ، حفظه الله وأمتع المسلمين بحياته، فجاءت كعِقدِ لؤلؤٍ منظوم، مزدانةً بالبهاء والنور.

وقد كان الإقبالُ علىٰ هذا الكتاب عند طبعه كبيراً، فنفدت طبعتُه الأولىٰ في زمـنٍ وجيز، وهـذه طبعتُـه الثانيـة، وفيهـا زيـاداتٌ كثيـرة، وتصحيحـاتٌ ومراجعات، بالإضافة إلىٰ تراجمَ وافيةٍ لأعلام السادة آل باعلوي المنقـول كلامُهم فيه، فجاءت طبعةً مميَّـزةً أربَتْ علىٰ سابقتها بمراحل، فالحمد للّه علىٰ توفيقه، ونرجو من كل مَنِ انتفعَ بهذا الكتاب أو نظر فيه أنْ لا ينسانا ـ والمؤلِّـفَ حفظه اللّه ـ من دعوةٍ صالحـة، والحمدُ للّه الذي تتـم بنعمتـه الصالحات.

الناشر

ترجمةٌ مختصرةٌ للمؤلِّف

هو السيد العلّامة الفقيه العابد الداعي إلىٰ الله الحبيب زين بن إبراهيم بن زين بن سُمَيط الحسيني العلوي الحضرمي، من مواليد جاكرتا (إندونيسيا)، عام ١٣٦١ هجرية.

تربّىٰ في أسرة صالحة، وكان والده رحمه الله يأخذه في صغره إلىٰ الحبيب العلّامة العارف بالله علوي بن محمد الحداد رضيَ الله عنه صاحب بوقور، وهو أول مَن تلقىٰ عنهم المؤلف وتبرّك بصحبتهم.

ثم سافر إلىٰ حضرموتَ في أوائل سن البلوغ وأقام بمدينة (تريم) المشهورة بالخيرات والبركات وكثرة العلماء والصلحاء، يتنقل في مدارسها ومآثرها المباركة، خصوصاً رباطَ تريم الذي كان يتردّد إليه لتلقي بعض الدروس، وينهل من علمائها أنواعاً من العلوم والمعارف.

فمن مقدَّم العلماء والمشايخ الذين أخذ عنهم واستجازهم في حضرموت واليمن: الحبيب البركة العارف بالله علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب الدين، والحبيب البركة جعفر بن أحمد العيدروس، والحبيب العلامة الداعي إلىٰ الله محمد بن سالم بن حفيظ، والحبيب العلامة الأديب الأريب عمر بن علوي الكاف، والشيخ العلامة المحقّق محفوظ بن سالم الزُّبيدي، والشيخ الفقيه الفهّامة سالم سعيد بكيّر باغيثان، والحبيب الجليل القدوة إبراهيم بن عمر ابن عقيل، والحبيب العلامة الداعية محمد بن عبد الله الهدار، أخذ عنهم واستجازهم رضيَ الله عنهم أجمعين. وقد كان مشايخه يثنون عليه كثيراً لتميزه بين أقرانه وحسن أدبه وسلوكه.

بعد ثماني سنواتٍ من طلب العلم الشريف والجد والاجتهاد في تحصيله قضاها في تريم (الغَنَاء)، أشار عليه شيخُه الحبيب محمد بن سالم ابن حفيظ بالذهاب إلىٰ مدينة (البيضاء) ـ وتقع في أقصىٰ جنوب اليمن ـ للتعليم والدعوة إلىٰ الله، وذلك بعد طلبٍ من مفتي البيضاء الحبيب العلامة الداعي إلىٰ الله محمد بن عبد الله الهدار. فاختِيرَ المؤلفُ للالتحاق برباط الهدّار بالبيضاء مواصلاً لطلب العلم ومدرّساً للطالبين، وأقام هناك نحو ثلاثين عاماً، خادماً للعلم الشريف ومفتياً في مذهب الإمام الشافعي، وكان يتنقل في نواحٍ كثيرةٍ من المدن والقرىٰ للدعوة إلىٰ الله.

أثناء ذلك ذهب لمواسم عديدة كالحج والزيارة، والتقىٰ في الحجاز ومصرَ بكثير من العلماء والصلحاء؛ فأخذ عنهم واستجازهم، فمنهم: السيد العلامة محدّث الحرمين علوي بن عباس المالكي، والحبيب العلامة الداعية عمر بن أحمد بن سميط، والحبيب القدوة أحمد مشهور بن طٰه الحداد، والحبيب القدوة عبد القادر بن أحمد السقاف، والحبيب القدوة أبو بكر عطاس الحبشي، والحبيب القدوة هدار بن محمد الهدار، والسيد العلامة الأديب محمد بن أحمد الشاطري، والشيخ العلامة عمر اليافعي، وغيرهم ممن هم مذكورون في (ثبت أسانيد المؤلف وإجازاته).

ثم هاجر المؤلف أخيراً إلىٰ الحرمين الشريفين، واستقرَّ به المقام في مهاجَر جدّه المصطفىٰ صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله: (المدينةِ المنورة)، مواصلاً لمنهجه العظيم من تعليم الطالبين، وإرشاد السالكين، والدعوة إلىٰ الله في ربوع طَيبة الطيّبة ومجالسها.

وافتتح فيها رباطَ السيد عبد الرحمن بن حسن الجفري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ووفد

إليه الكثيرُ من طلاب العلم من أنحاءٍ متعددة من البلاد الإسلامية؛ وبعد ذلك تخرّج علىٰ يديه الكثيرُ منهم، نسأل الله أن ينفعَ بهم آمين.

وفي هذا البلد المبارك، وفي هذه الفترة، أخذ المؤلف عن علماءَ ومشايخَ كثيرين من أهل المدينة وممّن ورد إليها، فمنهم الشيخ أحمدّوه الشنقيطي، والشيخ محمد زيدان الأنصاري، وغيرهما كثير من سائر الأقطار الإسلامية، وكذلك أخذ عنه الكثيرُ من العلماء وطلاب العلم ممن وفد لزيارة المدينة المنورة.

وللمؤلف ـ نفع الله به ـ مؤلفاتٌ عديدة، منها: «المنهج السوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي»، وشرح حديث جبريل المسمّىٰ: «هداية الطالبين في بيان مهمات الدين»، و«الفتوحات العلية في الخطب المنبرية»، و«هداية الزائرين إلىٰ أدعية الزيارة النبوية ومشاهد الصالحين»، و«الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية» بطريقة السؤال والجواب، ومجموعٌ لطيف من الفوائد المنثورة، ومجموعٌ آخر كبير من الفتاوىٰ الفقهية، وثَبَتٌ لأسانيده وإجازاته. وكل هذه المؤلَّفات مطبوعة عدا الثلاثة الأخيرة.

وفي ختام هذه النبذة المختصرة عن حياة المؤلف المباركة فإن المترجَم له ـ نفع الله به ـ يعتبر الآن من أكبر شيوخ المرحلة، وقد جعله الله مظهراً من مظاهر الطريقة والعلوم السلفية في عصره، أمتع الله به في عافية، وأدام النفعَ به آمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

نجل المؤلف

محمد بن زين بن سميط

القِسمُ الأوّل

القُرآنُ الكَريم

أهل البيت والقرآن

قال رسول الله ﷺ:

«إنّي تارِكٌ فيكُم ما إن تَمَسَّكتُم بهِ لن تَضِلّوا بَعدي؛ أحدُهُما أعظمُ من الآخر، كتابَ الله، حَبْلٌ مَمدودٌ من السماء إلىٰ الأرض، وعِترَتي أهلَ بَيتي، ولن يَتَفَرَّقا حتىٰ يَرِدا عليَّ الحوضَ، فانظُروا كيفَ تَخلُفوني فيهما».

رواه الترمذي، ورواه الإمام أحمد وغيره بلفظ آخر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي أجرى على ألسُن الخواصّ من عباده العارفين من العلوم والمعارف ما لا يحصره الواصفون، وخصّهم بسابق عنايته بفهم كتابه العزيز الذي هو البحر المحيط فهم من أنواره يقتبسون، ومن أسراره يغترفون، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، والصلاةُ والسلامُ على الواسطةِ العظمى في إبرازِ ما كان وما يكون، سيدنا محمد الذي جرَتْ مِن محيطِه تلك العيون، وعلى آله وصحبه حَمَلةِ علمه المكنون، وسرِّه المَصُون.

أما بعد:

فهذا تفسيرٌ عزيزٌ لبعض الآيات القرآنيّة، منقولٌ عن جماعةٍ من كبار السّادة العلويّة، مما أفاضَ الله على قلوبهم من الفيوضاتِ الإلهية والعلوم اللدُنّية، المُشارِ إليها بقولِه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وبقول رسول الله ﷺ: «مَن عَمِلَ بما عَلِم أورثَهُ الله عِلمَ ما لم يعلَم».

وهذا النوعُ من العلم هو ثَمَرةُ العمل بالكتاب والسنّة، الخالص من شوائب النّفس والهوى، ومُلاحظةِ السّوى، المصحوبِ بالتقوى مع مُجانبة الدّعوى، ولن يستَعِدّ العبدُ لهذا الفيض الإلَهي بدون الرِّياضة القاطِعة لأُصول الشّهوات، مع التوجه الدّائم إلى الله في قَوالِب العبادات.

وغرضُنا الآنَ أن نذكُرَ شيئاً يسيراً مما وقَفنا عليه مِن أنفاس هؤلاءِ الأعيان، أهلِ الصِّدق والإخلاص والمحبّةِ والعِرفان، وليسَ لنا في ذلِك إلاّ مُجَرَّدُ النَّقلِ من مجموعِ كلامهم المنثور، وجمع ما تفرَّق لِيسهُل الانتفاعُ به ممن أرادهُ من أهل الهدىٰ والنور، واللّٰهَ أسألُ أن ينفعَ بما هنالك، وأن يسلُكَ بنا في أحسن المسالِك، وأن يجعل ذلك خالصاً لوجههِ الكريم، ومُقرِّباً إلىٰ جنّات النَّعيم، وصلىٰ الله وسلَّمَ علىٰ سيدنا محمَّدٍ الرسول الأمين، وعلىٰ آلهِ وصحبهِ أجمعين، والحمدُ لله رَبِّ العالمين.

❊ ❊ ❊

التفسير الإشاري

هو تأويلُ القرآن علىٰ خلاف ظاهره، لإشاراتٍ خَفِيَّةٍ تظهر للعارفينَ بالله من أرباب السلوك والمجاهدة، ممّن نَوَّر الله بصائرهم فانقَدَحَت في أذهانهم بعض المعانيِ الدقيقة؛ بواسطة الإلهام الإلهيّ أو الفتح الربانيّ، مع إمكان الجمع بينها وبينَ المعنىٰ الظاهر المرادِ من الآية الكريمة. **وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبي الذي يُنال بالبحث والمذاكرة، وإنما هو من العلم اللَّدُنّي، أي: الوَهبي الذي هو ثمرةُ التقوىٰ والاستقامة**، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكما قال أيضاً في قصة الخَضِر مع مُوسَىٰ عليهما السّلام: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وإليه الإشارة أيضاً بقوله ﷺ: **«مَن عَمِلَ بما عَلِمَ أورثه اللّهُ علمَ ما لم يعلم»**. فهو: ثمرة العمل بالعلم المستفاد من الكتاب والسنة، الخالص من شوائب النفس والهوىٰ، وملاحظة السِّوَىٰ، المصحوب بالتقوىٰ، مع مجانبة الدعوىٰ.

وقال بعضُ العارفين: ولا يقف علىٰ أسرار القرآن ومعانيه الشريفة إلاّ من تطهّر من ملابسة الآثام، وزيّن باطنَه وظاهرَه بالأعمال والأخلاق المرضيّة، وأقبلَ علىٰ الله بترك ما سواه من الموجوداتِ العُلوية والسفلية، أو كما قال.

قلتُ: وقد قال بعضُهم في معنىٰ قوله ﷺ: **«لكلِّ آيةٍ ظهرٌ وبطنٌ، ولكلِّ حرفٍ حدٌّ، ولكلِّ حدٍّ مطلعٌ»** رواه الرّوياني عن الحسن: إن المراد بظهرها: ما ظهرَ من معانيها لأهل العلم الظاهر، وبطنها: ما تضمنته من الأسرار التي أطلعَ اللهُ عليها أربابَ الحقائق. ذكره الإمام السيوطي في «الإتقان» (٤: ١٩٦).

وذكر فيه أيضاً عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله ـ نفع الله به ـ أنه قال: اعلم أن تفسيرَ هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالةً للظاهر عن ظاهره؛ ولكنَّ ظاهرَ الآية مفهومٌ منه ما جُلِبَتِ الآيةُ له ودلَّت عليه في عُرفِ اللسان، وثَمَّ أفهامٌ باطنةٌ تُفهَم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبَه، وقد جاء في الحديث: **«لِكُلِّ آيةٍ ظهرٌ وبطن»**، فلا يَصُدَّنَّك عن تلقّي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدلٍ ومعارضة: هذا إحالةٌ لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالةً لو قالوا: لا معنىٰ للآية إلاّ هذا، وهم لم يقولوا ذلك؛ **بل يُقِرُّون الظواهرَ علىٰ ظواهرها مراداً بها موضوعاتُها، ويفهمون عن الله ما أفهَمَهُم**. انتهىٰ.

وقال سيّدنا الإمام العارف بالله عيدروس بن عمرَ الحبشي، نفعنا الله به: لا بدّ من اتّباع ظاهرِ الآية والحديث، إلا ما حصل الاتفاقُ علىٰ تأويله، فإذا أعطيتَ ما ورد عن الله ورسوله حقّه من معناه الظاهر عند العلماء؛ فلا بأسَ بعد ذلك **أن تستخرجَ من مكنون معاني الكتاب والسنة ما فتح الله به عليك ممّا لا يَرُدُّهُ كتابٌ ولا سنة، إن كنتَ أهلاً لذلك**. انتهى. من «النهر المورود» للإمام العلامة عبيد الله بن محسن السقاف.

وقال الشيخ الإمام القطب أحمد بن زين الحبشي، نفع الله به: إشاراتُ القوم وأخذُهمُ المعانيَ من الألفاظ ليس من شرطه المطابقة للمعنىٰ من كل

وجه، بل قد يحصل ذلك في لمحةٍ عند سماع اللفظ؛ لأن المقصودَ حصولُ المعنىٰ الصحيح الثابتِ الدليل من الكتاب والسنة الذي لا ينكره الشرع لصحته، مع تسليمه الأمرَ الظاهر الذي يعطيه ظاهرُ اللفظ، ولا ينفي ذلك، ويقولُ: أعلَمُ وأسلِّمُ أن المعنىٰ فيه عند أهل الظاهر كذا، ولا أُنكرُه، ولكني **فهمتُ عند جريان اللفظ معنىً صحيحاً ثابتاً لدليلٍ لا ينكره الشرع وإن كان غيرَ مقصودِ اللفظ**. اهـ. من «قرة العين» للإمام محمد بن زين بن سميط.

وقال سيدنا الإمام أحمد بن حسن العطاس، نفعنا الله به: القرآن له ظاهرٌ وباطن، **وإذا صفا باطنُ الإنسان، فهم باطنَ القرآن**، وإذا أخذ علمَه من ظاهر النصوص والأقوال فهمَ ظاهرَ القرآن، والقرآنُ عامٌّ، كلٌّ يَفهَمُ منه علىٰ قَدْرِ مرتبته. اهـ.



مُقَدِّمَةٌ
فِي عُلُومِ القُرْآنِ

ذكر ابنُ أبي جمرةَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنه قال: لو شئتُ أن أُوقِرَ سبعين بعيراً من تفسير أمّ القرآن لفعلتُ. وسُئل كرّم الله وجهه: هل خصّكم رسولُ الله ﷺ بشيءٍ دون الأُمّة؟ فقال: لا؛ إلاّ أن يُؤتىٰ أَحَدُنا فهماً في كتاب الله تعالىٰ. وكان ابن عباسٍ رضيَ الله عنه يقول: لو ضاع عَلَيَّ عِقالُ بعيرٍ لوجدتُه في القرآن[1].

وفي «تثبيت الفؤاد» من كلام الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه قال: **القرآن فيه كلّ شيء إلاّ أنّه لا يعقلها إلاّ العالِمون.** وعهدة بيانه إلىٰ النبي ﷺ علىٰ الإجمال، وتفصيله إلىٰ العلماء وهو الاستنباط. وذكر رضيَ الله عنه عن الفُضَيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقول: لو كنتُ عرفتُ من القرآن أوّلاً ما عرفت منه الآن ما نقلتُ حديثاً. يعني: لأن جميعَ العلوم تتفجّر من القرآن، فإذا أعطاه الله الفهمَ فيه فلا يحتاج إلىٰ تحصيلها من غيره.

وقال سيدنا الإمام عيدروس بن عمرَ الحبشي، رضيَ الله عنه: **للقرآن نزولٌ وتنزّل. فالنزول انقطع بانقِطَاع الوحي بموته ﷺ، والتنزّل غيرُ منقطعٍ أبداً، بل هو دائم التنزّل علىٰ قلوب الأولياء بما يُفتح لهم من غزيرِ العلم**

---

(١) قيل: معناه أنه يعرف الآية التي إذا قرئت أُتي بالمفقود.

والفهم فيه، بما لا يتناهىٰ ولا تحويه عبارةٌ ولا إشارة، مما يُفيض الله عليهم من معانيه التي لا تُحَدّ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤]. انتهىٰ. من مجموع كلامه في «النهر المورود».

قلت: وقد أشار إلى ذلك أيضاً سيدنا الإمام علي بن محمد الحبشي بقوله شعراً[١]: [وافر]

كِتَابُ اللهِ أَنْزَلَهُ تَعالىٰ ... علىٰ خيرِ الورىٰ الهادي الدليلِ
كتابٌ جامعٌ للعلمِ يهدي ... إلىٰ التقوىٰ ويَشْفِي للغليلِ
هو الوحيُ الذي قد كان يُوحَىٰ ... إلىٰ الهادي علىٰ يدِ جِبرَئيلِ
تَنَزُّلُهُ علىٰ العلماءِ باقٍ ... لديهمْ وهو مُنْقَطِعُ النُّزُولِ
بوَصْفِ الإرْثِ للمختارِ نالُوا ... غريبَ الفَهْمِ من أعلىٰ مُنيلِ

وقال الحبيب عيدروس بن عمرَ الحبشي أيضاً: إنّ الله تعالىٰ علَّم نبيه ﷺ القرآنَ جملةً بغير واسطة، ثم أنزله عليه منجَّماً بواسطة جبريل عليه السلام. وقال رضيَ الله عنه: إن القرآنَ يُفسِّرُ بعضُه بعضاً، وإنّ بعض الآيات مُطلقةٌ تُقيِّدها آيةٌ أخرى. انتهىٰ. «النهر المورود».

وقال سيدنا الإمام العارف بالله عبد الله بن محسن العطاس، نفع الله به: إنَّ القرآن له ظاهرٌ وباطن، فباطنُ القرآن: هي المعاني القديمة القائمة بذاته تعالىٰ، فهو قبلَ أن يقع في القلب وتنطقَ به الألسن بالأصوات والحروف

---

(١) ديوان «الجوهر المكنون والسر المصون» ص١٦٩ للإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي (ت١٣٣٣هـ).

المؤدية لمعانيه القديمة بذاته تعالىٰ قرآنٌ بالمعنىٰ الباطن، فإذا وقع في القلب ونطقت به الألسن بالأصوات والحروف فهو قرآنٌ بالمعنىٰ الظاهر.

وقال رضيَ الله عنه: القرآن كلامُ الله تعالىٰ، لا يُوصف بصوتٍ ولا حرف، وإنّما هو مَعَانٍ قائمةٌ بذات الله تعالىٰ، فهو قديمٌ والحروف المؤدية لمعانيه حادثة، وكذلك الأصوات. وإنما لمّا كان المخاطبون به أجساماً لم يُفهم إلا بالأجساد، وهي الحروف، فلا يُعرف المعنىٰ القائم بذاته إلاّ بالحرف مثل الأجسام للأرواح. والأرواحُ من أمر الله، ولا تظهر الروح إلاّ بالجسم كما لا يظهر المعنىٰ إلا بالحرف، ولكنْ لما تشرّفت الحروف والأصوات بتأدية معاني القرآن القائم بذاته تعالىٰ أُطلق عليه القرآن، فنقول للمصحف بما اشتمل عليه: قرآناً.

وقال رضيَ الله عنه: القرآنُ ثلاثةُ أقسام: أحكامٌ، وتذكيرٌ، وتعريف. فالأحكام: هي الأوامر والمناهي، والتذكير: هو ما في القرآن من المواعظِ والمواعيد بالنار لأهل المعاصي وبالجنة لأهل الطاعات، وقَصَصِ الأنبياء وأُمَمِهم، والتعريف: هو ما اشتمل عليه القرآنُ من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله.

وقال رضيَ الله عنه: القرآنُ كله خطابٌ من الحق جلّ وعلا لمخاطَبٍ وهو المصطفىٰ ﷺ، وكذلك نُوّابُه من العلماء، ثم عامة الناس علىٰ لسان العلماء، وكلّ واحدٍ مسؤولٌ عن ورقته هل عمل بها أو لا؟ فاقرأ ورقتَك، وافهمها واعمل بها، وإن كنت لا تقرأُ ولا تفهمُ فاسألْ من يقرأ ويعلم ويفهم، فأنت مسؤولٌ عن قراءة ورقتك وإنْ كنتَ لا تعرف القراءة، لأنك مسؤولٌ بالسّؤال عنها، قال الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] الآيةَ.

والأُمَمُ السابقة كذلك أرْسل لهم الحق أوراقاً علىٰ ألسُن رُسُلِهم، وهي الكتب المنزّلة، كالتوراةِ والإنجيل والزَّبور وغيرها، ونحن ورقتُنا القرآن، فهو يشتمل علىٰ كل شيء، تطلبه تجده فيه، حتىٰ أكلُك وشربُك ونومك ويقظتك وجميعُ حركاتك في جميع معاملاتك، قال الله تعالىٰ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ. . .﴾ الآية [الأنعام: ٣٨].(1)

تنبيهات: كان سيدنا الإمام عيدروس بن عمر الحبشي، رضي الله عنه، يلوم بعض المفسّرين الناقلين القصصَ التي فيها سوءُ أدبٍ مع الأنبياء عليهم السلام، وما فيه نسبةٌ إلىٰ شيءٍ من الهفوات، وقد تقرّر عند أهل الحق أن الأنبياءَ معصومونَ من الصغائر والكبائر قبلَ النبوة وبعدها، وما كان منهم مما صورته معصيةٌ فليس معصيةً حقيقيةً، وغاية ما يكون أنه خلافُ الأولىٰ.

وقال سيدنا الإمام القطب الحبيبُ عبد الله بن علوي الحداد، رضيَ الله عنه: **ما يليق في تفسير القرآن وشرح الأحاديث إلا الخشوعُ والخوف؛ لأنها رقائق، ولا يحسن فيها البحثُ ونقلُ الأقوال.**

وقال رضيَ الله عنه: إذا جاء في القرآن الخطابُ لهذه الأمة فهو عامٌّ

---

(1) حُكي عن بعض أهل الملة الكافرة: أنه ناظر بعض علماء الزَّمن الأخير من علماء المسلمين وقال له: إنكم أيها المسلمون تزعمون أن كتابكم فيه علم الأولين والآخرين ولم يفرط في الكتاب من شيء بشاهد قوله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾، فأين مراكب البحر ومراكب الدُّخان؟ وأين كذا؟ وأين كذا؟ ويعدد له ما أحدثوه من الأمور القريبة التي ليس لها في القرآن ذكر، فقال العالم: كُلُّ ذلك موجود في القرآن جزماً وداخلٌ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فما حدث في الزمن الأخير فمما تعملون.

فيها لا يختص بالفاعل، كقوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]؛ أي: أنها تصيبُ الظالمَ وكلَّ من ينسب إليه ومن يجالسه أو يواكله ويميل إليه بأي وجه، وإذا جاء الخطاب لغير هذه الأمة فيكون لمن فعلَ مثلَ فعلهم.

وقال نفعَ الله به: أخصُّ ما يكون من معاني القرآن التكلُّم علىٰ لسان الحق، ثم بعد ذلك الخطابُ مع الحق كآياتِ الأمر والنهي والوعد والوعيد وغير ذلك. اهـ. «تثبيت الفؤاد».

فائدة: قال سيدنا الإمام عبد الرحمن بن مصطفىٰ العيدروس رضيَ الله عنه: لا تنافيَ بين قوله تعالىٰ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] وبين قوله ﷺ: **«لا يَدخُلُ أَحَدُكُم الجَنَّةَ بعَمَلِه»، قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟ قال: «ولا أنا إلاّ أن يتغمَّدنيَ الله برحمتِه»**، فإن العملَ بنفسه لا يُدخل الجنة ما لم يقبله الله تعالىٰ، وقبول الله تعالىٰ من جملة تغمُّد العبد برحمة الله تعالىٰ.

وقال رضيَ الله عنه: لا تنافيَ بين قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وبين قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ - ٦] لأن الثانيَ من جهة أحوال الدنيا والأولَ من جهة أحوال الدين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقال ﷺ: **«بُعثتُ بالحَنيفيّةِ السَّمْحة»**.

❊ ❊ ❊

أَهلُ البَيتِ النَبويّ وَالقُرآنُ الكَرِيم

اعلم أن الله تبارك وتعالىٰ قد خصَّ أهلَ البيت النبويّ بخصوصياتٍ تميزوا بها عن سائر الناس، فشرّفهم وطهّرهم وأذهبَ عنهم الأرجاس، فقال جلَّ وعلا في محكَم تنزيله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقد حثّ الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ الاقتداء بكتاب الله وأهل بيته والتمسُّك بهما، وسمّاهما الثقلين، وقال: «**إِنَّ اللَّطِيف الخَبِير أخبـرَني أَنّهُمَا لن يَفترِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوض**»، وفي رواية: «**إنكم لن تَضِلّوا ما تمسَّكتم بهما، تعلّموا منهم ولا تُعلّموهم فإنهم أعلمُ منكم**».

قال الشيخ الإمام العلاّمة أحمد بن حجر الهيتمي في «الصواعق»: المراد: التعلّم من العارفين منهم بكتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، إذ هم الذين لا يفارقون كتابَ الله تعالىٰ حتى يردوا الحوض، وتميزوا بذلك، وشرَّفهم الله تعالى بالكرامات الباهرة، والمزايا المتكاثرة. اهـ.

وقد أُعطي أهلُ البيت النبوي فهماً في القرآن الكريم، وخُصُّوا بذلك في سابق علم الله القديم، فضلاً من الله الذي يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومن جملة دعائه ﷺ لعليٍّ وفاطمةَ رضيَ الله عنهما ليلةَ زفافهما: «**جَمعَ اللّهُ شملَهما، وأطابَ نسلَهما، وجعلَ نسلَهما مفاتيحَ**

الحكمة، ومعادِنَ الحكمة، وأمنَ الأُمَة»، وسُئل الإمام عليٌّ كرّم الله وجهه: هل خصَّكم رسولُ الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم أهلَ البيت بشيءٍ دون سائر الناس؟ فقال رضيَ الله عنه: **لا؛ إلاّ أن يُـؤتىٰ أحدُنا فهماً في كتاب الله.**

وثبـت أن النبيَّ صلـىٰ الله عليـه وآله وسلّم دعـا لابن عبـاس رضيَ الله عنهمـا بقـولـه: **«اللهمّ عَلِّمه الكتاب»**، وفـي روايـة: **«اللهمّ فَقِّهه في الدِّينِ وعلِّمه التأويل»**.

قال سيدُنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضيَ الله عنه: إذا أراد الإنسانُ أن يعرف نفسَه فليعرضها علىٰ كتاب الله، فإنه خليفة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم في أمته، وأهل بيته، قال صلىٰ الله عليه وآله وسلم: **«تركتُ فيكم كتابَ الله وعِتْـرَتي»**، فإن لم يعرف نفسَه منه فليسأل الأئمةَ من أهل البيت، فإنهم نوابُ جدّهم وورثته، ويفسّرون للناس ما أشكل عليهم من معاني الكتاب العزيز، فإن لم يجد منهم أحداً بعد الجهد في طلبهم فليسأل نوابهم من الأئمة من غيرهم، وهم العلماء الصالحون. اهـ.

وقال سيدنا الإمام عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به: **أهلُ البيت بابٌ علىٰ خزائن السر، ومفتاحُه معهم، والأحكامُ كلُّها تتفرّق منهم؛ لأنهم حَمَلة القرآن، والباقون نوّابٌ في الوراثة، والسرُّ سِرّان: سرُّ الوراثة، وهو عندهم، وسرُّ الشريعةِ عندهم وعند غيرهم.** اهـ.

❊ ❊ ❊

تفسير بعض الآيات القرآنية المأثور عن جماعة من السادة العلوية الذين هم معادن الأسرار المحمدية والمعارف اللدنية

فمن ذلك: ما نُقل عن الإمام الكامل العارف الواصل عيدروس ابن عمر الحبشي رضيَ الله عنه وأرضاه ونفعنا ببركته وأسراره المتوفىٰ ببلدة (الغُرْفَة) في تسع رجب سنة ١٣١٤هـ[1]

قال رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]: إن كل شيءٍ له وجهان: وجهٌ إلىٰ الحق ووجهٌ إلىٰ الخلق، فالوجه الخَلْقي هالكٌ حتىٰ في عين وجوده، والوجهُ الحقّي باقٍ لا يصولُ عليه الهلاك. اهـ.

وسُئل رضيَ الله عنه عن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾

---

(١) الإمام الجليل المسند الفقيه عيدروس بن عمرَ عيدروس الحبشي، صاحب الغُرفة، مولده بها سنةَ ١٢٣٧هـ، وبها وفاته سنةَ ١٣١٤هـ، كان مسندَ حضرموت في عصره واشتهر بهذا الفن، وكانت له رحلاتٌ عديدة في طلب الشيوخ والأخذِ عنهم، وصنف كتابه العظيمَ «عقد اليواقيت الجوهرية، وسمط العَين الذهبية، بذكر طريق السادات العلوية» طُبع في جزأين، وله «عقد اللآل في أسانيد الرحال»، و«منحة الفتاح الفاطر في الاتصال بالشيوخ الأكابر»، وكلها طُبعت.

[الواقعة: ٧٧]، ما معنىٰ كَرَم القرآن؟ فأجاب: بأن معنىٰ كرم القرآن هو كنايةٌ عن كثرة ما يُعطي من العلوم، فاستُعير له ذلك، والجامعُ كثرة العطاء. انتهىٰ.

وأفاد رضيَ الله عنه علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، بأنه إنما أفرد النور لكون الإيمان ديناً واحداً فوحَّد النور، والكفر أنواعُه كثيرةٌ فجمع الظلمات.

وأفاد أيضاً عن معنىٰ خروج الكافر من النور ومن أين له النور: أن الكافر لمّا كان متأهّلاً للإيمان بالفطرة، وأتاه الحق علىٰ ألسِنَة الرُّسل، فأعرضَ عن الدِّين الحق، وجحد بعدما تبين له؛ صَدَقَ عليه أنه خرج من النور إلىٰ الظلمات. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]، أن نفسَ العبد لمّا كانت قابلةً للإصلاح والإفساد، وكانت قبل هذين فارغةً عن التزكية والتّدْسِيَة، كان الأخذ في إصلاحها وتقويمها مزكّياً لها، وكان الأخذ في إفسادها مُدَسّياً لها. اهـ.

وأفاد رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١]، أن النهارَ: نهارُ الطاعة والقربة، يقيمها العبد ثم يُدخل فيها شيئاً من المقاصد السيئة التي تخرجها من حيز الطاعة، فهذا قد أولج ليلَ المعصية في نهار طاعته. وأن الليلَ ليلُ المعصية يُبتلىٰ بها العبد فيبادر إلىٰ التوبة منها والاستغفار والندم علىٰ ما فرط منه، فهذا قد أولج نهارَ الطاعة ليلَ المعصية. انتهىٰ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، أن الاستثناءَ متصلٌ، وأن مَن أتىٰ اللَّهَ بقلبٍ سليمٍ من الافتتان بالمال والبنين، بل كانا عوناً له علىٰ رضىٰ ربِّ العالمين وموصِلاً إلىٰ أعلىٰ المراتب من العلم، واليقين، فإنهما نافعانِ له يوم الدِّين. انتهىٰ بالمعنىٰ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]، أن الاصطبارَ المرادُ به الدوامُ والملازمة لها.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، إنه ﷺ هو التالي والقارىء للقرآن علىٰ الدوام يقرأه علىٰ الناس علىٰ ممرّ الزمان. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦]، أن الباقياتِ الصالحاتِ هي: كل عملٍ من الأعمال المقرِّبة إلىٰ الله. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ . . . ﴾ [الزمر: ٧٤]، أن المرادَ بالأرض أرضُ الدنيا، وكنَّوا بالتّوريث عن التَّمكُّنِ مِن جَعلِها مزرعةً لهم ومطيّةً إلىٰ الآخرة. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨]: إنَّ الخلقَ كلهم عاجزون عنْ عدِّ نعمةٍ من نعمه تعالىٰ ولا يقدرون علىٰ إحصاء أنواع نعمةٍ واحدة، فكيف بهم أن يحصوا بقيّة نعمه تعالىٰ؟ اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ [النور: ٤٥]، أن الذي يمشي علىٰ بطنه غيرُ معتمِدٍ بشيءٍ من الأسباب، والذي يمشي علىٰ رجلين معتمِدٌ علىٰ سببٍ من غير غلوّ، والذي يمشي علىٰ أربع منهمكٌ في الأسباب. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر: ١٨]، قولُ الله كلُّه حسن، فالأحسن بالإضافة إليهم هو الأخذُ بالعزائم لا بالرخص. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، أن المرادَ بالذكر الكثير: ما كان أتمَّ في القيام بشروطه وآدابه والحضور فيه مع الله تعالىٰ، فإنّ هذه كثرةٌ معنوية حقيقية، ولا شكّ أن الذكرَ القليلَ المقرونَ بهذه الكمالات أعلىٰ وأجلّ من الذكر العاري عن الآداب المذكورة. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، [أنه] إنما أتىٰ بضمير الجمع الذي هو شأن المعظِّم نفسَه أو مَن معه غيرُه: أن في ذلك إشارةً إلىٰ أنه ينبغي للعبد أن يستحضرَ عند ذلك ضعفَه وعجزَه عن الاستقلال بنفسه، وأنه لا يصلح أن يستقلّ بالخطاب لمولاه إلّا بأعوانه من أهل الإيمان.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورىٰ: ٣٩]، في سياق المدح مع قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]، فأفاد رضيَ الله عنه ما معناه: أن الأصلَ الأفضلَ العفوُ؛ ولكن قد يفضل عليه الانتصار، وذلك إذا كان المنتصَر منه كافراً فإنه لا يجوز الاستسلام، بل يجب مدافعته وردُّه بما يستطيع العبد، لأن الاستسلامَ له يؤدّي إلىٰ وهنٍ في الدِّين للمسلم وإيحاشٍ لقلوب المسلمين وإدخال الذّلّ عليهم، وأما الاستسلام للمسلم فجائز، وأخذُ الحق منه ودفعه كذلك جائز، مع ذلك فالأفضلُ العفوُ والصفحُ عنه ما لم يؤدِّ العفو إلىٰ انتهاك حرمةٍ مِن الحرمات الدينية، فحينئذٍ ينقلب الحكمُ ويكون الانتصار واجباً ولازماً؛ حمايةً لدين الله لا انتقاماً للنفس. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢]: إنه ﷺ فينا لا يزال، ونحن خلفَه في صلاتنا وغيرها.

- وقال، رضيَ الله عنه: إن الله سبحانه يخاطب نبيه ﷺ بخطابٍ والمقصودُ غيره، وذلك لعدم طاقة غيره لخطابه تعالىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وهو ﷺ معصومٌ من صغائر الذنوب وكبائرها فكيف يكون منه الشرك!

. وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ حكايةً عن سيدنا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، مع قول سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «لو كُشف الغطاء عني ما ازددتُ يقيناً»: أن الطمأنينةَ أعلىٰ وأكمل من اليقين، ولكنّ اليقينَ وإن كان مقاماً عزيزاً قد يطرُقُه الجحود كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، فعُلم أن الطمأنينةَ أعلىٰ وأجل من اليقين لأنها لا يُتصور بعدها جحود. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قول الله تعالىٰ حكايةً عن قول أحد ابنَي آدم عليه السلام للآخر: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [المائدة: ٢٩]: هل يريد لأخيه أن يكون مأثوماً معاقباً ويُحبُّ ذلك له؟ فأجاب بقوله: إن المرادَ بهذه الإرادة أنه إن كان لا بد أن يبوءَ أحدُنا بإثمِ صاحبه، فأريد أن تكون أنت لا أنا. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [العلق: ٤]: إن هذا يحتمل معنيين، أحدُهما: القلم الظاهر، والثاني: القلم الباطن. فإنَّ كلَّ علم يحصل من تعليم هذا القلم الذي لا يزال يُكتب في القلوب. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ حكايةً عن قول نبي الله سليمان عليه السلام: ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص: ٣٥]، إن مرادَ نبي الله سليمان بطلبه هذا المُلكَ وسعتَه؛ أن يكون له من الشكر بمقدار ما أُوتي من الملك، فلم يكن طلبه إلّا سعةَ الملك وتنوعَه بنوع النعم التي أُعطيها. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يفيد علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر: ٦]، أن المرادَ بهذا الإنزال هو الإيجادُ بعد العدم؛ فإن المعدومَ باقٍ في غيبِ الله، وغيبُ الله له العلو، فإذا برز ما كان في غيب الله إلىٰ عالم الشهادة الذي له النّزول فقد نزل، فليس المراد بمثل هذا الإنزال الهبوطَ: من علوٍّ محسوس إلىٰ أسفل محسوس. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول عند قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤]، أي: حين كان في عالم الأرواح، ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين: ٥]، أي: حين برز إلىٰ عالم الأشباح، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾

بأن أجابوا دعوة الرسل وامتثلوا ما بلغوهم عن الله عزّ وجلّ، ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦].

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]: إنّ السبقَ هذا ليس سبقَ زمن وإنما هو سبقُ رتبة، فمن كان أكملَ منك إيماناً فهو أسبقُ منك وإن سبقتَه أنت بالزّمن. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد من الإقسامات في القرآن نحو: ﴿وَالْعَصْرِ ﴾ [العصر: ١]، ﴿وَالضُّحَىٰ ﴾ [الضحى: ١] وغيرهما: أنَّ المرادَ به الإقسامُ بما يكون في هذه الأزمنة من الشئون الرّبانيّة. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول في قوله تعالىٰ: ﴿ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]: انظر لو تأملتَ في اختلاف الألسُن: منها عربي ومنها عجمي وكلٌّ منهما يختلف إلىٰ لغاتٍ كثيرة، فتجد الرَّجُلَين العربيين مثلاً من ناحيتين كلٌّ واحدٍ منهما له لهجةٌ ونغمةٌ وغنّةٌ غيرَ الآخر.

وأما الاختلاف في بعض الحروف فظاهر، بل تسمع الجملةَ من الناس يتكلمون من وراء حجابٍ وفي ليلٍ مظلم لا ترىٰ أشخاصهم وتميز صوتَ هذا من صوتِ هذا، بل تجد التفاوتَ في صوت الرَّجل من كونه مسروراً أو مغموماً أو صحيحاً أو مريضاً أو راضياً أو غضباناً قبل رؤيتك له.

وكذلك الألوان، فإنهم مختلفون فيها زيادةً علىٰ البياض والسواد والحمرة مثلاً، فترىٰ الجملة من الناس ــ وإن كانوا علىٰ لون واحد وأعضاؤهم كلها تامّة ــ فإنك تجد تمييزاً بين هذا وهذا ولو كانا ــ مثلاً ــ أخوين شقيقين،

أو ابناً وأباه، فلا بدّ من وجود تمييزٍ بينهما في الصّورة البشرية الظاهرة، فما بالك بالصورة الباطنة الخفية القلبية الملَكوتيّة؟ فهي أشد اختلافاً من الصور الحسية، بل هذه الصورة تنقلب في الأحايين من الشخص الواحد، فتارةً يكون صاحبُها مسروراً وتارةً محزوناً، وتارةً راضياً وتارةً غضبان، وتارةً جواداً وتارةً بخيلاً، وتارةً مقبوضاً وتارةً مبسوطاً، وغير ذلك مما يتعلق بصورته المعنوية. وكل هذا طرقٌ وسبلٌ دالّةٌ علىٰ عظيم جلال الله، وكمال وبديع صنعته لمن فتحَ الله عليه للمطالعة في تلك الصنعةِ العجيبة والتركيبِ البديع، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]، وما كل قلبٍ له نصيبٌ من هذه الذكرىٰ، وقد قال تعالىٰ فيمن لا يفقَهُ عنه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فيكون القلبُ المحفوظ بالذكر هو القلبَ الطاهر الخالي عن سوء المعتقد ، المنزَّهَ عن الهوىٰ وحُبّ الدنيا والركون إلى حظوظ النفس المائلة إلىٰ الرُّعُونات والبطالات. اهـ.

وفي موضعٍ آخرَ أفاد رضيَ الله عنه: أن صاحبَ القلب هو الذي يتلقى العلم عن الله من غير واسطة، والذي ألقىٰ السمع هو الذي تلقىٰ العلم عن الوسائط. ويقول أيضاً: إنّ من له قلبٌ هو الذي يقلِب الكثائفَ لطائفَ، ويَعْبُر من ظاهر اللفظ إلىٰ باطنه.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ...﴾ [الحج:٥٢]، أن النبي ﷺ يتمنّىٰ هِدَاية العباد، والشيطانَ يتمنىٰ إضلالهم، ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]: إن في ذلك تنبيهاً علىٰ أن فعله غير مقيّدٍ بسبب، فله أن يثيبَ العاصي ويعذبَ المطيع، فلا يجب عليه شيء. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ حكايةً عن نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]: كيف طلب الصلاح وهو نبيٌّ والنبوة أعلىٰ من الصلاح؟

فقال نفع الله به: إنّ مراتبَ الصلاح لا تنتهي، ولا تَمنع النبوةُ الزيادةَ في الصلاح، فإن أقلَّ الصلاح الإسلام، كما قالوا علىٰ حديث: «... أو ولدٌ صالحٌ يَدْعُو لَهُ»[1] فسَّرُوه بالمسلم. وكلَّما نال العبدُ فضيلةً من الفضائل بعد الإسلام، أو رقي رتبةً، ازداد صلاحاً إلىٰ ما لا منتهىٰ له، فقد عُلم أن الصلاحَ يعم جميعَ الرتب، فتقول: مؤمنٌ صالح، ووليٌّ صالح، ونبيٌّ صالح، ففي حديث المعراج، تقول الأنبياء في السموات لنبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام: «مرحباً بالنبي الصَّالح والأخ الصَّالح...»[2]. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ حكايةً عن موسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه:١٨]: إنما أطال في الجواب تلذّذاً بالخطاب، وإلاّ فقد كان يكفيه: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ . اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يفيد علىٰ قوله تعالىٰ حكايةً عن يعقوب عليه السلام:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، وهو حديث الإسراء المشهور، ورواه أئمة الحديث في كتبهم.

﴿فَصَبۡرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨]، أنّ الصبرَ الجميل: الذي ليس فيه تصنُّع للخَلْق ولا رياءٌ ولا إعجابٌ ولا تفويتُ حق. وأمّا قولهم: إنه الذي ليس فيه جزعٌ ولا شكايةٌ فغير مراد، لأن من جزعَ وتشكّىٰ خارجٌ بالكلية عن اسم الصابر، وأي صبرٍ مع الجزع؟! إذ الجزعُ نقيضُ الصبر.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَا﴾ [النمل:٨٩]: أفهمَ المجيءَ بها، ولا يجيء الإنسان إلا بخالص عمله، لا ما اختَرمتْه الآفاتُ من المبطلات والمحبطات والعياذ بالله، فإنه لا يبقىٰ لعامله انتفاعٌ به، بل العمل المعلول المحبوط أو المأخوذ لأهل المظالم لا يجيء به عامله. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]: أفهمَ قولُه: (الصلاة) المعرفة بأل بأنّ الصلاةَ لا تكون ناهيةً عن الفحشاء والمنكر إلا إذا أتىٰ بها المصلي علىٰ الوجه الحسن، وراعىٰ ما يجب فيها وما يندب مع الحضور والخشوع، حتىٰ تكون صلاته كاملةً ناهيةً عن الفحشاء والمنكر. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن المراد من قوله تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٍ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤]، فقال: أن يكون مذكوراً بالثناء الحسن والمدح بذكره بكمال الامتثال فيما أمره به أو نهىٰ عنه. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤]، أي: أنك إذا نسيتَ ما سوىٰ ربك ذكرتَ ربك ضرورةً، إذ لا مانعَ من رؤيته وشهوده إلاّ السِّوَىٰ.

ويقـول أيضـاً مرةً أخرىٰ: إذا نسيتَ السِّوَى الذي هـو عبارةٌ عمّا سِوَىٰ الله جلّ وعلا فقد ذكرتَ ربك الذكرَ الحقيقي الذي ليس فيه شيءٌ من ذكر الأغيار.

وكان يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ . أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق:٦- ٧]: إن ذلك ليس خاصاً بالاستغناء بالمال، بل هذا الطغيان يجده الإنسان في نفسه عند كل كمالٍ يحصل له دونَ غيره، حتىٰ العالِم، لا ينجو من إظهار هذا الطغيان إلاّ من عصمه الله ممّن سَاسَ نفسه بالآداب الشرعية. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء ٨٧]، معناه: أن لن نُقدّر، مشدّداً: من التقدير، لا من القدرة. اهـ.

وكان رضيَ الله عنه يقول [علىٰ قوله تعالىٰ]: ﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [هود: ١٢٠]: إن الإشارةَ في ﴿ هَٰذِهِ ﴾: الحياة الدنيا، و ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ اسمه تعالىٰ، فكان له ﷺ من التجلّي في هذه الحياة الدنيا ما لم يكن لغيره من مَلَكٍ مقرّب أو نبيٍّ مُرسَل أو وليّ محبوب؛ إلاّ في العالم الأخروي في دار البقاء.

وكان رضيَ الله عنه يقول: يجوز أن يكونَ الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورىٰ: ٢٧]، راجعاً إلىٰ الرزق، أي: عباد الرزق، علىٰ وزن قوله ﷺ: «**تعسَ عبدُ الدينار، تعس عبد الدرهم**»[١]، فإن كل ما اشتغل به الإنسان عن مولاه فهو عبدٌ لذلك المشتغَل

---

(١) رواه البخاري بلفظ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة» عن أبي هريرة، الجهاد والسير (١: ٤٤٧).

به شاء أم أبىٰ، بل هو شيطانٌ بمقتضىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦]، وقد قال بعض أكابر السلف الصالح: ما شغلك عن الله فهو عليك مشؤوم.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ خطاباً لنبيه ﷺ: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحىٰ:٤]: إنَّ آخرَ الحالتين الكائنتين لك في الارتفاع والتعالي للكمالات خيرٌ لك من الأولىٰ.

وهكذا حالاته ﷺ: كلُّ حالةٍ خيرٌ ممّا قبلها علىٰ الدوام. وقد يؤوِّل، رضيَ الله عنه، بنحو قوله ﷺ: «**إنه لَيُغانُ علىٰ قلبي فأستغفِرُ الله في اليوم سبعين مرةً**»[1]، بأن هذا الغَين غَينُ أنوار لا أغيار، فكلَّما ارتقىٰ صلواتُ الله عليه وسلامه إلىٰ رتبةٍ من رُتَب الشهود هي أتم وأكمل مما قبلها، استغفرَ الله من الرتبة الأولىٰ، لعدِّه لها قصوراً يُستَغفَرُ منه بالنسبة لما بعدها. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول في قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]: إنَّ الضميرَ في ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ للنبي ﷺ. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يفيد علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١]، أنّ هذا الوصفَ شاملٌ لكلِّ من ألهاه شيءٌ من الحظوظ المستعجلة وتكاثر به. يدخل في ذلك: التكاثرُ بالأموال والأولاد والجاه والأتباع

---

(١) رواه مسلم بلفظ: «إنه ليغان علىٰ قلبي، وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مئة مرة. .» الحديث.

حتىٰ بالعلوم والأعمال وأشباهِ ما ذُكر من كل ما يُتكاثر ويُتفاخر به، فالذم واردٌ في جميع ذلك، ولا يخرج من ذلك إلاّ ما أُريد به وجهُ الله والدارُ الآخرة فقط. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يفيد علىٰ معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، أن علامةَ رفع الحق تعالىٰ ذلك العملَ: أن لا يبقىٰ عندك منه شيء، فإنه إذا بقيَ في نظرك منه شيءٌ لم يرفعه إليه لبينونته بين عنديتك وعنديته. فينبغي للعبد إذا عمل عملاً أن يكون عنده نسياً منسياً، حتىٰ يحصلَ له قبولهُ، ،لهذا قال في الحِكَم: «**قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم**».

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن:١٠]: إن الله سبحانه وتعالىٰ امتَنَّ علىٰ عباده بوضع الأرض لهم ينتفعون بها كيف شاءوا، وخلقها علىٰ أحسن وأسهل ما يمكن الانتفاع بها، فلم يجعلها صلبةً حتىٰ يتألم منها القاعد والمضطجع، ويتعذرَ الانتفاع بها بالزراعة والغِرَاسة وحفر الآبار والقبور للأموات، وغير ذلك من المنافع التي لا تتأتىٰ إلاّ مع رخاوة الأرض، ولم يجعلها ليّنةً إلىٰ غايةٍ لا يثبت عليها شيءٌ من الأشياء التي تُوضع عليها كالبيوت وطرح الأحمال الثقيلة والأقدام عند المشي، فإنها مهما كانت كلُّها في غاية الصلابة أو في غاية الرّخاوة فات الانتفاعُ بها المطلوب، وجعل منها المنخفضَ ومنها المرتفع، ومنها السهلَ والوعر، ومنها ما يحسن فيه نبتٌ؛ كذا ليتم نفع الأنام. فهي كالأم الشفيقة الرحيمة بولدها، بل هي أمٌّ من حيثُ كونُ الإنسانِ خُلق منها، قال الله تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ...﴾ الآية [طه:٥٥]، وهي فراشٌ ومِهاد، وكِفاتٌ

للأحياء والأموات، وهي ذَلول، ومنها الطعام ومنها الشراب، ومنها اللباس، وهي مسجدٌ للمصلين وطَهورٌ للمتطهرين، وغير ذلك من المنافع التي لا يأتي عليها الحصر. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨]: إن معنىٰ ﴿أَغۡنَىٰ﴾: أعطىٰ الكفاية، و ﴿وَأَقۡنَىٰ﴾ المرادُ به: ما زاد علىٰ الكفاية. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ [الشورىٰ: ٤٩-٥٠]: يُؤخذ من باطن هذه الآية أنّ الإناثَ: هي العلوم الكسبية المرويّة من الظاهر، يهبها الله لأهل الظاهر من العلماء، والذكور: هي العلوم الإلهامية المفتوحُ بها علىٰ أهل الباطن من الأولياء. ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ﴾: يهبُ اللهُ العلومَ الظاهرةَ والباطنةَ للمحققين الجامعين من أهل التخصيص والاصطفاء، ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ لا ظاهرَ ولا باطنَ من البعداء، والعياذُ بالله من سوء القضاء.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورىٰ: ٥٣]: إنّ الأمورَ الصائرة إلىٰ الله هي كل موجودٍ أوجده الله من المحسوسات والمعنويات الظاهرة والخفيّات من جسمٍ ومن روح، فهي بعدَ وجودها من غيب الله راجعةٌ وصائرةٌ إلىٰ غيب الله، حتىٰ كأنها لم تكن، فإنّ هذه المملكة الربانية لا تزال منها ما يظهر ومنها ما يغيب في كل آن، فما ظهر منها فعن اسمِه الظاهر، وما بطن وغاب فعن اسمه الباطن، وعن اسمه

الباعث الوارث، وعن اسمه المحيي المميت، وقد وصف نفسه تعالىٰ بأنه في كل يومٍ هو في شأن، واليومُ في هذا المقام عبارةٌ عن: كلّ زمن يمضي وإن قلّ حتىٰ لا يُعرف مقداره في الحس، فللّه فيه شئونٌ لا يعلمها إلاّ هو، والشأن: عبارةٌ عن نوعٍ من تصرّفات الباري عزّ وجلّ في مملكته، يَدخل في تلك الشئون كلُّ حركةٍ وسكونٍ وإيجادٍ وإعدام وسائرُ الموجودات التي من جملتها جَرْيِ أنفاس كلّ متنفّس، فإبرازُ كلّ نفَس منه وإيجادُه وظهورُه شأن، وعودُه شأن، وكل شأنٍ من هذه الشئون خَلْقٌ جديد، قال الله تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥]، وقِس علىٰ ذلك ما ترىٰ أو تسمع أو تعلم من ذرّات هذا الوجود، وكلها صائرةٌ وراجعةٌ إلىٰ باريها. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]: إن العبادَ هؤلاء هم المخصوصونَ بالاجتباء الموصوفون بنحو: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا . . . ﴾ [الفرقان: ٦٣]، إلىٰ آخر الأوصاف المنيفة. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: إن العلمَ المذكورَ الذي وقع الاستثناء منه هو علم الله الذي من شأنه أن يُعَلِّمَهُ عبادَه ويؤهّلَهم له ويبثّه فيهم، فإنهم لا يحيطون بشيءٍ منه إلاّ بما شاء أن يجعلَه فيهم إن أراد ذلك، وأمّا علمُه تعالىٰ المصون المكنون الذي هو مخصوصٌ به تعالىٰ [وحدَه] دون أحدٍ من خلقه فليس للعباد منه نصيب، والعلمان المذكورانِ كلٌّ منهما من علمه ومنسوبان إليه. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول عند قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]: إن المعنىٰ في الأوّل: يحصل بأقل ما يسمّىٰ صبراً، والثاني: لا يحصل إلاّ بأنواع من الصبر، والثالث: لا يحصل إلاّ بمواصلة الصبر بالصبر. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣]، في هذه الآية عَتْبٌ علىٰ من ينسب أفعاله إلىٰ نفسه وأنه الفاعل لها مع الغفلة عن نسبة الفعل إلىٰ الله تعالىٰ، وعن معنىٰ: لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله، وعن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧]، وعن قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وغيرِ ذلك مما في معناه. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]: إنَّ معنىٰ ﴿ يَعْبُدُونِ ﴾: يعرفون، فلم يخلُقِ الله الخلق إلاّ لمعرفته كما ورد في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً...»[1] إلىٰ آخره. وهذه المعرفة هيَ: الأمانة في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، الآية، وقد يقول: إن هذه الأمانةَ هي التكليف، وهو ـ أي التكليف ـ مأخوذٌ من التكلّف الذي هو الأمر الشاق، ولذا سمّي المكلّف مكلَّفاً لما عليه من مشقة حمل التكاليف الشّرعية. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يفيد علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَن

---

(١) انظر حال هذا الحديث في «كشف الخفاء» (٢: ١٧٣).

رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]، أن المختلفين في الأصول غير مرحومين ولا مرضيين إلاّ من وافق الحقَّ منهم، وهم فرقةٌ واحدةٌ دون باقي الفِرَق، وهم أهل السُّنة والجماعة الذين هم علىٰ ما كان عليه ﷺ وأصحابه، وأما المختلفون في الفروع فاختلافهم رحمة، وهم المراد بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]: إنّ النعمةَ الظاهرة: ما كانت نفسُها محبوبةً للعبد وملذوذةً عنده من نِعَمِ الله الظاهرة. وأما الباطنة: فما يكون للعبد من الابتلاءات الغيرِ المحبوبِ ظاهرُها، فيصبر ويحتسب ويرضىٰ بقضاء الله وقدره فيحصل له بذلك الثواب والأجر الأخروي، فهذه نعمةٌ باطنةٌ تخالف الظاهرة. اهـ.

وسُئِل رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ بلفظ الدُّعاء للوالدين: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، بأنه قد لا يُربِّيانِه صغيراً، فقد يموتان قبل أن يتمكنا من شيءٍ من تربيته؟ فأجاب نفع الله به: إنّ الخطابَ مبنيٌّ علىٰ ما يكون غالباً أن الأبوين يربيان ولدهما، وفي صورة موتهما قبلَ حصول تربيةٍ منهما يكون مفروضاً ومقدّراً أنّهما إن عاشا يربّيانه. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]: إنّ السؤالَ منه تعالىٰ لكل أحد، ولكنه بالنسبة للمحبوبين ـ جعلنا الله منهم ـ يكون سؤالَ تكريم، ويكون بذلك غايةً من اللّذّة للمسؤولين بذلك الخطاب، إذ هو مقرونٌ برأفةٍ ورحمةٍ منه تعالىٰ، وإنما يكون سؤالَ عنفٍ وقهرٍ لغير المحبوبين. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، وما يجري مجرىٰ ذلك من الألفاظ، ومن المعلوم أنْ لا رازقَ ولا خالقَ غيرُ الله، فما معنىٰ المفاضلة؟

فأجاب بأن الخلقَ والرزقَ فعلُ الله حقيقةً، لكن قد يُنسب منهما شيءٌ للعبد من حيث المجاز، فما كان من الأفعال لله من غير دخول واسطة عباده فهو خيرٌ مما يكون للعباد فيه وساطة، فليس المخايرة إلّا بهذا الاعتبار. ذكر جميعَ ذلك الإمامُ عُبيد الله بن محسن السقاف رضيَ الله عنه في كتاب «النهر المورود». اهـ.



ومن ذلك ما نُقل عن الإمام الهُمَام شيخ الإسلام الحبيب أحمد ابن حسن العطاس، رحمه الله ورحمنا به، المتوفىٰ بـ (حُرَيْضَة) بوادي حضرموت في ٦ رجب عام ١٣٣٤هـ[1]

قال رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]: أهل الباطن ما يجعلون «ما» زائدةً في مثل هذا المكان، يعني كما جرىٰ عليه أهل الظاهر، وتكون «ما» بمعنىٰ «شيء» مضافاً إلىٰ الرحمة.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]: اختلف أهلُ الظاهر وأهلِ الباطن في معنى هذه الآية، فأما أهل الظاهر المتقيدون بظواهر الألفاظ فقالوا: المرادُ باليقين الموت. وأهل الباطن يقولون: اليقين هنا الفتح والمعرفة، وإذا جاءه اليقين عبَدَ الله علىٰ حق ويقين وبصيرة ونور ومعرفة.

---

(١) الإمامُ العلامة الفقيه المسند المقرىء العارفُ بالله تعالىٰ ورسوله، السيد الشريف أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي العطاس باعلوي الحسيني. مولده بحُرَيضة موطن آبائه السادة آل العطاس سنةَ ١٢٥٧هـ، وبها وفاته سنةَ ١٣٣٤هـ، طلب العلم بحضرموت والحجاز، وتخرّج بشيخه مفتي الشافعية بمكة السيد أحمد زيني دَحْلان، وأخذ عنه جملةٌ من الأكابر، وكان هو في عصره من أعيان الأكابر، أُفردتْ ترجمته بالتأليف، وأجمعُ ما كُتب عنه «إيناس الناس بمناقب الحبيب أحمد ابن حسن العطاس» لتلميذه الشيخ محمد بن عوض بافضل، في مجلدين كبيرين، وجمعَ كلامه كذلك في كتاب سمّاه: «تنوير الأغلاس» في مجلدين أيضاً.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ١-٢] . . . إلخ: الفتح الذي وقع للنبي ﷺ ليس علةً للغفران، يعني في قوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ . . . ﴾، وقوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ ليس علةً للفتح، ولكنها منازَلةٌ إلهيةٌ باطنة يعرفها هو ومن شاء الله من أهل الكشف المطلق والذوق والوجدان.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ هنا تم الكلام، ثم قال: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ أي: صورةً، وإلاّ فما هناك ذنب. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه: ذُكر عن بعض الأولياء في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا . . ﴾ [النمل: ٣٤]: إن الملوكَ: الدراهمُ والدنانير. والقرىٰ: الأيدي والقلوب. والأعزّة: الخواطر الرّحْمانية.

وقال، رضي الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [يونس: ٥٨]: أصلُ الآية نزلت في مضادة الشرك، والقرآن كلّه نزل لنفي الشرك، والمرادُ ﴿ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴾: نبوّته ﷺ، ﴿ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾: باقي النبوة للأنبياء. ﴿ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ أي: أولئك المشركون، ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي: من أمور كفرهم وأغراض دنياهم، فليس ذلك راجعاً لجميع المؤمنين وما معهم. والآية ساحبةٌ ذيلَها علىٰ أهل العجب والاستحسان، وعلىٰ الذين يشاهدون الأفعالَ من عند أنفسهم.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ [الأعراف: ٢٦]: وهذا هو ستر الله الذي أسبله علىٰ عباده، فإذا رأىٰ الإنسان عورته المعنوية أو الظاهرة، أو رأىٰ عورةَ غيره المعنوية أو

الظاهرة فليسترُها بستر الله. ﴿وَرِيشًا﴾ هذا هو الستر الظاهر من الثياب. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾: بترك المعاصي ﴿خَيْرٌ﴾ من هذا كلّه. والذين يفهمون من قوله: ﴿لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ اللباسَ الظاهر فاتَهمُ السترُ المعنوي. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أي: الكونين. ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:١٢]: الذي انطوىٰ له ومنه جميع الأشياء.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨]: المستثنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ هو الضيف الغريب الذي يجيء إلىٰ بلدٍ فلا يكرمه أهلها، رخّص الله له أن يقول فيهم ما شاء. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ: ٢٣]: وهم أهل البيت، لأن كل شيءٍ له قيمةٌ لا يحصل إلاّ بقيمته.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ:٢٨]: ما وجهُ المناسبة بين إنزال الغيث وبين الاسمين الكريمين: ﴿الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾؟

فقال: إنّ الله طلبَ من عباده الشكرَ في مقابلة نعمته، وهو المحمود فيما أنعم به علىٰ عباده، فمقابلُ إنزال الغيث: الولاية، ومقابل الرحمة: الحمد. وينزّل الغيث لكونه وليّاً، وهذا يعمّ البرَّ والفاجر، ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ في مقابلة الحمد. وقوله: ﴿مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ أي: إذا دعت الحاجة، والأكل ليس له ذوقٌ إلا من بعد الجوع.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]: أي: كافّة تكفُّهم عن الوقوع في النار وعن أسباب الهلاك، فهو ﷺ كافّة ذاتاً، وكافّة وصفاً، وكافة روحاً.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦]: لا تمنن بالأعمال الصالحة فتعظمَ وتكبرَ في صدرك وتستكثرها، وهل عنده ﷺ من الأخلاق المذمومة حتىٰ ينهاه ربه عنه؟ حاشاه عن ذلك، بل هو خطابٌ لجميع الأمة.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ . . .﴾ [الشورىٰ:٥٢] الآية، قال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ أي: في الوقت المتقدِّم علىٰ خلقك وخلق روحك وسِرِّكَ ونبوّتك، ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: النبي ﷺ، نهدي بذلك النور ﴿مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾. اهـ.

وسُئِل، رضي الله عنه: ما المرادُ في قوله تعالىٰ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف:١٤٥]؟ فقال: القوّةُ: القبول، أي: اقبلها وسنُعينك عليها. ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾، لأنهم لا يقدرون عليها كلها. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم:٦٥]: لم يقل: واصبر، لأن الصبر: عمل الظاهر، والاصطبار: التحقّق بالباطن. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم:٦٦]: إذا أماتَ الإنسانُ نفسَه أحياه الله، ومن لم يَمُتْ فليس له الحياة.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة:١٢٨]، أي: وعلىٰ غيركم، وهو بالمؤمنين أحرص. ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وصفانِ ليس لهما تعلّقٌ بالجارِّ والمجرور في قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، وإذا قلنا: إنه رؤوفٌ رحيمٌ بالمؤمنين فقط كان مناقضاً لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال، رضيَ الله عنه، في قصة سيدنا موسىٰ حين نُودي من الشجرة، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ﴾ [النمل:٨]: إن نبيَّ الله موسىٰ لما أخذ الطلقُ امرأته خرَجَ يلتمس ناراً، فلمّا لاحت له النار في الشجرة قصَدَها، فقالت له الملائكة: ﴿بُورِكَ﴾ تهنئةً له بالمولود، ثم قيل له علىٰ سبيل الاستفهام: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾؟ وهذا يُقال: استفهامٌ تعريفي، كما تقول لبعض الناس: أيُّ شيءٍ هذا؟ وهو بين يديه تريد تعريفه به. وهذا من بعض مفهوم الآية، وما قيل في التفاسير فهو أصله.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة:٦١]: أي: الكفار يقولون في حقّه ﷺ: هو أُذن يصغي بأذنه ويقبل الكلام من أيِ أحدٍ جاء به، فرَدَّ الله عليهم، وقال له: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] أي: يؤمن هو عنهم ويصلح أعمالهم ويجبر ما فيها من خَلَل.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت:٢٥]: أي: من العمل، فكل من يعمل الخير

يقيّضْ الله له قُرَناءَ يزينون له ما يعمل من الخير ويُعينونه عليه، ومن يعمل الشر يقيّض الله له قرناء يزينون له عمل الشر ويساعدونه.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [الكهف:٣٣]: إذا أنبتت الأرض ولم يظلم صاحبُها وأدّىٰ حقوق الله فيها لم تظلم من نباتها شيئاً، أي: لم تُخفِ منه شيئاً، بل تخرج ما فيها كله. اهـ.

وسئل رضيَ الله عنه: ما المرادُ بالمتاع الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [هود:٣]، فقال: هو الصحة والعافية والتوفيق للأعمال الصالحة. ومن دعائه ﷺ: اللّهم إني أسألك صحةً في تقوىٰ، وطولَ عمرٍ في حُسْنِ عمل، ورزقاً واسعاً لا تعذّبُني عليه. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧]: أمَرَه بالصبر ثم عرّفه الالتجاءَ في الصبر؛ وإلاّ فالنبي ﷺ أعرفُ الناس بقيام الأمور بالله، فليس النّفي لنفي التشريك، ولكن ليعرّفه الالتجاءَ والدعاءَ في العمل. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، بلسان أهل الإشارة علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل:٦٨]: هي الأرواح خاطبها الله تعالىٰ: ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ ﴾ عبارةً عن العارفينَ بالله ﴿ بُيُوتًا ﴾ أي: معاهد، ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾: ما يخرج من أولئك الجبال، ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ أي: مما يعملون من الأعمال، ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾: من كل ما يَرِدُ عليهم من الواردات والأحوال، ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾: مناهجَه وطرقه، تصِرْ مذللةً لَكِ وأنتِ مذلَّلةٌ لها وميسّرة،

وذلك أنه إذا وصل السالك لهذا المقام تصير الطرق كلها في حقه طريقاً واحداً تجذبه إلىٰ الله. والتذلل شرط الحصول، فالمتكبّر لا ينال شيئاً. فعند ذلك ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾، فلا يخرج منها إلاّ ما ينفع الناس.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]: لا يقف علىٰ عجائبه إلاّ المطهَّرون، وهكذا في جميع الأشياء، فمن ابتغىٰ العلمَ فقل له: لا يمسه إلاّ المطهرون، فمن ابتغىٰ الولاية فقل له: لا يمسها إلاّ المطهرون. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء:٣]: فهمتُ فيها فهماً آخر: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ﴾ أي: محمدٌ ﷺ ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

وقال، رضيَ الله عنه، عند قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢]: أي: خلَفاً يقضي فيهما ما فات من الأوراد والأعمال الصالحة. وإذا فات الإنسانَ شيءٌ من الأعمال الصالحة ولم يقضِه لم يتيسّرْ له العمل به بعد، وهذا مجرَّب. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، عند قوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]، أي: لا يتلفتون ولا يدقون الأرض بأقدامهم ولا يرمون بالأحجار ما بدا لهم، ولا يمدون أعينهم إلىٰ الثقوب والكُوىٰ في الحيطان، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: كظَموا غيظهم وصبروا.

وقال، رضيَ الله عنه: عجبتُ من المفسِّرين إذ قالوا في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٨]: إنه بمعنىٰ منَضَّدٍ بعضُه فوقَ بعض،

واقتصروا عليه، وإنما هو بمعنىٰ: مهضوم لا يُقلق ولا يُثقل ولا يُغْثِي، فهو: فعيل: بمعنىٰ مفعول وبمعنىٰ فاعل، فهو مهضومٌ في نفسه وهاضمٌ لغيره قال شيخنا الحبيب صالح بن عبد الله العطّاس: إن الخريف مثل لبن الأُم لا يكرب ولا يضر. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، عند قوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ [السجدة: ٢٧]، قيل: أرض الجُرز أرض اليَمَن، وقيل غير ذلك، وفي الحقيقة كل أرضٍ يابسةٍ يسوق الله الماءَ إليها: أرضٌ جُرز. ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ﴾، وكذلك القلوب إذا نزلت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحيا وتزرَعُ الرغبة في الخير والأعمال الصالحة والنيات الصالحة ويزيد الإيمان فيها. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى . ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلىٰ: ١-٢]: سوّى الأصابع والأظفارَ وجميعَ الأعضاء، وسوّىٰ جميع الأشياء. ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾: يُخرجُ المولودَ من بطن أمه فيأخذ ثدي أمّه ويصير يرضع. قال تعالىٰ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ . فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلىٰ: ٤-٥]، فالدنيا كلُّها مرعىٰ إذا اخْضرّت فكلوا منها، وإذا يبست فلغيركم. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [القصص: ٧٧]: يعني: من قوّةٍ وهمّةٍ وسمعٍ وبصر؛ وجميع ما أعطاك الله ﴿ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾، وبعد ذلك قال: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾، فالدنيا ليست كلها لك ولكنْ لك نصيبٌ منها، والباقي نصيبُ غيرك. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢]: تقوىٰ القلوب هو: إنصافُها واعترافُها، وإعطاءُ الشيء حقَّه، وإعطاءُ العالِم حقَّه، وإعطاءُ العارف بالله حقَّه، وإعطاءُ المسجد حقَّه، كل هذا من تقوىٰ القلوب. اهـ.

وسُئل رضيَ الله عنه عن قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾ [الأنعام:١٤٧]: كيف قُوبل ذكرُ الرحمة بذكر التكذيب؟ فأجاب بأن تقديرَ الآية: فقل ربكم ذو رحمةٍ واسعةٍ إن رجعتم عن التكذيب، وإن كذبتم ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

وقال رضيَ الله عنه: ذهب الجمّ الغفير من المفسّرين إلىٰ أنّ المرادَ بالرسول الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير:١٩]، إلىٰ آخر النُّعوت: هو سيدنا محمدٌ ﷺ، وهو الصواب إن شاء الله تعالىٰ، أليس هو ﷺ بكريم! أمَا هو ذُو قوّة! أمَا هو مطاع ثم أمين!

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة:٢]، قال: الكتاب: هو القرآن، والحكمة: كلام النبي ﷺ. ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [النساء:١١٣]، الحكمة هنا: تأويل القرآن، وكلامُ الله وكلامُ رسوله موضوعٌ لمخاطبة القلوب والقوالب والأشباح والأرواح والصّور والمعاني. وجاء أُناسٌ يريدون أن يترجموا القرآنَ باللغة الجاويّة والهندية وغيرها من اللّغات، والله تعالىٰ يقول: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر:٢٨].

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ

ﵟالصَّالِحُ يَرْفَعُهُۥﵞ [فاطر: ١٠]: الكلم الطيب هو: لا إلهَ إلاّ الله، والعمل الصالح يرفعه، أي: الله يرفعه، أو الكلم الطيب يرفع العمل الصالح، وأيضاً العمل الصالح هو الإخلاص. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﵟإِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ. فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ. أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ. رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُﵞ [الدخان: ٣-٦]، فالمرسَل: هو الرحمة، وبعضهم فسّر الرحمة به ﷺ، ويؤيده قوله: ﵟإِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُﵞ.

وقال، رضيَ الله عنه، عند قوله تعالىٰ: ﵟإِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚﵞ [التغابن: ١٤]، وليس هناك عداوةٌ ظاهرة، بل عداوة باطنة، يَحْملونك علىٰ أشياء تُشتّت باطنك وتدخُلك في مداخلَ غيرِ مأذون لك في الدخول فيها ولا أحدَ يطيقها، وليسوا كلهم بل بعضهم؛ لأنه قال: ﵟإِنَّ مِنۡﵞ و «مِن» للتبعيض. اهـ.

(فائدة) وفي مجموع الكلام للحبيب العلامة عمر بن أحمد بن سُميط رحمه الله، قال: رأيتُ في كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس رضيَ الله عنه أنّ معنىٰ قوله تعالىٰ: ﵟوَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًاﵞ [النساء: ١٤١]: يعني في انتزاع الإيمان من قلوبهم، لا ما هو في غلبة الأجسام، انظر إلىٰ سحرة فرعون لما آمنوا توعّدهم فرعونُ بالصلب وتقطيع الأيدي والأرجل، ولكن ما قدر أن ينتزع إيمانهم، أما غلبة الأجسام قد حصل حتىٰ للأنبياء وغيرهم. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ بعد ذكر الأنبياء: ﵟأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]: أي كل ما يقرِّبهم من ربهم من سرٍّ و نيّة ومن عمل ومن همة ومن خلطة ومن أُخُوّة ومن مجلسٍ ومن فعلٍ ومن تركٍ ومن أخذٍ ومن عطاء . اهـ.

وقال الحبيب أحمد بن حسن العطّاس رضيَ الله عنه: بلَغَنا أن الحبيب محسن بن علوي السقاف يقول في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩]: إنه مَثَلٌ للدُّنيا.



ومن ذلك ما نُقل عن سيدنا الإمام مطلع الأنوار ومنبع الأسرار الحبيب العارف بالله عبد الله بن محسن بن محمد العطّاس، نفعنا الله به في الدارين، المتوفىٰ بمدينة (بوقور) بإندونيسيا سنةَ ١٣٥١هـ[1]

سُئل رضيَ اللّه عنه، عن معاني أوائل السّور القرآنية، مثل: ﴿الٓمٓ﴾ وغيرها، فقال نفع اللّه به: إن الحروفَ المذكورةَ إشارةٌ إلىٰ جميع ما في السور برمزٍ يفهمه الحبيب ﷺ، والخطابُ فيها موجّهٌ إليه صلوات الله وسلامه عليه، فقوله: ﴿طه﴾ [طه:١] يعني: يا طاهر، وقوله: ﴿نٓ﴾ [ن:١]، يعني: يا نونَ عينِ الوجود، وهكذا. وفيه إشارةٌ إلىٰ كمال محبة الله لرسوله ﷺ، فكما أن نون عين الإنسان هي التي تُبصَر بها الأشياء، فكذلك أنت عينُ الوجود ومظهر تجلّي الذات الأحدية. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]: إنّ الخشيةَ شرطٌ في العلم النافع، فإذا وُجد العلم ولم

(١) السيد الشريف الوليُّ الصالح الحبيبُ عبد الله بن مُحسِن بن محمد بن عبد الله العطاس. مولده بحُرَيضة ووفاته بـ(بوقور) سنة ١٣٥٢هـ. أخذ عن الحبيب أحمد ابن حسن العطاس وطبقته، والحبيب محمد المحضار، والحبيب محمد بن عيدروس الحبشي، وغيرهم. وكان صاحبَ جاهٍ كبير في (جاوة)، أخذ عنه كثير من الأكابر كالحبيب علوي بن طاهر وأخيه عبد الله بن طاهر آل الحدّاد، والحبيب أحمد مشهور الحداد، والحبيب سالم بن حفيظ، وغيرهم. وجمع كلامه تلميذه الشيخ عبد الرحمن بارجاء.

توجد الخشية فليس صاحبه من أهل العلم النافع، والخشية في العلم لا تأتي من جهة الكسب، بل من جهة الفيض الإلهي، ومتىٰ وُجدت الخشية في القلب فاض نورُها علىٰ الظاهر، والعلمُ بالله مقرونٌ بالخشية. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]: ما المرادُ هنا بالكتاب، هل هو كما قال بعضهم: اللوح المحفوظ، أم هو: أمّ الكتاب؟

فقال رضيَ الله عنه: المرادُ بالكتاب هنا القرآن، ومعنىٰ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾: أنّ القرآن حَكَمَ علىٰ جميع الأشياء بأحد الأحكام الخمسة، ومعنىٰ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾: من الحكم علىٰ الموجودات كلها، أو كما قال.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠]: فصل الخطاب: هو الحكم الظاهر، والحكمة: عامة للظاهر والأسرار الباطنة، وقد يكون عند الإنسان فصل الخطاب ولا تكون عنده الحكمة، وقد تكون عنده الحكمة ولا يكون عنده فصل الخطاب.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]: الرزقُ المشار إليه ـ بأنه في السماء ـ هو العلم؛ لأن جميع الأرزاق: الحسيّة والمعنوية لا يتوصَّل إليها إلاّ به.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة:٥٥]: فما وجهُ تعذيبهم بها في الدنيا معَ أن ظاهر حالهم يدل علىٰ كمال نعيمهم في الدنيا بأموالهم

وأولادهم؟ فقال نفع الله به: إن تعذيبهم بها في الدنيا هو اشتغالُهم بها عن الله وعن معرفة الحق، أو كما قال.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]: ما المراد بالحكمة؟ فقال نفع الله به: المراد بها الشرع الذي هو أقواله ﷺ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]: فالأرض الموروثة هنا هي المساجد ومواطن العبادة والطاعة وأرضُ الجنة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]، فالأرضُ واحدة، وإنما اختلفت بالأحكام، وهذه التي يرثها عباده الصالحون، وأما بقية الأرض [فهي] لهم ولغيرهم كما هو مشاهد. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١]: والمراد بالحجاب هنا هو المصطفى ﷺ ونوّابه من الأولياء والعلماء، فكلامه لنا من جميعهم هو بواسطة الأحكام الصادرة من أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]: الضمير هنا راجعٌ إلىٰ اليوم، لا إليه سبحانه وتعالىٰ؛ لأنه لا تختلف عليه الشئون.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]: الجنة الأولىٰ في الدنيا وهي جنة التنعّم والتلذّذ بالأعمال الصالحة، وعدم تكدير الشيطان عليه حالَه فيها، ثم تأتي نعمة الجنة الأخرىٰ

في الآخرة والنظر إلىٰ وجهه الكريم جلّ شأنه. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦]، أي: أحببتَ له الهداية، لأنه ﷺ مجبولٌ علىٰ محبة الناس كلهم، ومحبة الهداية لهم لا تمنع مرادَ الله فيهم. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ . . . ﴾ [الإسراء:٨٠]، فقال نفع الله به: إن ذلك إشارةٌ إلىٰ النية وصلاحها وصلاح الأعمال في المدخل والمخرج، لأنه قد يعرض لإنسانٍ ما يغير النية، والسُّلطان هنا لعلَّه إشارةٌ إلىٰ زيادة العلم اللّدُنّي. اهـ.

وسُئل رضيَ الله عنه، عن المراد بالسكينة المنزلة في قلوب المؤمنين المشار إليها في قوله تعالىٰ في سورة الفتح: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح:٤]، فقال نفع الله به: هي استلام الأحكام بالرضىٰ وعدم النزاع؛ لأن الإنسان قد يستلم الحكمَ بلا رضىً ولا تسليم. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن الحكمة في تقديم المال علىٰ البنين في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف:٤٦]، فقال نفع الله به: لأن المالَ سببٌ في وجود البنين، فإنّ عَقدَ النكاح لا يكون إلاّ علىٰ مال أو ما يقوم مقامه، والمال أيضاً سببٌ في الغذاء الذي تكون منه النطفة التي يكون منها البنون، فلذا قدّم سبحانه وتعالىٰ المال علىٰ البنين.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠]: إن معنىٰ الاستجابة هنا إجابة الداعي كما يجيب المدعو

من دعاه، وأما إعطاؤه المدعوَّ به فهو تابعٌ لعلم الله بالمصالح. والعبد قد يدعو بشيءٍ يضره لو استجيب له وعُجِّل مطلوبه، ولكنه سبحانه يُعَجِّلُ له ما هو الأنفع والأصلح؛ والباقي يدّخره له في الآخرة، أو يدفع به عنه ما يضره. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ [الشرح: ٧]، أي: إذا فرغتَ من عملٍ من أعمال البر فانصب في عملٍ آخر؛ لأنّ الحسنةَ تتبعها حسنةٌ جزاءً لها. والسيئة تتبعها عقوبةٌ لها. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه: إنّ مَن قال من المفسّرين: إنّ الساجدين هم الصحابة في قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، وقَصَرَ المعنىٰ علىٰ ذلك فقد تحجّر واسعاً، بل إن الساجدين: هم الذين ظهر فيهم الرسول ﷺ بخُلُقٍ من أخلاقه أو عمل من أعماله أو علم من علومه أو سرٍّ من أسراره، ويدخل في هذا آباؤه إلىٰ آدمَ من باب أوْلىٰ لظهوره فيهم ومنهم حسّاً ومعنىً، فلا يجوز أن يكون فيهم غيرُ مسلم، وهو الخيار وهم الخيار، كما قاله ﷺ: «أنا خِيارٌ من خِيار». ثم يدخل في الساجدين أصحابُه، رضيَ الله عنهم أجمعين، لأنه ما من واحدٍ منهم إلاّ وقد تخلّق بخلُقٍ من أخلاقه أو عملٍ من أعماله أو علم من علومه أو سرٍّ من أسراره، فهو مظهرُ تقلُّبه فيهم ﷺ. ثم يدخل فيه أهلُ بيته خصوصاً، لاختصاصهم في الانتساب إليه حساً ومعنى، ثم يدخل باقي الأُمّة عموماً. فما من مظهر من مظاهر الخير إلاّ وهو من تقلباته ومُمَدٌّ من نوره ﷺ. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [قَ: ٣٧] أي: قلبٌ نوراني، ﴿ أَلْقَى السَّمْعَ ﴾ إلىٰ أهل القلوب النورانية. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]: المراد بالمغضوب عليهم: هم علماء اليهود والنصارىٰ جميعاً، والضالين: هم الذين اتبعوهم وأطاعوهم، المشار إليهم بقوله تعالىٰ حكايةً لهم: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٧]. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد: ١٥]: ما معنىٰ السجود كرهاً؟ فقال نفع الله به: السجود كرهاً هو ما يظهر منه وعليه من العجز والنقص وعدم القدرة علىٰ المرادات، أو الاستقلال في كل شيءٍ كان، فهذه الأحوال تجعله ساجداً كرهاً علىٰ الإذعان والعجز والافتقار إلىٰ الربوبية.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ [يونس: ٨٧]، فقال رضيَ الله عنه: يعني محلاً للعبادة والذكر. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠]: أمره الله أن يقتديَ بهداهم ولم يأمره أن يقتديَ بهم، لأنهم في الحقيقة نوابٌ عنه ومبلِّغون لهديه، وهو إمامهم وهم أتباعٌ له، فهم ــ وإن تقدّموه في البروز إلىٰ هذا العالم ــ فإنَّ تقدّمهم إنما هو نيابةٌ عنه.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]: عند ائتماركم بأوامره واجتنابكم نواهيَه، فبقدر الائتمار بالأوامر والاجتناب للنواهي تكون المعيّة، فمن أراد أن يعرف مقامه عند الله ورسوله فلينظر مقامهما عنده. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا

يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨] أي: لا يبصرون ما خصّك الله به من الكمالات، أثبتَ لهم نظرَ الأبصار ونفىٰ عنهم الإبصار الحقيقي.

وسُئِل، رضيَ الله عنه، عن البلاء الحسن المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [الأنفال:١٧]، فقال رضيَ الله عنه: البلاء الحسن: هو الذي يصحب الإنسانَ اللطفُ فيه، ويحصل له الأجر بواسطته، ويخِفُّ عليه موقعُ المكروه بسببه. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ حكايةً عن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]: لسان الصدق: هو سيدنا محمدٌ ﷺ.

وقال، رضيَ الله عنه، بعدَ تلاوة قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]: إن السببَ في وقوع الأجر لهم بغير حساب كونُهم في مقام المعيّة، ومقامُ المعيّة ثلاث مراتب: فهو مع الأنبياء بالنصر والحفظ والقدرة، ومع الأولياء بالقدرة والحفظ، ومع باقي الناس بالقدرة.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عما قيل في قوله تعالىٰ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]: أنهما عليٌّ وفاطمةُ رضيَ الله عنهما؟ فقال نفع الله به: نعم هو كذلك، والمراد بـ ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢]: الحسنُ والحسين، فهما نُور النّبوّة والفُتوّة. فاللؤلؤ: نور النبوّة، وهو من فاطمة، والمرجان: نُور الفتوّة، وهو من عليّ، رضيَ عنهم أجمعين.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]: إن الضميرَ في قوله: ﴿وَجْهَهُ﴾ يعود علىٰ الشيء،

والمعنىٰ: أنّ جميع الأشياء قائمةٌ بالحق ومنسوبةٌ إليه، ومعنىٰ الوجهِ القائمِ به ذلك الشيءُ: هو الله سبحانه وتعالىٰ؛ لأن الأشياءَ كلّها قائمةٌ به، فيصير المعنى: كل شيءٍ هالكٌ إلاّ الله، فالأشياء كلُّها منسوبةٌ إلىٰ الله حقيقة، وإلىٰ غير الله مجازاً، وما ثَمَّ غيرُ الله تعالىٰ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]: إن جميعَ الخلق بَرِّهم وفَاجِرِهم، مؤمنِهم وكافرهم، ما خلقهم الله إلاّ للعبادة، فكلهم يعبدون، المؤمنون يعبدون الرحمن، والكفار يعبدون الشيطان، فالذين يعبدون الرحمن هم أهل الجنة، والذين يعبدون الشيطان هم أهل النار؛ فبهذا المعنىٰ كلهم في عبادة.

فقيل له: هل تسمّىٰ عبادة أهل الكفر والضلال عبادةً؟ فقال: نعم، ولذلك يقول أهل العلم: التلبُّس بالعبادة الفاسدة حرام، سمَّوْها عبادةً ولو كانت حراماً، كما يقال: الرزق ما ينفعُ ولو كان حراماً. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]: إن الحق جلّ وعلا إذا دعوته لبّىٰ دعوتك، فإذا قلت: يا ربّ، يقول: لبيك يا عبدي. فالإجابة لا بد منها، وأما الذي تطلبه منه فهو ينظر فيه: إن كان خيراً ولك فيه مصلحةٌ أعطاك إياه، وإن كان شراً وليس لك فيه مصلحة منعك منه، لأنه إنما يعطيك الذي يعلمه أنه خيرٌ لك، لا الذي يعلمه أنه شرٌ لك وإن كنت تظن أنه خيرٌ لك، فأنت تسأله بحسب علمه. مثال ذلك: إذا جاء ولدك الصغير وأنت تحبّه وطلب منك شيئاً وهو يضرُّه، ولكنه لا يدري هل تعطيه ذلك أو تمنعُه إياه، فصار المنعُ عينَ العطاء لأنك منعته ما يضره، وهكذا الحقُّ مع عباده: ينظر إليهمُ الأصلحَ؛ لأنه أشفق بهم من أنفسهم،

وأشفق من الوالد بولده. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، بعد تلاوة قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]: فالعَمَد ما نفاها؛ بل نفىٰ رؤيتنا لها؛ لأنها موجودةٌ ولكن لا نراها. قال الحبيب عبد الله الحداد: [طويل]

ولـــولاهمُ بين الأنـــامِ لـدُكْـدِكَـتْ

جبـــالٌ وأرضٌ لارتكـــابِ الخَطِيئَـــةِ

فهؤلاء العَمَد، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]، والمعنىٰ في ذلك: أن أكثرَ أهل الأرض كفارٌ ومنافقون، ولهم ذنوبٌ وسيئاتٌ كأمثال الجبال، والأعمالُ تتصوّر في صُوَر وأمثال كما تصورّت الأعمال للنبي ﷺ ليلةَ الإسراء، وأعمال الكفار والمنافقين لمّا كانت ثقيلةً لا تستطيع الأرضُ حملَها بل تدكدكت بها، فإن كل حسنةٍ من حسنات المؤمنين بعشر أمثالها، فكل حسنةٍ تقابل عشراً من سيئاتِ الكفار بهذا الاعتبار؛ فلهذا لم تَـتَدَكْدَكِ الأرض، فكانوا هم الرواسيَ لها بسبب حسناتهم ولو كانوا قليلاً بالنسبة للكفار، ولكن لمّا ضاعفَ الله حسناتهم رجَحَتْ بسيئاتِ الكفار والمنافقين، فحفظ الله بهم وبحسناتهم الأرض والسماء فهم عمدها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ..﴾ إلخ [الفتح: ٢٥].

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٨]: إن سيدنا محمداً ﷺ أُعطِيَ عِلمَ الأوّلين والآخِرين، وهي:

علومهم بالله تعالىٰ، وجميعُ شرائع الأنبياء كلُّهم من شريعته، وهم نُوّابٌ عنه ﷺ، ومعنىٰ يؤمنون به: يؤمنون بشريعته حقيقةً، فلذلك لما برز ﷺ للوجود بجسمه وروحه أخذ ما معهم من الشرائع التي هي شريعته، حتىٰ إنه ﷺ صلىٰ بهم إماماً في بيت المقدس.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]: إن الإسراءَ به ﷺ إلىٰ بيت المقدس وإلىٰ السماء وقع بالروح والجسد، ومن قال: إن الإسراءَ وقع بالجسم والروح إلىٰ بيت المقدس وبالروح فقط إلىٰ السماء فقد أخطأ، لأن الأحكامَ الشرعية لا يتلقّاها إلاّ بالجسم والرُّوح، فالجسم مظهَرُ خدمة العبد لسيده، ولا تطلَق العبديّة إلاّ علىٰ الجسم والروح، لذلك قال الله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، فالجسم والروح مظهر التكليف، ومن هنا فرض عليه الصلاة وغيرها من الشرائع. اهـ. أو كما قال.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ. قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾ [طه:١٧-١٨]: المراد بالعصا: الشريعة، معنىٰ ﴿أَلْقِهَا﴾: يعني ألقها علىٰ سحرهم ليبطل، فألقاها فبطل سحرهم؛ فسرُّ الشريعة وُضِعَ في العصا والعصا صورة.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧]: يعني: اعلموا واعملوا حتىٰ يتبين لكم الحقيقة، وإذا ظهرت لكم الحقيقة، فلا تتركوا العمل، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾: يعني: أديموا العمل بعد ظهور الحقيقة ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ يعني الموت. فالتكليف لا يسقط عن أحدٍ إلاّ بالموت، ولكن

إذا ظهرت للإنسان الحقيقة سقطت عنه كلفة العمل، لا التكليف، فيصير العمل سهلاً عليه. والتكليف رتبةٌ عظيمة، وهي الأمانة التي عرضها الله تعالىٰ علىٰ السموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحمِلنَها وحمَلَها الإنسان. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج:١٩ ــ ٢٠]، فأجاب بقوله: إنّ الجزعَ والبخل مخلوقـان في طبع الإنسان، ولكنّ المؤمن لا يتخلّق بهمـا؛ لأنَّهُ مأمورٌ بعدم التخلّق بهما، فيُثاب علىٰ مجاهدته علىٰ تركهما، بل الصفاتُ كلها: المحمودة والمذمـومة في طبع كل إنسان، لكن الصفـات المحمـودة في حق المؤمن مطلقـة، والصفات المذمومـة في حقه مقيـدة، فإذا وصفـتَ المؤمن مثلاً بالإيمان فهو الإيمان بالله ورسوله، وإذا وصفته بالشكر فهو الشكر لله تعالىٰ، وهكذا في سائر الصفات المحمودة، فإذا قلت مثلاً: كافر، فمعناه كافر بالجِبْت والطّاغوت، وإذا قلت: شحيح يعني شحيحٌ علىٰ دينه، وهكذا سائر الصفاتِ المذمومة، إذا وصفته بها قَيّدْها. وأما الكافر عكس المؤمن، فالصفات المذمومة في حقه مطلقة، والصفات المحمودة في حقه مقيدة، فإذا قلت: كافر فمعناه كافرٌ بالله تعالىٰ، وإن قلت: شحيحٌ فهو شحيح بما أوجبَ الله عليه، وإن وصفته بالأوصاف المحمودة وقلت: هو مؤمن فهي مُقيَّدة، يعني: مؤمنٌ بالجبت والطاغوت، وإن قلتَ: محسنٌ فهو محسن للشيطان، وهكذا بقية الأوصاف الحسنة إذا وصفته بها فقيِّدْها.

وسُئل رضي الله عنه، عن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [النساء:٩٣]، فأجاب بقوله: هذا الوعيدُ لمن قتل المؤمنَ متعمِّداً إيمانَه، أي: بسبب أنه

مؤمن، فمن قتله بهذا السبب فقد كفر، ويستحق هذا الوعيد؛ لأن الخلودَ في النار لا يقع إلاّ للكفار، وأما من قتله متعمداً قتْلَه لدعوىٰ يدّعيها فقط لا يقع في حقه الخلود في النار، بل يعذَّب فيها ما شاء الله، ثم يدخل الجنة، فلا بدّ من دخول الجنة. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]: هو نفي، و ﴿مَآ﴾ نافية، يعني: ما أنزل شيءٌ من السحر علىٰ الملكين هاروت وماروت، بل الذين يعلّمون الناس السحر هم الشياطينُ الذين كفروا كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، فقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ معطوفٌ علىٰ قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يعني: منفيٌّ أيضاً، لا يكون منهما تعليمٌ حتىٰ يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، هذا اللائق بمقام الملائكة، وأمّا ما ذكره بعض المفسّرين في حق هاروت وماروت فليس لائقاً بمرتبة الملائكة، وكيف يتصوَّر أن ينزل السحر علىٰ الملائكة ووظائفُ الشر كلها قد جعل الله القيام والمَظْهَر لها الشيطان؟! فلا يقوم بها أحدٌ غيرَه إلاّ مِن أعوانه نيابةً عنه، وهل يتصور أن تكون الملائكةُ مظاهرَ لوظائف الشيطان؟!

وقال، رضيَ الله عنه: إن رؤيته ﷺ للحق جلَّ وعلا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٤]، رؤيةُ شهودٍ للأسماء والصفات؛ لأن سدرةَ المنتهىٰ منتهىٰ عالَم الخَلْق. وهذه الرؤية استمرت معه ﷺ، وهو شهود الحقّ في الخلق، وشهود الخلق في الحق؛ لأنها منتهىٰ عالم الخلق، ومن فوقها عالم الأمر. وأما الرؤية المشارُ إليها بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ

دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ٨-١١] فهي رؤية عِيانٍ للذات المقدَّسة، وهذه الرؤية انقطعت.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]: كيف أثبت لهم الخلود أولاً بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، ثم أعقبه بالاستثناء، فقال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، ثم أثبت لهم عدم انقطاع العطاء لقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، وهو مِن لازِمِه الخلود؟

فأجاب، نفعَ الله به، بقوله: إن الحق جلَّ وعلا لا يقيِّد القدرة، بل يجعل المشيئةَ مطلقةً في كل شيء، ولهذا قال: ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، وأما قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ فمعناه: نعيمٌ غيرُ منقطع بضده، وليس أنه غير منقطع مطلقاً، فالمشيئة مطلقة، والعطاء غيرُ منقطع بضده. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن حكمة تقديم السجود علىٰ الركوع في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] مع أن الركوعَ مقدمٌ بالفعل علىٰ السجود؟ فقال نفع الله به: إنه قدّم السجود علىٰ الركوع اهتماماً بشأنه، لما فيه من الإذعان الكامل لله، ولذا شُرع فيه أن يقول المصلِّي: «سبحان ربي الأعلىٰ»، فهو محلّ القرب والاقتراب، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العلق: ١٩]. اهـ.

وسُئل أيضاً عن حكمة تقديم الذِّكر علىٰ الفكر في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، فقال للسائل: اقرأ الآية التي قبلها: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فإذا ذكروا فيها تفكّروا فيها، فالذكر أورث لهم الفكر، وهذا الفكر في المخلوقات المخاطَبون به أُناسٌ لم يَصِلُوا إلىٰ مرتبة الكشف، فأمّا الواصلون مرتبةَ الكشف فخاطبَهم قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]؛ لأن العوالِمَ كلها منطويةٌ في النفس، وكل إنسانٍ عالَمٌ مستقل: [متقارب]

أتحسبُ أنّك جِرْمٌ صغيرٌ وفيكَ انطوىٰ العالَمُ الأكبرُ[1]

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]: إنهم طلبوا الرحمةَ وهم فيها، وما خُلقوا إلاّ منها، ولكن طلبوا رحمةً خاصّةً وهي الرحمة اللّدُنّيةُ المفهومةُ من قولهم: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ كما في آيةٍ أخرىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا..﴾ [آل عمران: ٨]، أثبتوا الهدايةَ ـ وهي الرحمة ـ وهم فيها، وما طلبوا إلاّ الرّسوخَ عليها، ثم طلبوا الرحمةَ اللّدنّية، فقالوا: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]: ليس المرادُ من الهدايةِ الهدايةَ العامة إلىٰ طرق الشريعة، بل المراد بها الهداية الخاصة إلىٰ الذات الأحدية.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]: إنّ الظلَّ هنا هو الوجودُ كله عموماً، والعلماءُ بالله خصوصاً، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: لم يمده، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي:

---

(١) هذا البيت ينسب للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقبله:

دواؤك فيك وما تبصرُ وداؤك منك وما تشعرُ

شمس الحقيقة، كما أن هذا الظل الظاهر لا يُعرف إلاّ بالشمس.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالأحسَنِيّة: هي اللائقة بحال من تجادله، فبعضهم يُلائِقُهُ اللِّين والرِّفق، فالأحسنية في حقه: اللين والرفق. وبعضهم بالعنف والشدة، فالأحسنية في حقه: العنف، وهكذا كلٌّ بما يناسبه في حاله الذي هو فيه.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٢٨]: الكيد العظيم يختلف، فبعضهن كيدهن عظيمٌ مُطلقاً، وبعضهن مقيدٌ بأنَ كيدَهن عظيمٌ علىٰ الشيطان، وهُنَّ: الصالحات اللاتي ذُكِرَتْ بوصف الرُّجُولية، أو مِن اللاتي يندرج وصفُهن ضمنَ هذه الآيات الخمس في قوله تعالىٰ:

١ ـ ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٢ ـ ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ. رِجَالٞ﴾ [النور: ٣٦].

٣ ـ ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

٤ ـ ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ﴾ [التوبة: ١٠٨].

٥ ـ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ [الحج: ٢٧].

فهذه المواضع تُسمَّىٰ فيها النساءُ رجالاً.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ في سؤال أهل الجنة للمجرمين بقولهم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢]: ما الحكمة في هذا السؤال؟ فقال نفع الله به: هو من تمام النعيم لأهل الجنة يتلذّذون بذلك، لأنّ أعداءهم في الدنيا يضحكون منهم ويستهزئون بهم. وفي الدار الآخرة بالعكس، قال الله

تعالىٰ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٣٤].

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، أي: يراه في الدنيا والبرزخ والآخرة، فإذا فعلتَ معروفاً مع أحدٍ أو نفَّست كربتَه أو عملتَ شيئاً من أعمال البر، سخّر الله لك من يفعل معك ذلك، والجزاء من جنس العمل، هذا في الدنيا، وأما في البرزخ فتتصور لهم أعمالهمُ الصالحة في صورٍ جميلةٍ تؤنسهم في قبورهم، وفي الآخرة النعيمُ المقيم. وعكسُ العاملين للخير العاملون للشر إذا ضرُّوا أحداً وفعلوا شيئاً من أمور الشر يُسخِّر الله لهم من يضرُّهم ويفعلُ معهمُ الشر مثل ما فعلوه من جنس عملهم، وفي البرزخ تتصوَّر لهم أعمالهمُ الشريرة في صورةٍ قبيحةٍ مفزعةٍ تؤذيهم، وفي الآخرة العذابُ الأليم.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾ إلىٰ: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت: ١٠]: ما الحكمة في خلق الأرض في يومين وتقدير أقواتها في أربعة أيام والحقُّ جلّ وعلا يقول في نفسه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]؟

فقال نفع الله به: لأنّ الأرضَ من عالَم الحكمة، وعالمُ الحكمة لا يكون إلاّ بالتدريج، وأما عالمُ القدرة فلا يكون بالتدريج بل هو تحت قوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾، كما أراده من غير تدريج، وكل شيءٍ من خَرْق العادة فهو من عالم القدرة، كمسراهُ ﷺ إلىٰ بيت المقدس وإلىٰ السموات وإلىٰ العرش وإلىٰ ما شاء الله في ليلةٍ واحدة، فهذه من عالم القدرة، وسيرُه من مكة إلىٰ

المدينة في اثني عشر يوماً من عالم الحكمة، وما وقع له من الشدائد من الكفّار والمنافقين وتَصعُّبُ بعض الأمور عليه من عالم الحكمة، وما وقع له من تفجير الماء من بين أصابعه وإشباع الجمّ الغفير من الشيء اليسير، وغيرُ ذلك من المعجزات: من عالم القدرة.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن الأمانة في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية؟ فقال رضيَ الله عنه: الأمانة هيَ الخلافة، قال تعالىٰ في حق آدم: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، يعني: أن الحقَّ جلّ وعلا أعطاه نموذجاً من صفاته لأجل أن يعرُجَ بها من نفسه إلىٰ معرفة الحق، فالصفات التي في آدمَ من السمع والبصر والكلام والحياة والإرادة والعلم ـ إلىٰ آخر الصفات ـ مقيدة، ولها حدٌّ محدود، وما يكون للإنسان إلاّ ما أعطاه الله منها، إلاّ صفةَ الإرادة فتكون مطلقةً، فالإنسان يريد كل شيء، مثالُ ذلك: إذا خطر له في خاطره شيءٌ يرغبه وهو يريد ذلك، فهنا إرادةٌ بلا قدرة، ولا تنفُذ إرادته إلاّ في الذي يقدِّره الله له، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]. وجميع الصفات التي أعطاها للإنسان هيَ أمانةٌ عنده، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]. ومعنى قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، أي: ظلوماً لنفسه جاهلاً بمعرفتها، ولو عرفها ما ظلمها. ا هـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]: قدّم الآفاقَ علىٰ الأنفس لكونهم يرونها كبيرةً في أعينهم، ولكن هذا خطابٌ عامٌّ للعامة، وأما

الخواصُّ من خلقه فخطابهم: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، فينكشف لهم سرٌّ تمتحق فيه النفسُ فيفنىٰ عن نفسه بالكلية، ومع ذلك يحس بها ولكنْ نَفْسٌ بريئةٌ من الحول والقوة، مثل الذي جالسٌ في الظلمة يحس بها ولا يراها، فالآفاق في حق الخواص تابعةٌ للنفس؛ لأن الكونَ كله منطوٍ في النفس: [متقارب]

أتحسبُ أنك جِرْمٌ صغيرٌ وفيك انطوىٰ العالمُ الأكبرُ

وقال رضي الله عنه: ليس المرادُ من الهداية في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦] الهدايةَ العامة إلىٰ طريق الشريعة، بل المرادُ بها الهداية الخاصة إلىٰ الذات الأحدية، يعني: إنك لا تهدي من أحببته إلىٰ الذات، ولكن الله يهدي من يشاء من الأنبياء إلىٰ هذه الحضرة؛ مثلُه: ﷺ وقع له الخطابُ والرؤية، وسيدنا موسىٰ وقع له الخطاب. أما الهداية في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، فهي الهداية العامة إلى طريق الشريعة. اهـ.

وسُئل، نفع الله به، عن قوله تعالىٰ: ﴿۞تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾ [البقرة: ٢٥٣] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾: لِمَ خصّص عيسىٰ عليه السلام بقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ وباقي الأنبياء ألم يؤتِهمُ البينات؟

فأجاب، رضيَ الله عنه، بقوله: إنّ آيات عيسىٰ خصّها بالذكر لكونها لم تكن مثلَ آيات الرسل الآخرين، مثلَ: إحياء الموتىٰ وإبراء الأكْمَه والأبرص، فإن الآيات تقع علىٰ حسب حال المرسَل إليهم، حتىٰ ذكروا أنه في وقت

سيدنا عيسىٰ كثُر الأطباء، فجاءت آياتُه بإبراء الأكْمَه والأبرص وإحياء الموتى علىٰ مقتضىٰ ما هم عليه، وهكذا كلّ رسولٍ، آياتُه تأتي علىٰ حسب قومه المرسَل إليهم، ونبينا محمدٌ ﷺ أكبرُ معجزاته القرآن الكريم، لكونهم في غايةٍ من الفصاحة والبلاغة في اللغة العربية، حتىٰ قال لهم الحق: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، فعجَزوا.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]: ما المراد بطُغيان البصر؟ فقال نفع الله به: يعني أنه لزم العدلَ ولا تعدّىٰ حدّه، بل أعطىٰ العبودية حقها.

وقال، رضيَ الله عنه، عند قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]: في هذه الآية عتاب علىٰ الإنسان، حيث أعطاه الله الاستعداد لتلقّي القرآن وفهمه، وهو لم يتصدَّع قلبُه من خشية الله، فكأن الحقَّ جلّ وعلا يقول: لو أعطينا الجبلَ الاستعدادَ الذي أعطينا الإنسانَ وأنزلنا عليه القرآن لتصدَّع من خشية الله، فكيف أنت أيها الإنسان وقد أعطاك الله الاستعدادَ وأنت بشرٌ فيك القابلية ولم تخشع ولم يتصدّع قلبك من خشية الله، والجبل حجرٌ ولو جعلنا له الاستعدادَ الذي جعلناه لك لتصدّع من خشية الله! ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وما هو موضوع تفكّرهم؟ هو في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]، وبعض هذه الصفات مع الإنسان منها شيءٌ، وهي جملة الاستعداد الذي جعله الله للإنسان، لأن الجماداتِ ليس لها شيءٌ من هذه الصفات، فهي لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل، فلذلك عاتب الإنسانَ علىٰ عدم تصدُّع قلبه والجبلُ جمادٌ

ويتصدّع من خشية الله لو كان معه استعداد الإنسان، قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤].

وسُئل رضيَ الله عنه: لِمَ شُبّهت الحورُ العِين بالياقوت والمرجان في قوله تعالىٰ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨]، أهو لصفاء جوهرهما؟ فقال نفع الله به: لا، بل لعزتهن وغلاء أثمانهن، وكونِهن معشوقاتٍ لمن يعرف عزتهن، كما ذكر الإبلَ في سورة الغاشية قبل ذكر السماوات والأرض والجبال، والحال أنّ خلقَ السمواتِ والجبال أكبر وأعظم من خلق الإبل، لكن الإبلَ محبوبةٌ عندهم وكبيرةٌ في أعينهم، فقدّم ذكرها لذلك.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ [الزخرف: ٤٥]: إنّ هذا الخطابَ للحاضر، والرسل حاضرون لديه ﷺ، يشهد لذلك قوله تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، فالإشارة هنا بقوله: ﴿ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ إلىٰ حاضرين، أي: من الرّسل وأُمَمهم، ويؤيدُ هذه الآيةَ قولُه ﷺ في حديث جابر: «إنّ الله خلق قبلَ الأشياءِ نورَ نبيِّكَ محمّدٍ ﷺ»[١]، فلولا تقدمُ وجوده علىٰ وجودهم لما جاء به شهيداً عليهم وعلىٰ أممهم؛ لأن الشهادةَ لا تكون إلاّ علىٰ عِلمٍ من الشاهد بما شاهد منهم. فالأشياءُ كلُّها عنده ﷺ حتىٰ القرآن عنده قبل تنزّله؛ لأن الله قال له: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ [طه: ١١٤]، وفي آيةٍ أخرىٰ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [القيامة: ١٦]، لأنه إذا نزل عليه جبريلُ بالوحي يحرّك لسانه؛ يريد أن يسبقَ

---

(١) وهو المعروف بحديث جابرٍ، وليس له سند يعتمد كما قال الإمام السيوطي.

جبريل بالنطق به. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ . فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧ ـ ١٨] أي: أنزلناه بحسب الوقائع والأحوال ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾.

وقال رضيَ الله عنه: الليلة المباركة المشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣] هو الحبيب ﷺ، فهو ﷺ النهارُ للوجود كله، والنهار لا بدّ له من ليلةٍ وهي الليلة التي أُنزل فيها القرآن، والمنزَلُ عليه ﷺ ثلاثة أقسام: القرآن، والحديث القُدسي، والحديث النبويّ الموقوفُ عليه ﷺ، وهذه الثلاثة الأقسام كلها من لَدُنِ الحق جلّ وعلا، كما قال تعالىٰ في حقه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، فقال نفع الله به: أي يسّرنا تلاوته بلسانك، أي: باللسان العربي، ولو كان شيءٌ من اللغات الأُخرىٰ غيرَ العربية لتعسّرت قراءتُه وفهمُ معانيه.

وقال، رضيَ الله عنه، بلسان الإشارة في قوله تعالىٰ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الشورىٰ: ٤٩-٥٠]: إنّ الإشارة في قوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ هي المقامات، وفي قوله: ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ هي الأحوال، وقوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ أي: يجمع له المقامات والأحوال، وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ أي: ليس له حال ولا مقام، فهي أربع حالات: إما يعطَىٰ الأحوالَ فقط، أو المقاماتِ فقط، أو يُجمَعُ له بين الأحوال والمقامات، أو لا أحوال ولا مقامات. والمقام أرفع من الحال، والجمع بين المقام

والحال أكمل، فالأحوال تُوصِلةُ إلىٰ المقام. اهـ.

وقال رضيَ الله عنه بلسان أهل الإشارة علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤]: إن المراد بالملوك: هي الأسرار والأنوار، والمراد بالقرية: هي القلب، والمعنى: أن الأسرار والأنوار إذا دخلتِ القلبَ أفسدت ما فيه من الصفات النفسية الدنيّة الموجبة للتكبّر والتجبّر والإعراض عما هو المقصود من التذلل والانكسار والانطراح لحكم القضاء والقدر، وعبّر عن هذه الصفات بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾، وإذا أفسد الأسرارُ والأنوارُ هذه الصفات؛ صفاتِ التكبّر والتعزّز، جعلَت أهلَها أذلّة؛ أي: متصفةً بالتواضع والتذلل والانطراح لحكم القضاء والقدر، فهي عكسُ الصفات الأولىٰ، وعبّر عنها بقوله: ﴿ أَذِلَّةً ﴾. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠]: إن الشيءَ كلُّ ما دخل في علمه وإرادته، وكلُّ ما تعلَّقت به القدرة، وأحاط به العلمُ فهو شيٌ من الأشياء، وما لم تتعلق به القدرة ويُحِطْ به العلم فهو المُحال ولم يكن أبداً. وقولُ سيدنا الغزالي رضيَ الله عنه: «ما في الإمكان أبدع مما كان» صحيح، ومعناه: أن المحالَ الذي لم تتعلقَ به القدرة ولم يدخل تحت العلم لا يكون أبداً.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢]: لها تفسيرٌ في الباطن مقابلٌ لتفسيرها الظاهر، وهو: كما أن الرياح تلقّح السحاب وتُنزل الأمطار وبالأمطار تحيا الأرض، كما قال تعالىٰ

في آيةٍ أخرىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فأرواحُ الصالحين كذلك، والرياحُ بالمعنىٰ الباطن: الأرواحُ تثير سحابَ العلم وتمطره علىٰ سماء القلوب فتحيا به الأرض؛ أرضُ الأجسام وما يتعلق بها من الجوارح، تحييها بالعبادات والأعمال الصالحة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾ أي: ماء العلم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢]، فالسماء سماء القلوب؛ لأن الأشياء كلَّها محلُّها القلب، قال الله تعالىٰ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ــ ١٩٤]، والرزق هو العلم؛ لأن الأشياءَ كلها متعلقة بالعلم، فلا يخرج شيءٌ إلاّ من العلم، ولا يُدرَك شيءٌ إلاّ بالعلم من جميع الأرزاق: الحسية والمعنوية. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ أي: في السماء التي هي سماء القلوب، ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ أي: ما وعدكم الله في الجنة من الثواب الذي ما نِلتموه إلاّ بالعلم، والرزق يدخل فيه المؤمن والكافر، إلاّ أنه يفترقُ من حيث النفع والضر؛ فرزقُ المؤمنين ينفعهم، ورزقُ الكفار يضرّهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ [الأعراف: ٥٧] هذا للمؤمنين، ﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ هذا للكفار. ولم يذكر الوعيدَ في الآية كما ذكر الوعد بقوله: ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾، لأنه لا يُقطع عليه بالوعيد إلاّ إن بقوا علىٰ كفرهم، وإن تابوا انتفى عنهم الوعيد، لذلك لم يذكر الوعيد.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ حاكياً عن دعاء سيدنا سليمان: ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص: ٣٥]: كيف هذا السؤال من سيدنا سليمان وظاهره التحجير علىٰ عطاء الله؟ فقال نفع الله به: ليس هذا من

التحجير في شيء، وذلك للاختلاف الواقع بين الناس في كل شيء، فلا يستوي أحدٌ مع أحدٍ في شيءٍ من المراتب، فما طلَبَ سيدُنا سليمانُ إلّا الذي له، لأن الاختلافَ لا بد منه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩]، يعني: للاختلاف خلقهم وهو يعلم ذلك، أو يكون بسبب طلبه هذا إظهارٌ للعلم بأن العطاء لا ينحصر ولا يتقيد، ومع ذلك فإن طلبه للمُلك الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده لم يقع علىٰ عطاء، بل هو نوعٌ واحدٌ من أنواع عطايا الحق جلّ وعلا، فعطايا الحق لا تنحصر، وهو ما طلب إلّا المُلك فقط، فليس في ذلك إشكال. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]: إن الحقَّ جلّ وعلا نفىٰ رؤيةَ الأبصار فقط، وأما رؤية القلوب ما نفاها، فمَن أنكرَ علىٰ من يقول: إن القلوب ترىٰ ربَّها فقد غلِط، قال سيدنا عمرُ بن الخطاب رضيَ الله عنه: «رأىٰ قلبي ربي»، روىٰ ذلك الشيخ الغزالي في «الإحياء». والحبيب عبد الله الحداد قال: الرب غيب والقلبُ غيب، وقد اطّلع غيبٌ علىٰ غيب. وكثيرٌ من الأولياء يقول: قلبي رأىٰ ربي، ومنهم من يقول: حدّثني قلبي عن ربي.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]: أمره الحق بقراءة ما في كتابه مما اكتسبه من الذنوب ليظهرَ اسمُه المَنّان، فكأنه يقول لعبده: انظر مِنّتي عليك، فإني أنعمتُ عليك بالنعم الظاهرة والباطنة وأنت قابلتني بالمخالفاتِ والخطايا، فلولا مِنّتي عليك لهلكتَ مع الهالكين بهذه الخطايا التي رُقِمَت في كتابك، فاقرأها لتعرف مِنّتي عليك بغفرها. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥-١٦]، فالنجم هو: سيّدُ الوجود محمدٌ ﷺ، والعلاماتُ هم خلفاؤه من الرسل والأنبياء وسائر العلماء، والسُبُل هيَ طرقُهمُ الداعونَ إليها، الموصلةُ إلى الجنة، والناس يهتدون في سلوكهم هذه السبلَ بالعلامات، وهم الرسل والعلماء كلهم الذين كنّىٰ عنهم بالعلامات، يهتدون بذلك النجم الذي كنّى به المصطفىٰ ﷺ، وهؤلاء هم الرواسي للأرض، قال سيدُنا الحداد: [طويل]

ولـولاهـمُ بين الأنـامِ لـدُكْـدِكَـتْ
جبـالٌ وأرضٌ لارتكـابِ الخَطِيئـةِ

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]: كيف ميَّزَ بين العذابين؟ فأجاب بقوله: لأنه قد يدخُلُ النارَ فقط ولا يعذَّب بالتحريق فيها، فالتحريق عذابٌ مستقلٌ يقع بواسطة النار إذا حصل عليها تأثيرُ الحق بالإحراق، وذلك ظاهرٌ حتىٰ في الدنيا، مثل قصة الحبيب صالح بن عبد الله العطّاس، حيث جلس علىٰ جمر النار ولم يؤثِّر فيه، وكثيراً وقع لهم مثل هذا. وبعض الحيوانات تتغذّىٰ بالنار، ونار الآخرة هكذا، يدخلها المؤمن لأجل تحِلّة القسم، ولو مكث فيها فهي صورةُ نار لهيبِها وزفيرِها، لكنْ لم يكنْ عليها تأثيرُ الحق بالإحراق.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥]: إنّ معنىٰ هذه الآية: ارجعي إلىٰ الأسباب لا تستغرِقْكِ الحقيقة، لأنها لمّا ولدت سيدَنا عيسىٰ من غير أبٍ كان خرْقَ عادة، وأحسّ منه

الاستغراقَ بالحقيقة وعدمَ شهود الأسباب فقال لها: ارجعي عن المشهد للحقيقة فقط واشهدي الأسباب بقوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾، وإلاّ فهو سبحانه وتعالىٰ قادرٌ علىٰ أن يجعلَ الرطبَ يتساقط من النخلة من غير هزّ، كما أوجد عيسىٰ من غير أب، ولكنه سبحانه وتعالىٰ جعل لكل شيءٍ سبباً، وجعل سببَ الوجود كلِّه سيدَنا محمداً ﷺ، فهو السبب في كل موجود، ثم قال: ولوجوده ﷺ سببٌ أيضاً، وسببه محبة الله لنفسه أن يعْرَف، كما جاء في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببتُ أن أُعرَف، فخلقتُ خلقاً فبي عرفوني»[1]، أي: بمحمد، فجملةُ اسم محمد: اثنان وتسعون، فهو ﷺ عين الوجود والسبب في كل موجود. اهـ. مع حذفٍ يسير.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]: معنى الوسطىٰ: المتوسطة التي ليست بالطويلة المملّة ولا بالقصيرة المخلّة، أي: واظبوا علىٰ الصلوات حالةَ كونها وسطىٰ، فالواو للحال.

وسُئل، رضي الله عنه، عن قول الله تعالىٰ في حق سيدنا عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] فقال: المراد بقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: رافع نسبتك إليّ من حيث ما شرعتُ عليك من الأوامر الدينية؛ لأن الأوامرَ الدينية لمّا كانت إلىٰ الحق علىٰ لسان عيسىٰ ارتفعت نسبتُه بها إلىٰ الحق فصار منسوباً إلىٰ الحق من جهة الأوامر. وقوله: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ليس هذا الوصف

---

(١) انظر حال الحديث في «كشف الخفاء» (٢: ١٧٣).

مخصوصاً بمَن آمَنَ من أُمة عيسىٰ، بل وبالمؤمنين من أُمة سيدنا محمدٍ ﷺ إلىٰ يوم القيامة. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] معناه: يعصمك من الأشرار التي تشاورهم فيها، الغير الموافقة للشرع، لأنه أمره أن يشاورهم وهم يُبْدونَ ما عندهم، لكن قد لا يوافق الشرعُ رأيَهم، لأنهم ليسوا معصومين بل لهم الحفظ فقط، وأما هو ﷺ فله العصمة؛ فلا يَستعملُ من أشوارهم إلاّ ما وافق الشرع. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن الأمانة التي عرضها الله علىٰ السموات والأرض والجبال، هل عرضَها هنا أو في يومِ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؟ فأجاب بقوله: عرضها الله هناك في يومِ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ حين أخذ العهدَ عليهم وهم ـ بأجسامهم وأرواحهم ـ هذه المخلوقات من الطين؛ لأن خطابَ التكليف لا يقع إلاّ علىٰ جسمٍ وروح، فالأشياءُ كلها عرفوها هناك، فأيُّ شيءٍ عرفه الإنسان هنا اليومَ فقد عرَفَه هناك، إلاّ أنهم نسُوا ما عرفوه هناك، فأرسل لهم الرسلَ والكتبَ ليتذكّروا ما عرفوه هناك ونسوه هنا، فلما جاءتهم الرسل بالكتب من عند الله تذكّروا، ولذا سُمِّيَ القرآنُ ذِكراً. قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل:٤٤]، وسببُ نسيانهم أنّ الحق لمّا جمع أجسامهم وأرواحهم أخذ عليهم العهد، بعد ذلك فرّق بين الجسم والروح، فالروحُ رجعت إلىٰ عالمها والجسم عاد إلىٰ محلّه وهو التراب، وحينما حدث هذا الفِراقُ بين الروح والجسد نسوا ما عهد إليهم وما طُلِبَ منهم، فلذلك قال لهم عزّ وجلّ قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا..﴾ [البقرة:٢٨٦] إلخ، ثم قال: والتذكر لا يكون إلاّ للمؤمنين، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وأما الكفار فلا تنفعهم؛ لأنهم خالفوا العهدَ فلم يتذكروا ما جاء به الرسل. ثم قال: والأمانة هي الأسماء والصفات، فهم مَظاهرُها، فقد أعطاهم الله من صفاته وأمرهم أن يصرفوها في طاعته، وقال لهم: إنكم مسئولون عنها، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ حاكياً عن سؤال المؤمنين في الجنة للكفار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٤٢]، وأين أهل الجنة من أهل النار؟ وكذلك جوابُ الكفار لهم بقولهم: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر: ٤٣] مع أنهم متباعدون، فكيف يُتصوَّر تخاطبهم؟ فأجاب بقوله: إنّ هذا الخطابَ علىٰ لسان حال الفريقين: أهل الجنة وأهل النار، حكىٰ ربُّهم حالَهم، فهو سؤالٌ وجوابٌ بلسان الحال. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩-٤٠] المعنىٰ: أن سعيه سوف يظهر ويتبين لصاحبه ليعلم أن ما وجَدَه نتيجةَ سعيه، وكل من سعىٰ في الخير ظهر له سعيُه في الدار الآخرة، وعرف أن ذلك نتيجةُ العمل الصالح في الدنيا، ومن عمل شرّاً سيجد نتيجةَ عمله أيضاً في الدار الآخرة.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]: إنها تدل علىٰ أنهن أفضلُ نساء الأنبياء، لكونه ﷺ أفضلَ الأنبياء، وتدل أيضاً علىٰ أنه ﷺ خاتمٌ لا نبيَّ بعده، لأنه قال: ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾؛ لأن نساءَ الأنبياء قبله ﷺ لا يأتي بعد أزواجهن من

الأنبياء نبيٌّ بعدَهُ بخلافِ زوجاتِ نبينا محمد ﷺ، فهو خاتم الأنبياء، لذلك فزوجاته لسن كأحدٍ من النساء في كون زوجاتِ كل نبيٍّ: يتلوه نبي. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله تعالىٰ في حق سيّدتِنا مريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران: ٤٢] ما حكمة التّكرار؟ فأجاب بقوله: الاصطفاء الأول: اصطفاء ذات، والاصطفاء الثاني: اصطفاءُ صفاتٍ وأفعال، وقال في معنىٰ ذلك أيضاً: الاصطفاء الأول عامٌّ يشاركها فيه غيرها، وأما الثاني: فهو مخصَّصٌ بها؛ وهو إتيان سيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منها من غير أب، فلم يشاركها فيه نساء العالمين.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] أي: محسنون في تقواهم، وأما المعية: فداخلونَ فيها كلُّهم: المتقي والمحسنُ في تقواه وغيرُ المحسن، لكنّ المحسن في تقواه له معيّتان: معية التقوىٰ، ومعية الإحسان. وأول مقاماتِ التقوىٰ: لا إله إلاّ الله، وبعدها لا تُحصىٰ مقامات التقوىٰ، فكل مطلوبٍ شرعيٍّ هو مقامٌ من مقاماتِ التقوىٰ. اهـ. بتصرّف.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن الطائف والنزغ والوَسْواس الواقعاتِ من الشيطان، وذُكرت في آيات متفرقة، هل بينها فرق؟

فأجاب بقوله: أما الطائف: فهو للأولياء ويقع بعده التذّكر، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠١]. وأما النزغ: فهو الذي يطرق القلب ويغيب، وقد أمرنا الله بالاستعاذة منه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:

٢٠٠]، حتىٰ إنهم يقولون للصبي إذا وقع منه شيءٌ مخالف: هذا نزغة شيطان. وأما الوسواس: فهو أشد الثلاثة، لأنه دائمٌ يوسوس في القلب، وقد يَخنِسُ مكْراً منه، لأنه إذا خنَسَ يظن الإنسانُ أنه لا يعود يوسوس له وهو لا يخنِس إلاّ للخداع. اهـ.

وقال رضيَ الله عنه في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]: قولُ الإنسان: (إياك نعبد) دعوىٰ منه للعبادة، وقوله: (وإياك نستعين) تبرُّؤٌ من دعواه، فالعابد والمعبود حقيقةً هو الله تعالىٰ، وما للإنسان إلاّ ثوابُ العبادة وثمرتها، مثال ذلك: إذا أعطاك سيفاً وشبكاً وقال لك: خذ هذا واصطَدْ به الصيدَ، وما تصطاده فهو لك، والسيف والشبك حقّي، وما لك إلا ما تصطاده بهما، فمثال الشبك والسيف: التوفيق. اهـ.

❊ ❊ ❊

ومن ذلك ما نُقل عن الحبيب العارف بالله والدَّال عليه عبد الباري بن شيخ العيدروس، رضيَ الله عنه ونفعنا به، آمين. المتوفىٰ ببلدة (تريم) في محرَّم سنة ١٣٥٨هـ، منقولاً من مجموع كلامه «بهجة النفوس»[١]

قال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] أي: إذا نسيتَ غيرَه، فإذا كان كذلك وخلا باطنك عن غيره فهذا الذكر: الذكر الحقيقي وذكر العارفين، ولهذا قيل: ركعةٌ من عارفٍ بالله أو نفَسٌ من أنفاسه يعدل عملَ الثقلين.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، أي: لذكري لكَ، وفي الحديث القدسي: «من ذكرَني في نفْسِه ذكرتُه في نفسي»، لكنها نفسُ عارف، وذِكرُ الحق لك لا يكون إلاّ إذا ذكرتَه بما يستحقه وبما هو أهله.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]: تمّ الكلام، ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ مبتدأ وخبر، يعني: أنها إذا لم تمت وتهذَّب وتُزكّىٰ هيَ في منامها، يعني: حجابها، والناسُ نيامٌ فإذا

---

(١) السيد الشريف، الولي الصالح، الحبيب عبد الباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس، مولده بتريم وبها وفاته سنة (١٣٥٧هـ)، جمع بعض تلامذته شيئاً من مواعظه وكلامه في مجلد.

ماتوا انتبهوا. ثم قال: ﴿ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم:١٩] أي: ينفيكم من رعونات النفوس، ويُخلِّيكم من كل ضرر وبوس، ويُحلِّيكم بكل منفوس، تخلِّي وتحلِّي، ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم:٢٠]. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة:٢٥٧]: يخرجهم من ظلمات الوجود وظلمات الأكوان إلىٰ نور شهود الذات الأحَديّة وشهود الحق، ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴾ [النور:٣٥]، هذا هو النـور الذي يُخـرج أوليـاءه إليه، ويُخرجهم من ظلماتِ الجهل إلىٰ نور العلم: رتبةٌ ثانية، وقد يكون العلمُ حجاباً إذا وقف عليه.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء:١١]: أيِ: دوامٍ في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة لا يفنىٰ ولا ينفد، قال البوصيري: [بسيط]

دَامَـتْ لَدَيْنَا ففـاقتْ كـلّ مُعجـزةٍ

من النّبيّيـنَ إذْ جـاءتْ ولـم تَـدُمِ

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ ﴾ [العنكبوت:٤٩]: اللّام: لام العهد الذهني، أي: أوتوا العلم منه وأوتوا العلم فيه، ما هو العلم الظاهر، وقد يكون عالِماً ولا عندَه

من العلم شيء. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ١-٣] أي: كبّره علىٰ قدر تكبيره لك، تكبيراً من كبير لكبير، فما أحد كبّره تعالىٰ كتكبيره ﷺ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] ثيابُه ﷺ: أمّة الإجابة، أي: طهّرها وأزل عنها الأقذار والرعونات، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] الرجز: هو ما سوىٰ الله، وأما الرجز الذي ذكره المفسرون فحاشاه منه ﷺ، وهو الطاهرُ المطهّر. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]: فالباقيات الصالحات من المال والبنين، وفي الحديث: «**نِعمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح**» إذا كان المال مصروفاً في طاعة الله وفي محابّ الله وفي ما أمر به، فهو من الباقيات الصالحات، والبنون كذلك: إذا كان الولد صالحاً وعالماً وناسكاً وهكذا، فهو من الباقيات الصالحات، وفي الحديث: «**إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلاّ من ثلاث...**» ومنها: «**... ولدٍ صالح يدعو له**». اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩] أي: فيها، أي: لا تروح تشتغل بها وتجعلها هي همّك، ولا تذكر نعمَ الله فيها وإيجادَها لك وتسهيلها عليك، وتفكر في خالقها وصانعها ومبدئها ومعيدها. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]: قال أهل الإشارة: المجاهدين: الرجالَ الثابتين

والعلماءَ الراسخين. والقاعدون: المجذوبون والمطلقون، لا يَهِيمون بشيء ولا يعوّلون علىٰ شيء. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٦]، قال: الظل هو ﷺ لأنه ظل الأكوان كلها، ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ أي: عنده في الحضرة الأحديّة لأنه منها، وإنما أنزله رحمة لعباده، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ أي: القرآن، ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ أي: أخذناه إلينا. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ خطاباً لنبيه ﷺ: ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]: أي: المُهيَّمينَ في الله، لا علىٰ ما قال أهل التفسير أنه غافلٌ عن الذكر مثلاً، إذ لا يليق به ذلك. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]: فيه اكتفاءٌ، أي: وبالفعل والعمل والحركة والسكون، وأتى بصيغة المضارع لتفيد الدوام والاستمرار. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]: قوله: ﴿ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾: قال أهل الظاهر: هم أولوا العقول، وقال أهل الإشارة: هم الآخذونَ من كل شيءٍ لُبَّه والتاركونَ قشرَه. واللُّبّ: هو القربُ من الله والأنسُ به، والقشر: هو ما سِوىٰ الله من الأكوان وغيرها.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]: فالحكمة حسن الظن،

ويؤيده قوله ﷺ: «**خَصلتانِ ليس فوقَهما شيءٌ من الخير: حسنُ الظنِّ بالله، وحسنُ الظنِّ بعباد الله**».

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦]: إنّه قدَّم الخيريةَ قبل المِثْلية، وهذا من رحمته للأمّة ولطفه بهم، فما من قطبٍ يموت أو بَدَلٍ يذهب إلاّ وخليفته موجودٌ، إما أرفعُ منه أو مثله.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ [البقرة:١٥٥] يعني: كلَّ مسلمٍ يخافُ الله، وهذا من أعظم البليّات، وهو خوفٌ دون خوف، ﴿وَٱلْجُوعِ﴾: صيام رمضان، لأن الصُّوّام يُقال لهم يوم القيامة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] أي: عن الأكل والشرب، وهذا صيام العوام، ويقال للخواصّ: ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ أي: عن الشَّهَوات واللّهَوات، ويقال لخواصّ الخواصّ: ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ أي: عن الركون والميل إلىٰ غير الله، مأخوذٌ من قوله ﷺ: «**إني أبِيتُ عند ربي يُطعمُني ويسقيني**»، وقوله: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ يعني: الزّكَوات، لأنها نقصٌ في الظاهر لا في الباطن، قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] لأنها ابتلاءاتٌ أيضاً منه لهم. وقوله: ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ أي: الأمراض، لأن المرضَ ابتلاء، ﴿وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال:١٧] يعني: عاقبتُه حسنةٌ. وقوله: ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: هي الأولاد، لأنه وردَ في الحديث: «**إذا أخذتُ روحَ الولدِ طلع مَلَكٌ إلىٰ عند الحقِّ سبحانه وتعالىٰ وقال له: ما قال عبدي ـ أخذتم ثمرةَ فؤاده؟ قال: قال الحمدُ لله. قال الله: ابنوا له بيتاً في الجنة وسمُّوه بيتَ الحمد**». وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ أي: من هذه الابتلاءات المذكورة المخصَّصة ومن غيرها ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، يعني: إنّا لله ومن الله وإلىٰ الله راجعون، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ يعني: نفَحاتٌ ورحمات، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧]. اهـ. مع بعض حذف.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورىٰ:١٩] أي: حَفِيٌّ بهم، وقيل: معناه لطيفٌ بهم في العرْض والمحاسبة، وقيل: الذي يَنشر من عباده المناقب، ويستر عليهم المثالب. وإنْ شئتَ قلتَ: اللطيف الذي لا يعاجل من عصاه؛ ولا يخيِّب من رجاه، وهو الذي أوقد في أسرار العارفين من المشاهد سراجاً، وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجاً، وأجزل لهم من سحائب برده ماءً ثجّاجاً. وبالجملة: فهذا الاسم جامعٌ لمعاني الأسماء الجمالية.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورىٰ:٢٧]: الضمير في عباده عائدٌ علىٰ الرزق، وعباد الرزق بغوا في الأرض، وأما عباد الله يزدادون ثباتاً إلىٰ ثباتهم وتواضعاً إلىٰ تواضعهم.

وكان، رضيَ الله عنه، يحكي عن الحبيب القطب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]: إنّ الحسنةَ في الدنيا لها ثلاثةُ معانٍ:

الأول: أنها المرأة الصالحة والمال الصالح، وذلك حظ الأجسام، إذا حصل المال وواسىٰ به الأجسام والمحتاجينَ وصرَفَه في القرُبات والصدقاتِ والمثوبات، والمرأة الصالحة القائمة والمساعدة له في جميع حالاته.

والمعنىٰ الثاني: الحسنة في الدنيا: الإخوان الصالحون والمجالسة معهم علىٰ صدَقةِ المودّة والإخاء، وهذا حظ الأرواح.

والمعنىٰ الثالث: المعرفة بالله والأُنس به.

وهذه المعاني في الدنيا. ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ لها أيضاً ثلاثةُ معانٍ:

الأول: حظُّ الأجسام في الآخرة الجنةُ المعروفة من الحُور والقصور والولدان والغُرَف والبساتين، أعدّها الله لهم وأمرَهم بالتنعّم فيها.

والمعنىٰ الثاني: حظُّ الأرواح، وهم الإخوان أيضاً الذين قال فيهم عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] إذا اشتاق أحدهم إلى صديقه مشىٰ به الكرسيُّ الذي هو عليه إلى صاحبه في أسرع من طَرفةِ عين، ويجلس أحدهم مع أخيه ـ في ساعة واحدة ـ كعمره في الدنيا.

والمعنىٰ الثالث: هو حظ الأسرار، وهو النظر إلىٰ وجه الله الكريم، والتهيُّم فيه إلىٰ ما لا نهايةَ له، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]: المعيّة هذه لها معانٍ خاصةٌ وعامة، فالعامة: في كل شيءٍ ومع كل شيءٍ من حيوان أو جماد أو شجر وحجر؛ لولا معيّةُ الحق فيها ما استقامت ولا ثبتت. والخاصة: مع أهل الإحسان والإتقان وأهل علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين، لَمَعَهُم من اللَّمع واللحظ، تقول: عددَ لمح العيون ولمع العيون.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]: سماها الحقُّ صدقةً، والمن والأذىٰ تكريرُ ذكرها علىٰ المتصدَّق عليه، وسواءٌ المال والعلم والعمل، لو صليتَ أو قرأتَ أو تصدّقتَ علىٰ جسدك بالطاعة، ثم رأيتَ وأُعجبتَ به فقد منَّيتَ به وآذيتَ نفسك، ومن أين لك ذلكَ ومَن أقامك فيه؟! رجعتَ استحقيتَ المقتَ والعقوبة من الله، أليس ذلك إبطالاً ومَنّاً وأذىً علىٰ نفسك في الآخرة؟!

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ [النور: ٤٥]: قال أهل الإشارة: المشيُ يختلف باختلاف صاحبه، المبتدىء علىٰ أربع كالطفل يمشي أولاً هكذا، والمتوسّط علىٰ رجلين يمشي قوياً، والمنتهي يسبح ويمهر في العالم العلوي، كل ذلك يطلب إيماناً وتصديقاً، والقدرة صالحةٌ لكل شيء.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١]: أما أهل الظاهر فقالوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ﴾ بتبديل النعمة ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ أي: بكفرانهم النعمة... إلىٰ آخر ما قالوا، وأما أهلُ الباطن قالوا: فيها تحلّي وتخلّي، ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ﴾ أي: لا يحليهم الأسرارَ والأنوارَ ونحوَها، ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ أي: بإذهاب الرُّعُونات والكدورات عنها، قال تعالىٰ: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ [إبراهيم:١٩] أي: رعوناتكم ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص:٦٨]: يَصْلُحُ في ﴿ مَا ﴾ الثانية أن تكون اسمية

بمعنىٰ: الذي، أي: ويختار الذي كان لهم الخيرة. وأن تكون حرفية، أي: نافية، وتقف علىٰ قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ وقفاً لازماً، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا﴾: وقفٌ لازمٌ ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] أي: من وصفهم ما ينامون. اهـ.

وقال رضيَ الله عنه: الحروف التي في أوائل السُّوَر: المعنيُّ بها هو ﷺ كـ ﴿يسٓ﴾ و ﴿طه﴾ و ﴿حمٓ﴾ و ﴿طسٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ أوائل السور، ويدل عليه الخطابُ الذي بعده، فإنه له، كـ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣] في «يس»، ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [طه: ٢] في «طه»، ومعنىٰ ﴿طه﴾: طإِ الأرضَ، أي: ضع رجلك علىٰ الأرض، لأنه يرفعها وهو يتعبّد، فأمره بذلك شفقةً به.

وقال رضي الله عنه: قال أهل الإشارةِ في قوله تعالىٰ: ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧]: أي: بذبحها وقطعها، أو ﴿بَٰلِغِيهِ﴾ أي: ما هنالك من كعبة الأسرار والمعارف.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]: بنيّ، أي: محمد وأمته، والأصنام: الدنيا والشيطان وما والاهما.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]: أي: في الحس والمعنىٰ، وكذلك المُذكِّرُ في المجلس إذا قيل له: تفسح في المذاكرة يفتح الله عليه.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: أي: عدلاً في كل شيء، فإذا صليت مثلاً لا تقصرُ في شيء

مما ندبه الشارع ولا تزيد عليه، وذلك معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]: أي: بأنفسهم، معنوياً كان أو حِسّياً: من علم وعمل ومالٍ وغيرِه.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]: إن شئتَ قلت: الملك هو بالكتاب والحكمة، وإن شئتَ قلت: هو التصريف في الأكوان.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥]: أشار بالأولىٰ إلىٰ الذي سار بباطنه، وبالأولىٰ ظاهره وهو المنتهىٰ، وبالثانية أشار إلىٰ المتوسط، وبالثالثة إلىٰ المُبتدىٰ، فهو مثلَ الصبيِّ الذي ابتدأ في السير بأربع، ففيها إشارة إلىٰ المراتب الثلاث.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٤]: أي: الساعةُ والدقيقة واللحظة الآتية خيرٌ لك من الأولىٰ، أي: من الماضية، ومن كانت هذه حالتَه فهو في نعيم وهي الحياة الطيبة، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]: أي: في الدنيا قبل الآخرة، والحياة الطيبة في الدنيا دهليز الآخرة، وهي المعرفة بالله.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ في آيات الميراث: ﴿يُوصِيكُمُ

ٱللَّهُ . . . ﴾ إلخ، فقال في آخرها: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ . . . مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١١]: والمعنىٰ بالتخصيص في الحدود إلىٰ ما أوصىٰ به في الإرث، وبالتعميم إلىٰ كل حدٍّ من حدود الله وهكذا، ثم قال: إنها، أي: الأواخرُ المذكورة، كالمسامير للقوالد، فالقالودةُ مثلاً إذا لم تكن بها مساميرُ يقبِضْنَها فهي هاملة.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤]: أي: عن الأكل والشرب، وهذا صيامُ العوامّ، ويقال للخواصّ: ﴿ بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ أي: عن الشهوات واللهَوات، ويقال لخواصّ الخواص: ﴿ بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ عن الركون والميل إلىٰ غير الله.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]: والقربىٰ علىٰ سبيل التعميم: جميعُ المؤمنينَ والمؤمنات، وعلىٰ سبيل التخصيص: أقرباؤك من أهل وعشيرة وجيران ونحوهم، وعلىٰ سبيل تخصيص التخصيص: ربُّكَ جلّ وعلا؛ لأنه أقرب من كل قريب وأحب من كل حبيب أن تقوم بحقه وأن تراضيَه حقَّ مَراضيه.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ . أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧]: بمال وجاه أو علم، والغنىٰ الحقيقي إلا بالله، يعني بالافتقار والانكسار إليه.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]: انظر إضافتَهم

إلىٰ اسم الجمال إشارةً إلىٰ لطفه بهم ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ إنما هي أرض الطاعة وأرض الزهادة وأرض المعارف واللطائف، ﴿هَوْنًا﴾: ليناً وتواضعاً، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾: هم أهل الجهل المركب وأهل البسيط ﴿قَالُوا۟﴾ لهم ﴿سَلَٰمًا﴾: لطفاً ورأفةً ورحمة.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]: والحالُ أنه في مائة وعشرين سنة وزوجتُه في ثمانين سنة ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ سمعه يقول محزوناً: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾... إلىٰ قوله: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾. أخذوا منه أن الولد وارثُ الأسرار والأنوار جميعها، ولا هناك صاحب. ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ استجاب الله له، وفوقَ ذلك خَصّه بخصوصية ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وهكذا الوارثات، مأخوذةٌ كلها من القرآن إن كانت دعوة أو بر أو سر أو كذا وكذا.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]: وقف لازم، إيمان الحبيب ﷺ ليس كإيمان غيره، وجراه لسيدنا علي رضي الله عنه، وآمن المؤمنون، وليس إيمانُ بقية المؤمنين كإيمان سيد المرسلين، ثم قال: هذه السورة جمعتِ الصلاة والزكاة والصوم والحج، والطلاق والإيلاء والعِدد والرَّضاع وغيرَ ذلك، ثم قال في آخرها: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾: كرر ﴿رَبَّنَا﴾ وهي جمالية، ما قال: يا الله؛ لأنها جلالية، ثم قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ وهي جمالية ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ وهي جلالية، ومحط رجاء وخوف، ورغَب ورهَب، وقدِّمت ﴿لَهَا﴾ علىٰ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ ليطمع المؤمنُ الكامل في قبول الحركات والسكنات والأعمال الصالحات، وختمت بثمانِ دعَوات.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]: الرضاع حولين، وشيخ الروح أبو الروح، والرضاعُ عليه ورَضْعةٌ منه تكفي، وأنىٰ لنا بهذا الرضاع؟ وأين المرضع والمرتضع؟ عسىٰ ربنا يوفقنا إلىٰ من يرضعنا.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ [النمل: ١٩]: انظر أولاً إلىٰ قوله: ﴿ صَٰلِحًا ﴾ فكيف هذا الصلاح، وماذا يترتب عليه؟ ثم قال: ﴿ تَرْضَىٰهُ ﴾، وهو مقام عظيم، ما يعمل أحد عملاً صالحاً ويرضاه الحق إلا وقد صار مرتاض وخالص مخلِص ومخلَص.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٤]: ثيابُه ﷺ أمة الإجابة، أي: طهِّرْها وأزِلْ عنها الأقذار والرعونات.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ٥]: الرجز هو: ما سوىٰ الله، وأما الرجز الذي ذكره المفسرون فحاشاه ﷺ وهو الطاهر المطهر.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]: الرزق الذي لا يُحتسَب شيءٌ لا يعبَّر عنه، لو حصل له فهم أو علم أو عمل فهو من الرزق الذي لا يحتسب.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨]: وقالوا: إن أهل الإشارة قالوا في الاستثناء هذا ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾: هو مثلَ

قوله تعالىٰ: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ [الأنعام: ٨٣]: مِن بعض الجِنان إلىٰ أعلاها ثم الفردوس ثم إلىٰ ما شاء الله من النظر إلىٰ وجهه الكريم إلىٰ ما لا نهاية، ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي: غير منقطع.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فقال: سمّاها الحق صدقةً. والمن والأذىٰ: تكرير ذكرها علىٰ المتصدق عليه، وسواء المال والعلم والعمل، لو صليت أو قرأت تصدّقتَ علىٰ جسدك بالطاعة، ثم رأيت ذلك وأُعجبتَ بِهِ فقد منَّيْتَ به وآذيت نفسك ومن أين لك ذلك ومَن أقامك فيه، رجعت استحقّيت المقت والعقوبة من الله، أليس ذلك إبطالاً ومناً وأذىً علىٰ نفسك في الآخرة؟ وكذلك من العالِمِ علىٰ تلميذه ويرىٰ له الحق عليه. ص٩١ س١

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣ ـ ٤]: قال أهل الإشارة: «أهل الظاهر جعلوا ﴿ كَلَّا ﴾ تأكيداً، وأهل الباطن قالوا: العِلم الأول ما هو العِلم الثاني، كل بغا علم وفهم، وقال بعضهم: ﴿ كَلَّا ﴾ الأولىٰ للعوام، ثم: ﴿ كَلَّا ﴾ للخواص، ثم: ﴿ كَلَّا ﴾ لخواصِّ الخواص».

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[إبراهيم: ٤٣]: قال أهل الإشارة: العوامُّ أفئدتهم هواء، أي: ما فيها شيء، ظرف فارغ لا يقبل شيئاً، والخواص أفئدتهم هواء، أي: ظرف خالي عن غير الله يقبل كل شيء، وخواص الخواص أفئدتهم هواء، أي: ما فيها إلا الله.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ

مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]: هذا من ربط الأسباب بالمسبَّبات، ولا بد للإنسان أن يرجع علىٰ نفسه، وهذا جعَلَه الحق للامتياز، وإلا لم تكن جنة ولا نار ولا حقّ ولا باطل يعرِّف الإنسان نفسَه ويعرِفُ أن التقصير منه وراجع عليه، وفي الحقيقة نفسك من الله ولكن ربط هذا بهذا.



ومن ذلك ما نُقل عن الإمام العارف بالله الحسن بن صالح البحر نفعنا الله به في الدارين، آمين. المتوفىٰ عامَ ١٢٧٣هـ ببلدة (ذي أصبح) بوادي حضرموت، منقولاً من «مجموع كلامه»[١]

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧] أي: في الدنيا: بالقرب والمعرفة والأنس والمحبة ونحوها، وفي الآخرة: بكمال الرؤية والمشاهدة والخلود في جواره.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾، أي: البقاءَ فيها للجهاد والاستكثار فيها من الخير، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢] يعني: بتعجيل الشهادة في سبيل الله. الأوّل: مقام الأقوياء، والأخير: دون الأول، وقال أيضاً فيهم: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النساء: ٩٤]

---

(١) السيد الشريف، البدر الزاهر، جبل الزهد والعبادة، الإمام التقي العارف بالله الحسن بن صالح البحر الجفري العلوي الحسيني، مولده سنة ١١٩١هـ، ووفاته بقرية (ذي أصبح) سنة ١٢٧٣هـ. أخذ عن كبار رجال عصره، وتخرج بهم، كالإمام أحمد بن عمر بن سميط، ووالده الإمام عمر بن زين بن سميط، والسيد الإمام عمر بن سقاف، والحبيب حامد بن عمر حامد باعلوي، وغيرهم كثير بتريم وشِبام وسيؤون. وكان صاحب فتوح عظيمة، وأول ما قرأ وتعلم علىٰ يد الشيخ الصالح عبد الله بن سعد بن سُمَير، ثم صار الفقيه المذكور من خواصّه، وأفرده بترجمةٍ اعترافاً منه بفضله وتقدّمه، سمّاها: «قلادة النحر» (مخطوطة).

إلىٰ أن قال: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾، أي: وأما الآن فلا أحدَ منكم يريد عرضَ الحياة الدنيا بعدَ الإسلام، ولذلك ورد في الخبر: «لو أنفق أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه».

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن معنىٰ السكينة في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٤]، فقال: السكينة ينافيها الاضطراب، فإنهم رضيَ الله عنهم سكنوا إلىٰ الحق؛ فلم يَبِت في قلوبهم شيءٌ إلاّ ربهم، محوا عنها كلَّ الالتفاتِ أو ميلٍ إلىٰ أهلٍ وولدٍ أو مال، أو غيره من حبِّ الدنيا والشهوات. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]: إن الشكورَ ليس من يشكر علىٰ نعمة الوُجْد، بل من يشكر علىٰ نعمة الفقد لأنها من أعظم النعم، لأنه تعالىٰ ما يمنعه شيئاً إلاّ رحمةً به وتفضُّلاً عليه، لأنه لا يختارُ له إلاّ ما هو الأصلح والأرجح، إذ يحصل للعبد بالمنع السلامةُ والثوابُ الذي هو أعظم وأكبر، ولا يكون العبد شكوراً إلاّ إذا لاحظَ تلك النعمَ المستترةَ في المنع ونحوه، فإذا عرف سرعةَ زمن الصبر وعِظَمَ الجزاء في دار النعيم المقيم ارتاح لذلك وفرح بالمنع والْتَذَّ به كما يلتذُّ أهل الدنيا بضد ذلك. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف:٢٠١] أي: أن أنفسهم إذا لاحظت الأغيارَ وقصَدَتْها أتاها سابقُ نور الفطرة والتقوى فأشهدها فناءَ ذلك وسوءَ عاقبتها، فرجعت إلىٰ ربها بالتوبة والاستغفار والإنابة إلىٰ الرحيم الغفار، فتبدّلت سيئاتُها حسنات. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠]: أي: لمّا شرحَ أحوالهم، كأنه أرشده إلىٰ أن يسلك الأحسنَ والأقومَ من طرقهم المَرضِيّة، أي: فبالأقْوَم من طرقِ هداهُم اقتدِه.

وقال، رضيَ الله عنه، على قوله تعالىٰ: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ [البلد: ١٠]: أي: عرّفناه طريقَ الخير والشر، كما قال تعالىٰ: ﴿ قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلىٰ: ٣]، أي: قدّر أمورَ الخير والشر وأظهرَ الدّلائلَ القطعيةَ والبراهينَ الدالة علىٰ الألوهية والوحدانية.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ ﴾ [المائدة: ١١٨]: أي فأنت أرحمُ بهم منّي، ﴿ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ أي: لا ينقُصُ عِزّتَك وقهرَك مغفرتُك لهم، مع أنهم مَجاري أوصَافِك ومظاهرُ حلمِك.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ ﴾ [فصلت: ٤٢]: أي: فيما يُخبر به عما قبله من قَصص الأنبياء والأمم السابقة، ﴿ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ ﴾ أي: فيما يخبر عما بعده من أمور القيامة والآخرة.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ ﴾ [الرعد: ٣١]: لكن اقتضت أوصافُ الجلال بقاءَ أهل الضلال في ضلالهم، وأوصافُ الجمال بقاءَ أهل الهُدىٰ في هدايتهم. وعاد الرحمة المحيطة بالكل كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ ولكن يكتبها للذين يتقون.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

[المائدة:٢٧] أي: الذين اتقَوه ولم يلاحظوا في العمل غيرَ الله.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة:٢٥٥]: ما بين أيديهم من الأزل وعلم السابقين فيهم، وما خلفهم وما مرجعُهم إليه من الشئون، وكلُّ ما أتىٰ من ذِكر ما بين أيديهم وما خلفهم علىٰ هذا. وأما قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥] ما بين أيديهم: ما هم عليه من التقصير والمخالفة، (وما خلفهم): ما فعلوه في الماضي مما شأنُهم التوبةُ منه، فلم يروا أنهم فرّطوا فيه، فلم يتداركوه بالتوبة. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]: لا بُدَّ عند ذِكرِ الله من الحضور بالقلبِ والقالَب، مع استِشعارِ عَظمتِهِ وعِزَّتِهِ واستبدادِهِ بالوجود، وهو أكبرُ من كلِّ شيء، فإذا استَشعَرتَ ذلك صَغُرَ في عينِكَ كلُّ مَوجود، إذْ لا وجودَ لهُ إلاّ بالحَقِّ الموجود، وبذلك الاستِحضار والاستِشعار يَسهُلُ عليكَ عمل كُلِّ مأمور، واجتِنابُ كلّ محذور، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: من كُلِّ عملٍ مبرور، أي: أكبرُ من جميع الطاعات والقُرُبات؛ لأنَّ جميعَ الطاعات فرضِها ونَفلِها لا تُعتبَرُ إلاّ بالحُضور، إذْ هوَ روحُها وحقيقتُها التي عليها الشأن يدور، مع افتقارِها إليه، فالذِّكرُ يَفتقرُ إلىٰ شيءٍ من العبادات، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: أي جزاءُ الله للعَبدِ أكبرُ من عَمَلِه. اهـ.

(فائدة): كان سيدنا الإمام القطب الحسن بن صالح البحر، رضيَ الله عنه، يقول في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢]: هو النبي ﷺ.

ومن ذلك ما نُقل عن شيخ الإسلام قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، المتوفىٰ سنةَ ١١٣٢هـ في بلدة (تريم) بحضرموت رضيَ الله عنه ونفعنا به، آمين(١)

قال سيدنا الإمام القطب عبد الله بن علوي الحداد، نفع الله به، في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾ الآية [آل عمران: ١٠٦]:

لم يقل: (يُبَيِّضُ وجوهها ويُسَوِّد وجوهها)؛ لأنه أحال ذلك إلىٰ أعمالهم؛ لأن أعمالهم هي التي تُبَيِّضُها وتُسَوِّدُها، والله سبحانه بعدما أعلمهم أنه خالقٌ للخير والشر أحالهم علىٰ أعمالهم، ولو شاء لخلقهم بيضاً وأدخلهم الجنة، أو خلقهم سوداً وأدخلهم النار.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]: إلا لأنه سبحانه أمرهم بأشياءَ وطلب منهم أن يتفرّغوا لها،

---

(١) الإمام المجدّد، المصلحُ الكبير، العارفُ بالله والدالُّ عليه، سيدنا شيخُ الإسلام وقطبُ الدعوة والإرشاد عبدالله بن علوي بن محمد الحداد باعلوي الحسيني التريمي. مولده بالسُّبَيْر قرب تريم سنةَ ١٠٤٤هـ، ووفاته بتريم سنةَ ١١٣٢هـ، وهو أشهرُ من أن يُعرَّف، واتفق أهلُ العلم والمؤرّخون علىٰ اعتباره مجدِّدَ القرن الثاني عشر بحضرموت، رُزق قبولاً عند كافة الطبقات والأجناس في حضرموت وخارجها، في حياته وبعد مماته، وأملىٰ مؤلفاتٍ نافعةً مفيدة، حيث كان ضريراً، منها: «النصائح الدينية»، و«الدعوة التامة»، وغيرهما، وله ديوانٌ احتوىٰ علىٰ مفاهيم وأخلاق عالية، وكان يقول عنه: من كان عنده الديوان يكفيه.

فلما لم يتفرّغوا لها كافأهم الله بما يناسب حالهم وقال مثل عملهم. ا هـ.

وقال نفع الله به: الميزانُ المذكورُ في القرآن ليس هو موازين البيع، إنما هو تقدير الأمور ومُقايَستُها ونسبةُ الشيء إلىٰ مثله، أو مقابلتُهُ بضده.

وقال نفع الله به: إنّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُكر مع أُمّه في القرآن في نحو أربعين موضعاً، وذِكْرُه معها في الغالب صريحاً وكناية، وقد يُفْرَدُ أحدُهما عن الآخر، وإنما كرّر الله ذكرَ مريم لأنّ امرأةَ عمران قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فاستحقرَتْها كذلك، لكونها لا تصلح لخدمة بيت المقدس، فلما استحقرَتْها نوّه الله بذكرها وكرّره، وفيه دليلٌ علىٰ أن من اتّضعت منزلته عند الخلق ارتفعت عند الخالق، يعني: مع الإحسان في جانب الدين والدنيا، وفي ذكر مريمَ سِرّ. اهـ. «تثبيت الفؤاد».

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]: والمعاهدة المشارُ إليها أنهم أقروا له بالوحدانية في عالم الذرّ لمّا استفهمهم. فقالوا: بلىٰ، فكان الاستفهامُ عن الربوبية التي يندرج تحتها الإخلاصُ في الوحدانية، والقيامُ له بوظائف العبودية؛ فإنّ المربوبَ عبدٌ والعبدَ مملوك، والمملوكُ شأنه الخدمة لمالكه. وإنما مدح الله بالوفاء طائفةً من المؤمنين ولم يجعل مدحه عاماً في أهل الإيمان، فضلاً عن عداهم من العباد، لعسر القيام بمقتضىٰ هذه المعاهدة وقلّةِ من يقوم بها علىٰ وجهها من الناس، فقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾: الآية. والله أعلم. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾

إلىٰ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]. فأجاب نفع الله به ورضيَ عنه: اعلم أن للمفسِّرين في بعض معانيها اختلافاً يكاد أن يكون لفظياً، ونحن نذكر ما هو الأصح والأوضح إن شاء الله تعالىٰ مع غاية الإيجاز.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أي: عن القرآن والهدىٰ فلم يؤمن به، وهذا حالُ من كفر وجحد، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ في الدنيا بالحرص الشديدِ عليها فلا يزال في ضَنَكٍ وإن كان متّسعاً في الصورة، وإما بالقِلّة المصحوبة بضيق الصدر وعدم الصبر، وفي البرزخ بما يُصَبُّ عليه من أنواع عذاب القبر ومن ضيق اللحدِ وتعذيبِ الملائكة إياه وتسلُّط الحيوانات المؤذيةِ إلىٰ غير ذلك، وفي الآخرة: بأكل الضَّرِيع والزَّقُّوم وشرب الحميم والغسّاق، خالداً في النار، نسأل الله العافية.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي: أعمىٰ القلب والبصر، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ أنكر عمى البصر الحادثَ عليه، أمّا عمىٰ القلب فإنه لم يزل فيه ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ أي: في الدنيا.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ أي: أعرضتَ وتعاميتَ عنها، ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي: تُترك في العمىٰ وسوء الحال وأليم العذاب والنكال، نسأل الله تعالىٰ أن يثبّتَنا وإياكم علىٰ الإيمان ويعصمَنا من الزيغ والضلال، والحمد لله علىٰ كل حال.

وقال رضي الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]: أي: حال العمل، فينظرُ كيف عملُكم له للمطالبة بالإحسان.

﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ إلخ الآية: للمجازاة عليه بما وعدكم به إن أحسنتم

فيه، ولا تكتُب الملائكة إلا ما كان مصحوباً بالإحسان، والقراءة مع العجلة لا تُكتب، وكذا الصلاة والدعاء لا يكتب. ولو خاطبت مخلوقاً واستعجلت في الكلام أعرض عنك، فكيف بالخالق؟ والملائكة في هذا الزمان من حيث النظر، لا من حيث العلم، يتحيّرونَ في طاعة أهل الزمان، إذ لا فيها إحسان فيكتبوها حسنة، ولا هم لم يفعلوا شيئاً منها فلا يكتبوا شيئاً إلا إن كان فيها داعية رياء فيكتبونها سيئة.

وقيل: إنّ فاعل الطاعة معَ عدم الإحسان أحبُ إلىٰ الشيطان من التارك لها أصلاً؛ لأن التارك أمره ظاهر ويسلم من التعب فيها، والفاعل بلا إحسان أتعَبَ نفسه وأُعجِبَ لظنه أنه فعل طاعة، فإذا عملت فَأَحْسِن، فالقليل مع الإحسان خيرٌ من الكثير بلا إحسان، «دُرَّةٌ واحدةٌ خير من عشرين حِمْل وَدَع».

وقال في قوله تعالىٰ: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]: أي: ماء القناعة والزهد.

وقال في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]: وهو: لا إله إلا الله ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ وهو: الهمة ترفعها إلىٰ أن تبلغ بها إلىٰ الحق سبحانه وتعالىٰ.

وكتب رضي الله عنه في إحدىٰ وصاياه مشيراً إلىٰ ما ورد في سورة البقرة من قوله تعالىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]: فقال: إذا وصلت إلىٰ بيت الله الحرام ونظرت إليه بعيني رأسك، فليكن قلبك ناظراً إلىٰ رب البيت. وللحج ظاهر وباطن، فظاهره شريعة وباطنه حقيقة، فلا تشغلَنّك إحداهما

عن الأخرىٰ تكن جامعاً.

واعلم أن لله في باطنك بيتاً وهو القلب، وقد أمرَ إبراهيمَ: عِلمَكَ، وإسماعيل: عقلَكَ، أن يطهِّراه للطائفين والعاكفين والركع السجود حوله من الملائكة والروحانيين.

وكل من لم يكن له إبراهيمُ ولا إسماعيلُ فهو جاهلٌ أحمق تُصْلىٰ به النار.

وكل من كانا له ولم يمكِّنْهما من تطهير ذلك البيت حتىٰ يصلُح للطائفين والعاكفين فهو من خلفاء الشياطين، ومِثلُهُ العالم الغافِل الذي لا يعمل بمقتضىٰ علمه وعقله.

❊ ❊ ❊

ومن ذلك ما نُقل عن الإمام العارف بالله أحمدَ بن زين الحبشي رضيَ الله عنه ونفعنا به، آمين. المتوفىٰ ببلدة (الحوطة) عام ١١٤٥هـ[١]

قال، نفع الله به، في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧]: وكلٌّ منهم توبته بحسب حاله وما يقتضيه مقامه، أوّلهم التائبُ من الكفر، ثم التائب من الكبائر. يعني: ألاّ يدخل فيه إلاّ بنيةٍ صالحة، فيكون قربةً إلى الله بالنية، وذلك رجوعٌ من البعد إلىٰ القرب، وأعلىٰ ذلك التوبة من الميل إلىٰ ما سوىٰ الله تعالىٰ.

وكل ذلك داخلٌ في حيّز التوبة، ويشمل جميعه التوبة، إذ هي رجوعٌ من سبيل البعد إلىٰ سبيل القرب، وكلٌّ باعتباره ومرتبته، وحسنات الأبرار سيئات المقربين.

---

(١) الإمام الكبير أحمد بن زَين بن علوي الحَبَشي، علامةٌ محقق وإمامٌ مرشد، عالمٌ عامل، مولده سنةَ ١٠٦٩هـ، ووفاته سنةَ ١١٤٤هـ، تتلمذ لشيخه الإمام عبد الله ابن علوي الحداد ما يقربُ من أربعين سنة، وشرحَ عدداً من قصائده بشروح نفيسة، وله عدة مصنفات و(سفينةٌ) عظيمة حوت فنوناً من العلم وأضراباً شتىٰ، تقع في (٢٠) مجلداً كبيراً. أفرده تلميذه الإمامُ محمد بن زَين بن سُمَيط بترجمةٍ واسعةٍ تقع في مجلدٍ كبير سمّاها «قرة العين».

وكان، رضيَ الله عنه، يقول في هذه الآية: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١]: الحسنة علىٰ ثلاث مراتب: رتبة النفس، والقلب، والسر. فباعتبار النفس: تكون الحسنة الحصولَ علىٰ الملاذّ الجسمية من الطيبات والعوافي الحسية، كسلامة البدن وكفاية الأعداء ونحو ذلك، وباعتبار القلب: التوفيق لصالح الأعمال ومجانبة الزلل والأخطال ومحبة الخير وأهله، واكتساب الأخلاق الجميلة من الزهد والتوكل وأخواتها من مقامات اليقين، وباعتبار السرّ: صدق المعرفة بالله عز وجل، وخالص الحبّ له سبحانه، والرِّضىٰ به تعالىٰ، والتشوّق إليه في الدنيا.

وأما الحسنة في الآخرة فباعتبار النفس: الظَّفَرُ بالحُور والقصور والفواكه ولحم الطيور، ونحو ذلك من الملاذّ الجسمية، وفي مرتبة القلب: الحصولُ علىٰ النعيم المقيم وقرة العين، ومجاورة العلي الأعلىٰ، والكون مع النبيينَ والصديقين والشهداء والصالحين ونحو ذلك، وباعتبار السرّ: الفوز بلقاء الله ولذة النظر إلىٰ وجهه الكريم ونحو ذلك، أفاد ذلك الإمام محمد بن زين بن سميط كما في «مجمع البحرين».

❊ ❊ ❊

ومن ذلك ما نُقل عن العارف بالله الإمام الهُمَام جمال الدين محمد بن زين العابدين بن سميط، رضيَ الله عنه ونفعنا به، آمين. المتوفىٰ في ٢٠ ربيع الأول ١١٧٢هـ ببلدة (شبام) بحضرموت، منقولاً من مناقبه «مجمع البحرين»[1]

قال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ

---

(١) الإمام العلامة السيد الشريف، والعلم المنيف، العارف بالله والدالُّ عليه، الحبيب محمد بن زين بن علوي بن سميط الحسيني، التريمي مولداً سنةَ ١١٠٠هـ، والشبامي وفاةً سنةَ ١١٧٢هـ. تربىٰ بشيخه وأستاذه الإمام عبد الله الحداد وتخرّج به ولازمه ملازمةً أكيدة، وحفظ الكثير من أخباره ومناقبه ودوّنها في كتابه «غاية القصد والمراد في مناقب الإمام الحداد». ودوَّن أخبارَه هو تلميذه الشيخ الصالح الفقيه معروف بن محمد باجَمّال في كتابه «مجمع البحرين في مناقب الحبيب محمد بن زين»، في مجلدٍ كبير.

وقد نفع الله به وبدعوته في شِبام خلقاً كثيراً، وكانت هجرته إليها سنةَ ١١٣٥هـ مع والده وأسرته، واستقروا بها ونشروا الدعوةَ إلىٰ الله في أرجائها، وأقبل عليهم الناس من كل حَدَب وصَوب، وكان مرجعُه بعد وفاة شيخِه الحداد شيخَه الحبيب أحمد بن زين الحبشي، وفي ذلك يقول:

أحْمَدُ الرحمنَ إذْ مَنَّ عَلَيّ	بالجَمِيلِ المَحْضِ أسْداهُ إليّ
نعمـةَ مـا مثلُهـا مِـن نعمـةٍ	نعمةً عظمىٰ لقد جَلَّتْ لَدَيّ
نسبتي للقوم ساداتِ الوَرَىٰ	فهما ذُخريْ عِمَادِيْ عُمدَتَيّ
وهما الحدّادُ والحبْشيْ اللذا	نِ هما كَنْزي إذا كلَّتْ يديّ
أيُّ شـيءٍ فـاتَ مَـنْ أدركَهُمـا	والـذي فـاتـاهُ أدرَكْ أيَّ شـيّ

﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]: أي: يجعل له مخرَجاً من الشدائد والمتاعب والكروب، ومخرَجاً من الهموم والغموم، ومخرَجاً من المشكلات والشبهات، ومخرجاً من ظلمات الجهل إلىٰ نور العلم، ومخرجاً من العجز والكسل إلىٰ الجدّ والتشمير، ومخرجاً من الغفلة إلىٰ اليقظة، ومخرَجاً من الميل إلىٰ الشر إلىٰ محبة الخير، ومخرَجاً من صحبة الأشرار إلىٰ صحبة الأخيار، ومخرَجاً من الفقر إلىٰ الغنى، ومن الشدة إلىٰ الرخاء، ومن البلاء إلىٰ العافية، ومن الخوف إلىٰ الأمان، ومن الحزن إلىٰ السرور، ولو عددتُ هذه المخارجَ التي تَضَمَّنَتْها الآية الشريفة لانقضىٰ الوقت ولم تُحصَ، وقد قال بعضهم: إن تحتَ كل كلمةٍ من القرآن ستَّمائة ألف معنىٰ، وما خفيَ أكثر، جَعلَنا الله وإياكم من أهل الفهم عنه والعلم به، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ حكاية ذي النون عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]: قال أهلُ التفسير: الظلمات هذه التي نادىٰ فيها هي: ظلمة الليل وظلمة قعر البحر وظلمة بطن الحوت. الإشارة في هذه الظلمات عند أهل المعاني إلىٰ معنيين: أحدهما: ظلماتُ الهموم والغموم والكروب والأمراض والأحزان والأشجان والأوصاب وغير ذلك. والثاني: ظلماتُ المعاصي والسيئات والجرائم، والزلات والهفَوات والغَفَلات، والقسوة والإعراض، والتشاغل بالترّهات والتمادي في البطالات، والانهماك في اللذات والشهوات، وعدم اللذة في الطاعات، هي الظلمات كل الظلمات.

والمعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ خاصٌّ بيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ عامٌّ في جميع المؤمنين، قال رسول الله ﷺ: «**لا يدعو بها مسلمٌ ولا مؤمنٌ إلا**

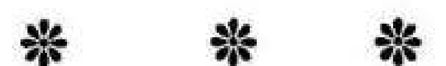
استُجيبَ له»، قيل له: هذا خاصٌّ بيونسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قال: ألم يقل عزَّ وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨].

وورد فيها من الفضائل ما لا يُحصىٰ، ونشير إلىٰ طرفٍ يسيرٍ من ذلك، وهو: أن معنىٰ «لا إله»: كل ما يُوَلَّهُ إليه ويولَّـهُ به ويُمِيل إليه حبٌّ، واعتمادٌ أو استناد، أو سكون أو ركون، أو استئناس أو طمأنينة، أو اعتقاد أو نفع أو ضر، أو تقديم أو تأخير، أو توريد أو تصدير، أو حضور أو خشوع، أو انتساب أو رجوع، أو غير ذلك من أسباب الميل والتشاغل، فهذه كلُّها إلهٌ لكلِّ مَن وَلِهَ بها أو سكن إليها. قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]. والهوىٰ في الشيء هو الميل إليه مطلقاً، ومنه لُقِّبت المحبة هوىً؛ لأنها ميل المحب إلىٰ المحبوب أيِّ محبوب كان، ومن كان من الناس في حِطَّةِ القصور والتقصير وليس من أولي الجدّ والتشمير، تائِهاً في بيداء الضلالة، غارقاً في مهواة البطالة، معرضاً عن الله متبعاً هواه، يُمنِّي نفسَه الغرورَ والمحال، متقاعداً عن رتبة أهل الكمال، قانعاً بالانحطاط عن التأسِّي بالرجال الأبطال؛ فلا شكَّ أنه في الظلماتِ راتع، ولشهَواتِهِ متابع. ثم إنَّ مَن أيقظه الله تعالىٰ من سِنَةِ الغفلة، وأخذ التوفيق بيده وهو غارقٌ في الأشياء التي ذكرناها، فعرف الحق وأهلَه، واعترف بظلمه وبجهله، وأنه وضع الشيء في غير محلّه؛ نادىٰ وهو في مقام البعد: «لا إله إلا أنتَ سبحانك أن يكون إلهٌ غيرُك، تقدَّسْتَ عن ذلك وتعاليْتَ علواً كبيراً، ولا معبودَ إلا أنت، ولا مقصودَ إلا أنت، ولا موجودَ إلا أنت، ولا مشهودَ إلا أنت، ولا ضارَّ ولا معطيَ ولا مانعَ ولا مقدِّمَ ولا مؤخِّر ولا خالقَ ولا رازقَ غيرُك، ولا ثَمَّ مَن يُستند إليه ويُتوكَّل عليه ويُفوَّض في جميع الأمور إليه سواك وحدَك، لا شريكَ لك،

ولا وزيرَ ولا مُغني في جميع ذلك إلاّ أنت، إني كنت ــ في تشاغلي بهذه الأشياء واعتمادي ونظري إلىٰ هذه الأشياء ــ من الظالمين لنفسي بوضع الشيء في غير محلّه وموضعه، وسوء أدبي معك بسكوني وركوني إلىٰ غيرك ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]. اهـ. من كتاب «مجمع البحرين» من أثناء مكاتبته رضي الله عنه.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: أي تذكروا العقوبةَ وإلاّ المثوبة، وهو ذكر القلب.

مثالُه: إذا أردتَ أن تظلمَ أو تغشَّ أحداً تذكّرِ العقوبةَ من الله، فمنْعُه من الظلم والغش داخلٌ في الذكر. اهـ. من مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر ابن سُميط.



ومن ذلك ما نُقل عن الإمام القطب الحبيب علي بن محمد الحبشي، نفع الله به، آمين. المتوفىٰ عام ١٣٣٣هـ بمدينة (سيئون) بوادي حضرموت، منقولاً من «مجموع كلامه»(١)

قال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ . ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٧-١٨]: إن أراد بالقول القرآن فهو كله حسن، و«أفعل التفضيل» علىٰ غير بابها، وإن أراد كلامَ العلماء ففيه حسنٌ وأحسن، فقيل له: هل الحَسَنُ الرُّخَصُ والأحسنُ العزائم؟ فقال: القرآنُ كله عزائم. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ [النور:٣٦] يعني: القلوبَ المطهَّرةَ قلوبَ العارفين بالله، ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ إلىٰ المقام العُلوي مقام الشهود، الجامع لأوصاف الكمالاتِ كلِّها، ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ﴾ يعني أهلَ الحقيقة الذين وَصَفوا مولاهم بالتنزيه والتسبيح، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧].

---

(١) السيد الشريف العالم الزاهد العارف بالله شيخ المتأخرين الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي ابن مفتي مكة المكرمة وأخو فقيهها. مولده بقَسَم سنةَ ١٢٥٩هـ، ووفاته بسيؤون سنةَ ١٣٣٣هـ. أخذ عن والده وجمعٍ من أهل العلم، ورحل إلىٰ زبيد والحجاز. استوطن سيؤون وحصل له بها شهرة كبيرة، وبنىٰ بها مسجده (الرياض)، ورباطاً لطلبة العلم إلىٰ جواره، وانتفع به خلقٌ جم، رضيَ الله عنه.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله تعالىٰ حكايةً عن الخَضِر عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف:٨٢]: أن هذا من إضافة المصدر إلىٰ مفعوله، و«ما» موصولة، يعني: والذي فعلته عن أمر الله إيايَ.

وقال، رضيَ الله عنه: قال أهلُ الظاهر في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه:١٤]: إنّ معناه: وأنتَ ذاكرٌ لي، وأنا فهمت منه أنه من إضافة الصفة إلىٰ فاعله، أي: وأقم الصلاةَ لأجل ذكري لك.

وقال رضيَ الله عنه: فهمتُ من قوله تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩]: إنه بدَأنا من الرحمة ونعود إن شاء الله إليها، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]: إنْ جعلتَها في جانب الرجاء قلتَ: وقَدِمنا إلىٰ ما عملوا من المخالفات. اهـ.

وقال رضيَ الله عنه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج:١]: قلب العارف والبروج فيه كثير، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾: يوم الفتح، ﴿وَشَاهِدٍ﴾: العارف، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: الحق، ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: الأعداء. اهـ.

وقال رضيَ الله عنه، في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٢٧] عن بعض أهل الفهم: إن الضميرَ في قوله ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾: عائدٌ إلىٰ الرزق، لأنه أقربُ مذكور، أي: لعباد الرزق. أما عباد الرحمن ما تضرُّهم سَعةُ الرزق ولا التوسُّع فيه ولا يشغلهم عن مولاهم. قال سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم لما قُرِىء عليه حديثه ﷺ: «الدنيا سجنُ المؤمن» قال: مدة ما الإنسان في مقام الإيمان فهي سجنٌ له، وأما إذا وصل مقامَ الإحسان فلا تكون سجناً له. اهـ.

وقال رضي الله عنه علىٰ قول الله تعالىٰ في سورة فاطر: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦]: افترق الناس في فهم هذه الآية فِرقتيْن: فرقة فهموا مِن قوله: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ أي: وأنا لكم حبيب، فذهبوا مع الحبيب فكفاهم شرَّ الشيطان وغدره، وفرقة منهم لم يفهموا ما فهمه السابقون، فاتخذوا الشيطانَ عدواً وراحوا يدوِّرون له سلاح، وأخذوا يتحاربون هم وإياه، والحرب سِجال، ساعة يُطيقونه وساعة يطيقهم. وأما ذُوْلاكْ (أي: أولئك) ذهبوا مع حبيبهم المولىٰ، ولْعَادْ قِدِرْ عليهم الشيطان ولم يكن له سلطان عليهم كما قال تعالىٰ في سورتي الحِجْرِ [٤٢] والإسراء [٦٥]: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾: الله يجعلني وإياكم من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.

وقال رضي الله عنه: الله سبحانه وتعالىٰ بشّرنا في مخاطبته لنا في سورة الانفطار بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦]، ألْهمنا الجوابَ في السؤال لنقول له: كَرَمُكَ يا رب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ يعني: قل لي: كرَمَك، لو أراد إرهابك لقال: بربك القهار، وإلا بربك الجبار، وإلا بربك المنتقم، لارتَهبت ولعاد قدرت تِجُوّب عليه.

وفي قولِه تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء: ٨]: أي: فإن عدتم إلىٰ الذنب عُدنا إلىٰ المغفرة.

وقال رضي الله عنه: كنّا أولاً نِسِلْ الطريقة، ومرة لمّا ناصَفْنا الذكر غلبنا الرياح، فبقيت أتردد بين الحدث أو الصبر علىٰ الرياح حتىٰ تَتِم الذكر.

فسمعت قائلاً يقول عند أُذني: ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ كما جاء في سورة النساء [١٠٢]، قلت: الله أكبر! العدو قاعد بغانا أحدث با يخذلنا، فصبرت حتىٰ تم الذكر.

وقال رضي الله عنه: لو تكلم العارف بالله علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ يُعبِّر وقته كله وهو يتكلم علىٰ العبودية كيف هي؟ وكم أفرادها؟ فالعين لها عبادة مستقلة، والأذُن لها عبادة مستقلة، واللسان لها عبادة مستقلة، واليد لها عبادة مستقلة، والرِّجل لها عبادة مستقلة، وكيف عبادة العين، وكيف عبادة الأذن، وكيف عبادة اللسان، وكيف عبادة اليد، وكيف عبادة الرِّجل، وكيف عبادة الحيوانات، وكيف عبادة الجمادات كلها؟ ثم ارجع إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الاستعانة بحر وسيع يُطلَب في العُبُودية، وتطلب الاستعانة في الاستعانة. ثم ارجع إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ . صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فالمُنعَم عليهم كثير والنِّعَم كثيرة، وإيش يحصي المخصوصين بالنعم، وإيش يحصي النعم كما قال تعالىٰ في سورتي إبراهيم [٣٤] والنحل [١٨]: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾. ثم ارجع إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ المغضوبُ عليهم أمْرُهم شديد، عبَّر عنهم بالْغَيْرِيَّة، نسأل الله العافية، معاد لهم نجاة. وأمّا ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾: عبَّر عنهم بلا النافية تُرْجىٰ لهم الهداية ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧]. ثم ارجِعْ إلىٰ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ كم أفرادُ الحمد وكم ألفاظُه؟ وفي معنىٰ قولك: ﴿ لِلَّهِ ﴾، وفي معنىٰ قولك: ﴿ رَبِّ ﴾، وفي معنىٰ قولك: ﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وادخُلْ في العوالم كلها وإيش ينهيها لك، يا ما أوسع كتاب الله! ويا ما أوسع علم الله! كما قال تعالىٰ في سورة

الإسراء: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقال رضي الله عنه: القرآنُ أُنزِلَ عليه ﷺ جُملة، تلقَّاه عن الله بلا واسطة بشاهد ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ كما ورد في سورة النمل [٦]. وكَتَمَ أسراره ﷺ فلم يخبر بها أحد، وقد تفوح عنده الأسرار، فيعزم أن يُظهِر منها شيئاً، فيناديه الحق ويقول له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ . فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ كما جاء في سورة القيامة [١٦ ـ ١٩]، وإنزاله علىٰ يد جبريل لأجل التبليغ. والقرآن ما أنزل إلاّ علىٰ قلب حبيبي محمد ﷺ وحدَه، ما شاركه فيه أحد غيرَه، قال الله تعالىٰ في سورة طه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] وكذلك في سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

وقال رضي الله عنه: ما شي من سور القرآن افْتُتِحَتْ باسم من أسماءِ الله إلاّ سورة الرحمن. مَنِ الاثنان المخاطَبان بقوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن كلها؟ فأهل الفهم عن الله با يجيبون خبر فيهما، الله يرزقني وإياكم حفظ كتابه العزيز وحفظ حقه وفهم معانيه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والعمل بما فيه.

وقال رضي الله عنه: اليوم في الحزب سمعت القارىء قرأ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ كما جاء في سور: المائدة [٥٤] والحديد [٢١] والجمعة [٤]، وكذلك قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ كما جاء في سورتي: البقرة [١٠٥] وآل عمران [٧٤]، وبقي الأمر يجول معي في الفضل

والرحمة وأيهما الأخصُّ: الفضلُ أو الرحمة؟ وما المراد بالفضل؟ الفضل له معاني كثيرة، منها: الزيادة، ومنها الشرف.

وسُئل رضي الله عنه: هل شي من التفاسير هنا با نشوف كلامهم ومفهومهم في الفضل والرحمة؟ فقيل هنا: «تفسير البيضاوي»، فقال: انظروا كلامه علىٰ الفضل والرحمة في هذا المحل، فنظروا فيه فلم يتكلم عليهما في هذا المحل، فقال: انظروا في التفاسير الواسعة با نسمع ما قالوه، وإلاَّ لكلٍّ فهمٌ واسع، ومعاني القرآن متجدِّدة عند تلاوته. اللهم ارزقنا علماً نافعاً وعملاً متقبلاً.

وقال رضي الله عنه: العلوم ثلاثة: علم يُدرِكُه الفهم، وعلم يُدركُه الذوق، وعلم لا يُدركُه فهم ولا ذوق، بل هو إلقاءٌ منَ الحق جلَّ وعلا، فالعلم الذي يُدركه الفهم هو العلم الظاهر هذا، والعلم الذي يدركه الذوق هو علم العارفينَ بالله، والعلم الذي لا يدركه الفهم ولا الذوق هو الإلقاء من الحضرة الْعَلِيَّة علىٰ العبد كما قال الله لحبيبه محمد ﷺ في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ . فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

وقال رضي الله عنه: هي العبارة واحدة يشقىٰ بها واحد ويسعد بها واحد آخر، كما قال الله تعالىٰ في سورة الحديد: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]: السور: الحجاب ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ للذي يتلقَّاها بِفَرَحِ قلب وسرورِ بال، تُدْخُل علىٰ قلبه تطفي وقيد ناره، وتقع له رحمة فيُسعَد بها، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ للذي يتلقَّاها

بالإنكار والاعتراض، فتدخل علىٰ قلبه بنار تشعلها فيه، فتقع عليه عذاب فيشقىٰ بها، الله يجعلنا وإياكم من السعداء، ويحفظنا وإياكم من سوء الاعتقاد وسوء الانتقاد، وينفعنا بصالحي زماننا، ويرزقنا حسن الظن بهم والأدب معهم والدخول في شفاعتهم.

وقال رضي الله عنه: قال الله سبحانه وتعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]، فالسِّرُّ معناه ﷺ، والجهرُ ظاهِرُه.

وقال أيضاً في سورة المائدة: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩]، أي: مِنَ اتِّباعِه والاقتداء به والاهْتداء بِهديه، وما تكتمونَ من محبته.

وقال الله تعالىٰ لحبيبه محمد ﷺ في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. ما قال: حسَنٍ، والعظمة طرفُها وسيع وتشمُلُ الحسن وغيرَه، وأما هو ﷺ قال: «وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حسَنٍ» كما جاء عند أحمد والترمذي والدارمي. ما قال: عظيم؛ لأنّ العظمة حقه ﷺ.

وقال رضي الله عنه: كرامةُ الْمُرِيد معجزة من معجزات الشيخ، كما قال الله تعالىٰ في قصة عرش بلقيسَ في سورة النمل: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ورا (أي: أتظنُّ) ذاك قوة آصِف بن بَرْخِيَا جابت عرش بلقيس؟! لا، بل قوة الاسم الأعظم الذي دعا به، وهي معجزة لنبي الله

سليمان. ومثال المريد مع الشيخ مثال صاحب المال مع وكلائه، منهم من يعطيه مفاتيحَ الدراهم ومنهم من يعطيه مفاتيح الطعام، ومنهم من يعطيه مفاتيح البز (أي: القماش) وكلهم يتَّجِرون والمال ماله.

ثم قال له أيضاً: لِمَ قَدَّمَ «التحياتُ المباركات، الصلَواتُ الطيباتُ لله»، قبل: «السلامُ عليك أيها النبي»؟ فقال: قدَّمَ المُستحِقَّ للتقدم، فالمولىٰ هو الأوْلىٰ بالتقدم، فقدَّمه لقوله: التحياتُ لله، تأدباً منه، فلم يقدِّم نفسَه علىٰ مولاه، ولهذا قال: التحياتُ لله، ولم يقل: لك.

وقال رضي الله عنه: إذا أمعنتُ النظرَ عندَ قوله تعالىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وجدتُ أنواع العبادة كثيرة، وأنا ضعيف ما با أقدر علىٰ فعل العبادات كلها، وجدت ربي ألهمني طلب الاستعانة على العبادة بقوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أي: إياك أستعينُ علىٰ العبادات، وأستعينُ بك علىٰ الاستعانةِ لئلا تكون الاستعانة لحظِّ هوىً أو نفس أو غيرِهما من الحظوظ، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ . صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ بنعمة الإيجاد، وبنعمة الإمداد، وبنعمة المعرفة، ونعمة الشهود. وجدتُ المُنعَم عليهم كثير، فالذاكرين لله ورسوله في المُنعَم عليهم، والمُصلِّينَ في المُنعَم عليهم، والصائمين في المُنعَم عليهم، والتالين لكتابِ الله في المُنعَم عليهم، والخاشعين لله في المُنعَم عليهم، والزاهدين في المُنعَم عليهم، والخائفين من الله في المُنعَم عليهم، والمتقين في المُنعَم عليهم، والوَرِعِينَ في المُنعَم عليهم، والمنيبين في المُنعَم عليهم، ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ والغضب: الكفر بأنواعه: الصريحة والخفية، ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ عن طريق الهدىٰ بجهلهم يا خيرَ دعوةٍ جامعة. ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

وقال رضي الله عنه: الهداية إلا بالسابقة، إن سبَقَ لك يا الإنسان في العلم القديم بالهداية وُفِّقتَ لها كما قال تعالىٰ في سورة الشورىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]، فأيهما أحسن: الاجتباءُ أو الهداية؟ فسكت السيد عمر، فقال رضي الله عنه: الاجتباء بلا اجتهاد، وأما الهداية فبالاجتهاد.

وقال رضي الله عنه مخاطباً الْعُمَرَين: ما أجمعَ مِن هذه الدعوة النبوية: اللهمَّ اغْنِنا بحلالِك عن حرامِك، وبطاعتِك عن معصيتِك، وبفضلِكَ عمّن سواك، فهي دعوة جامعة جمَعَتْ معاني كثيرة، إذا قلت: اللَّهُمَّ أَغنِني بحلالِك، يعني كلَّ حلال ما هو (أي: ليس) حلال الطعام فقط، فدخل فيه كلُّ حلال: حلال الصلاة، وحلال الصيام، وحلال القيام، وحلال التلاوة، وحلال الذِّكْرِ، وحلال السمع، وحلال البصر، وجميعُ أنواع الحلال تدخل فيه، وإذا قلت: عن حرامِك، يعني كل حرام: حرام الصلاة، وحرام الذِّكْرِ، وحرام التلاوة، وحرام القيام، وحرام الصيام، وجميع أنواع الحرام، وبفضلك عمّن سواك، عن الوجود وأهله، ما أعظمها من دعوة!

وقال رضي الله عنه: اليوم قرأت في صلاة الصبح سورة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، حتىٰ وصلتُ قولَهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢]، قلت: لك الحمد يا رب يومَك (أي: لما أنَّك) أوجبت هُدانا علىٰ نفسك نعمة عظيمة.

وقال رضي الله عنه في معنىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ من سورة البقرة [٢ ـ ٣]: هؤلاء مرتبَتُهُم عظيمة، يا خير مرتبة، ولكنهم كُلِّفُوا تكليفات شديدة، ثم قال علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ رأما هؤلاءِ معاد عليهم تكليف أبداً، بل

أدخلهم في دائرة الصلاح بلا تعب فقال عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الله يجعلني وإياكم من أولئك المفلحين.

وقال رضي الله عنه ــ بعد ذكر الآية ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ من سورة البلد [١٠] ــ: أي: الطريقين، طريق الخير وطريق الشَّر، ثم قال علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ . وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ من سورة البلد [١١ ــ ١٣]، وأول ما يجب علىٰ الإنسان فكّ رقبته منَ المعاصي والذنوب التي باتوقعه في سَخَطِ الله وسَخَط رسوله ﷺ، يسعىٰ في عِتْقِهَا بكثرة الأعمال الصالحة وكثرة الاستغفار وكثرة الرجوع إلى الله والتوبة الخالصة والإقلاع عن الذنوب وعدم الإصرار على المعصية.

وقال رضي الله عنه علىٰ قول الحبيب الأعظم ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ مِن دنياكُم ثلاثٌ[1]: النساءُ، والطِيبُ، وجُعِلتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاة» كما اشتُهر علىٰ الألسنة وترجم به النجم كما جاء في «كشف الخفاء» للإمام العجلوني. قال ﷺ: مِن دنياكم ما هي دنياه، يعني كَلَّفُه المولىٰ علىٰ إقامة البشرية وحبّبها إليه، وإلا فهو بشر لا كالبشر.

وقال رضي الله عنه بعد تلاوة قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ من سورة الإنسان [٢ ــ ٣]: انظروا القوةَ الباهرة في خلق الإنسان الْمُرَكَّب من لحم ودم، فهو إلا من ماء نطفة لو سقطت علىٰ الأرض ما وقعت شيء. ومع ذلك، أهَّلَه للنطق وللسمع وللسر، ثم قال: يا رب يا رب أطلِعنا علىٰ

---

(١) لفظ (ثلاث) غير ثابت في الحديث كما سيأتي التنبيه عليه.

أسرار مُلْكِك ومَلَكُوتِك.

ولما سمع التاليَ يتلو قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ من سورة النساء [٤٨، ١١٦] قال: فتح الله علي بِهذه الدعوة النافعة: «اللَّهُم اعصِمني من الشرك واغفِرْ لي ما دون ذلك»، وأجاز الحاضرين فيها، وقال: كلمتانِ سهلتان ولكنْ عليهما عمدٌ كبير.

وقال رضـي الله عنه: اليـوم خَـرَجْـتُ من الجـابيـة (أي: بركـة المـاء الصغيرة)، وهذه الآية تدور في لساني وفي قلبي وهي: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ من سورة المائدة [٣]، فشكرت الله علىٰ هذه النعمة العظيمة التي خصَّنَا الله بها محض منّة وجود منه، لا بسابقة عمل منا بواسطة الحبيب الأعظم ﷺ. وينبغي للإنسان أن يكرِّر هذه الآية في كل وقت لِمَا احْتَوت عليه من جزيل النعم، ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾: الدين الحنيفي الذي أتىٰ به لنا حبيبنا محمد ﷺ وآثار أسراره باقية لنا، والدِّين كله كامل ظاهر لنا ما حد يَخْفَىٰ عليه شي من أمور الدين، بيّنه ﷺ وأوضحه لنا بحيث أنه ما بقِي شي مشكل علينا إلا وضّحه وبيّنه. ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾: نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الإسلام، ونعمة الإيمان، ونعمة إرسال ولد عدنان، ونعمة العافية ونعمة الصحة، ونعمة الهداية، ونعمة تيسير أسباب ديننا ودنيانا، نِعَم عظيمة لا تحصىٰ، الله يديم هذه النعم علي وعليكم ويوفّقنا لشكرها ويحفظها من الزوال.

وقال رضي الله عنه: يوم السبت يوم عجيب، قال الله لعبيده في سورة الأعراف: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أترىٰ حبيبك محمد ﷺ ما حضر، والخطاب متعدِّد أو واحد، وهل الجواب متعدد أو واحد؟ ومن

المبادر بالجواب في قوله تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ من سورة غافر [١٦]؟ الخطاب منه والجواب منه، قال بامخرمة: (ليت ما الله قضىٰ في ليلة السبت مسراي) يعني يوم السبت، تصحيف ٱلسَّتُ، فالآدمي تسع صورته كلها ذراع في ذراع، كيف تأهل لحمل الأسرار؟ كما جاء في معنىٰ الحديث: «ما وسعَني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» يعني: سعة معرفة لا سعة إحاطة.

وقال رضي الله عنه: الصراط المستقيم صدقك فيما تطلبه، وذكَرَ رضي الله عنه ما معناه أنّ سواد القلب الحاصل من فعل العبد للمعاصي يتحول يوم القيامة إلىٰ الوجوه، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ من سورة آل عمران [١٠٦] وقال رضي الله عنه: قال الله تعالىٰ: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ من سورة المائدة [٨]، وأي الشخصين أقوىٰ: القائمُ بالله أو القائم لله؟ ثم قال: القائمُ بالله معاد يقوم إلا وقده مقبول، الله يجعلني وإياكم ممن قام بالله.

وقال رضي الله عنه: قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: تحمّلْنا عنك أثقالَكَ كلها ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ يا خير ذكر ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا . فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ١ ــ ٨].

وقال رضي الله عنه لعمرَ بن محمد: إنته بغيت تقع من أهل الخير أو من أهل الخير؟! فقلت له: الخير ما هو إلا واحد، فقال: لا، الخير المال،

وهو الذي قال اللهُ فيه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ من سورة العاديات [٨]، والخير الذي هو ضد الشر، وإنته بغيت تقع من أيهما؟ فقلت له: من الخير الذي هو ضد الشر.

وقال رضي الله عنه: كنت إذا قلت في فاتحتي: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ . صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ بنعمة المعرفة، وتارةً أقول: بنعمة الصدق، حتى رأيت الحبيب عبدالرحمن بن محمد الجفري مولىٰ الْعرْشه، فسألته عن ذلك فقال لي: لاحِظْ نعمة الشهود، فوجدت ملاحظة نعمة الشهود جامعة.

وقال رضي الله عنه بعد سماعه للقارىء يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ . أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ . فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ من سورة الصافات [٣٩ ـ ٤٢]: فهي دائرتانِ: دائرة فضل ودائرة عدل، أهل دائرة العدل أهل العمل يجازَوْن علىٰ قدر أعمالهم، وأهل دائرة الفضل هم المخلَصون من عباد الله، جعلني الله وإياكم وأولادنا ومن تعلق بنا مِن عباده المخلصين، الله يدخلني وإياكم دائرة الفضل، فإذا أدخلك الله يا الإنسان دائرة فضله معاد باتنتظر جزاء علىٰ الأعمال، بايقع إلا عطاء ما ينقطع كما في قوله تعالىٰ في سورة فصلت: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ [٣٥] يعني أهل العمل أهل دائرة العدل ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أهل دائرة الفضل، الله يدخلني وإياكم وأولادنا وإخواننا وأصحابنا دائرة الفضل، ويجعلنا من أصحاب الحظّ العظيم، ويوصلنا بالنبي الكريم والصراط المستقيم.

وقال رضي الله عنه: ما شي ألذ من القرآن ولا أحلىٰ من القرآن، فأعجب ممن يفتقر وعنده القرآن وإلا يهتم وعنده القرآن، القرآن فيه الغنىٰ

وفيه شرح الصدور: [طويل]

كـلامٌ قـديـمٌ لا يُمَـلُّ سَمـاعُـهُ تَنَـزَّهَ عـن قـولـي وفِعْلـي ونِيَّتِـي
بِـهِ أشْتَفِـيْ مِـن كُـلِّ داءٍ ونُـوْرُهُ دليلٌ لقلبيْ عندَ جَهْلي وحَيْرتيْ

لو لم يكن من خَلْقِنا في هذا الوجود وفي هذا الهيكل الإنساني إلا كونُنا تأهَّلْنا لسماع القرآن، وتلاوة القرآن نعمة عظيمة أتىٰ بها لنا حبيبي محمد ﷺ، الله يجزي هذا الحبيب عنا أفضل الجزاء، أسْدَىٰ لنا هذا الخير، الله لا يفرِّق بيننا وبين هذا القرآن، الله يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، آه (أي: ما أعجب) النعيم الأعظم الذي آتاه الله أهل الجنة! يسمعون القرآن من المتكلِّم به، وينظرون إلىٰ وجه الله، ويسمعون كلام الله من الله، يجتمعون أهل الجنة كلهم بين يدي الله، فيقرأ لهم سيدي داود زبوره، ثم يقوم الحبيبُ الأعظم حبيبنا محمد ﷺ فيقرأ لهم سورة طه، ثم يقرأ لهم الحق جلّ وعلا آية الكرسي، فتغيبُ قلوبُهم من الدهشة ثمانينَ سنة! يا خير نعيم. والله، لو بذل الإنسان روحه وماله في طلب هذا الخير الكبير عاده قليل، با تنظر إلىٰ وجه ربك وبا تسمع كلام ربك منه كما جاء في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٢٢ ـ ٢٣]: الله يجعلني وإياكم وأولادنا وإخواننا وأصحابنا ومن تعلق بنا من أهل الجنة من الوجوه الناضرة التي إلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.

ثم قال رضي الله عنه: ما شي أحلىٰ ولا ألذ من القرآن، ثم تلا قوله تعالىٰ من سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [٦٤] إلىٰ آخر السورة، ثم قال: ما شي أجمع من القرآن، إذا قَصَّ قَصَصْ طَرَحَ بينهن

موعظة عظيمة، شف المولىٰ سبحانه وتعالىٰ لما قال في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [٧٢] ما قال: لَغَوْا، بل قال: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾، ما سمعوا ولا تكلموا ولا فرحوا.

وقال رضي الله عنه علىٰ قوله تعالىٰ في سورة الحِجْر: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩]، يعني: أخبِرْ عبادي أني أغفر الذنوب وأرحم العباد، ثم قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ يعني: وأعذب من شئت له العذاب، وقال تعالىٰ يخاطب المسرفين من عباده: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ كما جاء في سورة الزُّمَر [٥٣]، ونحن ما قَنَطْنَا من رحمة الله.

وقال رضي الله عنه علىٰ قول الله تعالىٰ في سورة الشورىٰ [٥٢] في حق النبي ﷺ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَٰبُ وَلَا الْإِيمَٰنُ﴾ وقال في آية أخرى من سورة الأحقاف حكايةً عن النبي: ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [٩]، إلىٰ غير ذلك من الآيات التي تنحو هذا النحو.

ثم قال رضي الله عنه: إن النبي ﷺ ما شي خفي عليه من خلق الوجود كله، وإنه قد اطَّلَع علىٰ ما سيحدث وما سيكون، وما يقع، وإنه قد علم أن الحسين با يقتل، وأن الصحابة با يجري بينهم كذا وكذا، ولكنْ، لما عرف أن الأشياء كلها والوجود الخلقي مُرَتَّبة أشياؤه في الإرادة الأزلية علىٰ أوقات وسنين وأشهر وأيام وساعات، أبقاها علىٰ ترتيبها، وكلما جاء شي لوقته أبداه لأهله، والله سبحانه وتعالىٰ لمَا أطلعه علىٰ العوالم كلها استكتمه، والمولىٰ ما استأمنه علىٰ علوم الأوّلين والآخِرين إلا لأنه حفيظ ولا يُفشي

سره لأحد وهو أمين عليه، وكان ﷺ ما يبدي شي لأحد، وإذا تكلم بشيء مع بعض أصحابه استكْتَمَه، وشاهِدُه من القرآن قولُه تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [١٠٦]، يعني: في أوقات معلومة، وقال تعالىٰ في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [١٧] أي: الذكر الذي ذَكَّرْنَاك، وقال تعالىٰ له ﷺ في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [١٦] يعني: أنه قد علَّمَه إياه من سابق، إنما قال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ أي: لا تقرأه قبل الوقت الذي عيّنّا لكَ قراءته فيه، ثم قال تعالىٰ له في سورة القيامة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ . فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾.

وقال رضي الله عنه بعد أن سأله بعض أصحابه عن قوله تعالىٰ في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [١٠٧]. فأجاب بقوله: الجار والمجرور في قوله: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلق بأرسلناك، أي: وما أرسلناك للعالمين إلا رحمة أو برحمة، أي: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ كما يؤخذ من ظاهر الآية. وبعض المفسرين تكلم فيها، ولكنه ما أعطاها حقها كما ينبغي، ولكنه تكلم علىٰ قدر مَبْلَغ علمه، وبعضهم تكلم عن علم فقط. وبعضهم تكلم عن علم وذوق.

وقال رضي الله عنه: ظهر في الوجود الْحَقِّي واحد وهو الله سبحانه وتعالىٰ، وظهر في الوجود الْخَلْقِي واحد وهو حبيبنا محمد ﷺ، فقابِلْ بين الواحِدَين، تجد الحضرةَ الأحدية تَمُد الحضرة المحمّدية في كل وقت وفي كل ساعة وفي كل دقيقة، ولا يقدر أحد يحيط بوصف ذرة من عُشر معشار ذلك المدد.

﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [٢٣]: بعض العارفين قضىٰ نحبه وهو بين ظهرانينا، فقيل له: وما معنىٰ ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾؟ قال: غاب في الشهود.

وقال رضي الله عنه علىٰ قوله تعالىٰ من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [٧٢]: حَمْلِ الأمانة شديد، والأمانة هي: السر الذي وضعه الله في قلوب أوليائه وهتكه شديد.

وقال رضي الله عنه علىٰ قوله تعالىٰ في سورة الأنفال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [٤٦]: قال المفسِّرون: ريحكُم: قوتكم، وقال بعضهم: ريحُكم: بركتكم، ثم تلا قوله تعالىٰ من سورة الرعد: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [١٣]. قال: المِحال: القوة، الله ينظر إلينا بعينه الرحيمة، ويرزقنا شهود عظمته ومنته، ويبلغنا أمانينا من رضاه ومن محبته ومن قربه ومن معرفته، ومما أعطاه أهلنا وسلفنا، ولا يخلف الفرع عن أصله، ويختم لي ولكم بالحسنىٰ في خيرٍ وعافية.

وقال رضي الله عنه علىٰ قول الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ [٦٣]: يعني: الميثاق الأول في قوله تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [١٧٢]: الله يجعلنا ممن حفظ هذا العهد ووفىٰ بالعقد. وقال رضي الله عنه: اليوم قرأت في أول أورادي أول سورة البقرة وتدبرتها، فقرأت بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [١ ـ ٢]، فقلت في نفسي: سواء الكتاب العزيز مُحقَّق ما فيه ريب مُصدَّق به، ثم قرأت: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فقلت: يا رب، اجعلنا من أولئك المتقين، ثم قرأت: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فقلت: آمنت بالغيب وصدّقت به، ثم

قرأت: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فقلت: اللهم اجعلني من المقيمينَ للصلاة، ثم قرأت: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فقلت: سهل، با ننفق مما رزقنا الله، إن هو مال با ننفق منه، وإن هو جاه با ننفق منه، وإن هو علم با ننفق منه، ثم قرأت: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فقلت: آمنت بما أنزل علىٰ الرسول، ثم قرأت: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، فقلت: وآمنت بما أنزل علىٰ من قبل الرسول، ثم قرأت: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، فقلت: أيقنت بالآخرة وصدَّقت بها، ثم قرأت: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فقلت: اللهم اجعلني منهم، ثم عَرَضتُ الأوصافَ هذه علىٰ نفسي، فوجدت الاتصافَ بها سهلاً إلا إقامةَ الصلاة حيث قال: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وجدت الإقامة ثقيلة جم، فلو قال: ويصلون الصلاة لكانت الصلاة سهلة، أما لما قال: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فما بعد التوحيد إلا الاستقامة ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، فالإقامة ثقيلة إلا لمن وفّقه الله؛ لأن الصلاة لها صورتان: صورة ظاهرة وصورة باطنة، فأما الصورة الظاهرة: إذا جاهد الإنسان نفسه علىٰ إقامتها يقيمها بفروضها وشروطها وسننها، أما الصورة الباطنة شديدة إقامتها، الله يجعلني وإياكم وأولادنا وإخواننا وأصحابنا ممنِ اتصف بهذه الأوصاف كلها، الله يجعلنا من المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل علىٰ محمد وما أنزل علىٰ الذين من قبله، ومن الذين يوقنون بالآخرة، ومن الذين هم علىٰ هدًى من ربِّهم ومن المفلحين.

❋ ❋ ❋

ومن ذلك ما نُقل عن الإمام القطب الحبيب علي بن حسن العطّاس المتوفىٰ سنةَ ١١٧٢هـ ببلدة (المشهد)، منقولاً عن مقدمة «القرطاس» للحبيب، نفع الله به، آمين(١)

قال، رضيَ الله عنه، بعد ذكره أقوالَ المفسِّرين في معنىٰ الكوثر من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]: من جملة الكوثر الكثير، الخير الواسع الأثير، الذي اختصَّ به اللطيفُ الخبير، نبيَّه البشيرَ النذير، في ذريتِه وأهلِ بيته الطيب الطاهر الكثير، المشار بقوله ﷺ لما دعا لعليٍّ وفاطمة ليلة زفافهما: «جمعَ الله شملكما، وأسعدَ جَدَّكما، وبارك عليكما، وأخرجَ منكما كثيراً طيباً». قال: والمعنىٰ في ذلك واضحٌ من غير إشكال؛ وذلك لأنّ سورةَ الكوثر إنما نزلت رداً علىٰ قريش؛ لأنهم كانوا يسمّون رسولَ الله ﷺ الصُّنبورَ المبتور، يعنون: النخلة التي لا مقاطعَ تحتها، أي: الذي لا عقبَ له بزعمهم. ثم قال: والأبتر الذي لا عقبَ له ولا خيرَ له في الدنيا والآخرة، فافهم ذلك، وحقِّق ما هنالك.

وكيف لا تكون ذريةُ النبي ﷺ وأهلُ بيته وعترتُه الطاهرة همُ الكوثرَ وقد ورد أنهم الكثير الطيب؟ اهـ.

---

(١) الحبيب علي بن حسن العطّاس، صاحب المشهَد، وُلد سنةَ ١١٢١هـ، وتوفي سنةَ ١١٧٢هـ، له مصنفاتٌ عديدةٌ منها: «القرطاس شرح راتب العطاس» مجلدٌ كبيرٌ، وغير ذلك، أفرده الشيخ عبد الله باسودان بترجمةٍ موسّعة في مجلد كبير.

ومما نُقِلَ عن الحبيب العارف بالله علوي بن محمد ابن طاهر الحدّاد[1] نفع الله به

قال بلسان الفهم علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]: ﴿ٱلْمُلُوكَ﴾: هم الخواطر الرَّحمانيّة، ﴿قَرْيَةً﴾ أي: قلباً، ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ أي: غيَّروا ما بها من الشهوات النَّفسانيّة وغيرها.

وقال، نفع الله به، علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]: أي لا يُحَلِّيهم بالأخلاق الحسَنة حتىٰ يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهم بإذهابِ رعوناتها كِنايةً عن التَّخلِّي والتَّحلِّي. اهـ. «مجموع كلامه» للحبيب محمد بن سقَّاف الهادي.

* * *

---

(١) العالم المرشد الصالح الوجيه الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحدّاد (١٢٩٩ ـ ١٣٧٣هـ). مولده بـ(قيدون) بحضرموت ووفاته بـ(بوقور) بإندونيسيا. تربّىٰ بوالده وجدّه، ثم هاجر إلىٰ إندونيسيا واستقر بها، ولازم الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي وغيره من الأجِلّة. وانفرد بالسيادة في تلك البلاد بعد شيوخه. كان كريماً محسناً برّاً، وله مناقبُ وشمائل حسنة. أخذ عنه أكابر أعلام العصر كالحبيب أحمد مشهور الحدّاد، والحبيب حامد بن علوي بن طاهر الحداد، وغيرهما، رضيَ الله عن الجميع.

القِسمُ الثاني

الحَدِيثُ الشَّرِيفُ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقـدِمَة

الحمدُ لله والشُّكرُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيِّدِنا رسُول الله حبيبِه ومُصطفاه، وخليلِه ومُرتضاه، وصَفِيِّه ومُجتباه، وعلىٰ آلِه وصحبِه ومن والاه.

وبعــدُ:

فهذه فوائدُ مُلتَقَطة، وفرائدُ مُستنبَطة، مِن مجموعِ كلامِ السَّلَف من السَّادة العَلَويّـة، في شرح بعض الأحاديث النَّبَوية، المَروِيَّةِ عن النَّبي عليه أفضلُ الصَّلاة وأزكىٰ التَّحِيّة، فهوَ الذي لا يَنطِقُ عن الهوىٰ وإنما نَـطَقَ عن الله ربِّ البَرِيّة.

وعِلمُ السنّةِ النَّبوِيّة أعظم العُلومِ قدراً بعدَ الكتابِ العزيز، إذ عليه مبنىٰ قواعد الأحكام الإسلاميّة، وبه تظهرُ تفاصيلُ مُجمَلات الآياتِ القرآنيّة.

وجعلتُ لهذا المجموع مُقَدِّمةً في علم مُصطلحِ الحديث مع غايَة الاختصار، ومُختارةً من الأحاديث المَروِيّة عن النَّبيّ المُختار، صلىٰ الله عليه وسلمَ ما دامَ الليلُ والنَّهار، وذلكَ لِتَمامِ الفائدة والنَّفع والانتِفاع، وأَسألُ الله سُبحانَهُ وتعالىٰ أن يَرزُقَنا كمالَ الاتِّباع، وأَن يحفظَنا جميعاً من الزَّيغِ والزَّلَلِ والابتِداع.

مُقَدِّمَةٌ فِي عِلْمِ الحَدِيثِ

الحديثُ **لغةً**: ضدُّ القديم، **واصطلاحاً**: ما أُضيفَ إلىٰ النبيِّ ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو وصْفٍ: خَلْقِي أو خُلُقِي.

فالقــولُ كأنْ تقــول: قــال ﷺ: **«إِنَّمَـا الأَعْمَـالُ بِالنِّـيّاتِ»**[١]، **والفعـلُ**: كدخولِه ﷺ الكعبة. **والتقريرُ**: كقولِ سيِّدنا جابر: **«أَكَلْنَا الضبَّ عَلَىٰ خِوَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَقَرَّه ولم يُنكِره»**. **والوصف الخَلْقِي**: هو ما يتعلَّق بظاهر البدَن، كأن تقول في صفة وجهِهِ ﷺ: إنه أبيضُ مُشْرَبٌ بِحُمْرة. **والوصف الخُلُقِي**: هو ما يتعلَّق بباطن الإنسان، كأنْ تقول: كان ﷺ أحلَمَ النَّاسِ وأكرَمَ النَّاس.

وينقسم الحديثُ إلىٰ ثلاثة أقسام: صحيحٌ وحسنٌ وضعيف. **فالصحيح في اللغةِ**: ضدُّ السقيم. **واصطلاحاً**: ما رواه عدْلٌ تامُّ الضَّبط[٢] متصلَ السَّنَدِ غيرَ مُعلَّلٍ ولا شاذ.

والعِلَّةُ: أمرٌ يَطْرَأُ علىٰ الحديث يقتضي التَّوقُّف فيه. وتنقسم إلىٰ قسمين:

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٢) ويُعرف ضبطُ الراوي بأن تكون روايته غالباً كما روىٰ الثقات، لا يخالفهم إلا نادراً، وإذا كثرت مخالفته اختلَّ ضبطه ولم يُحتَجَّ بروايته.

علَّة قادحة، وعلَّة غير قادحة. **فالعلَّة القادحة**: كأنْ يقول: حدَّثنا عبد الله، فلم ندْرِ هل هو عبد الله بن كثير العبْدي الذي هو ثقةٌ أو غيره؟ **والعلَّة غير القادحة**: كأن يقول: حدَّثنا سفيان، فإنَّنا لم ندرِ: هل هو سفيان بن عُيَيْنَة أو سفيان الثَّوري؟ فإنَّ كلاًّ منهما ثقة.

والحديث الحَسَن: هو ما اجتمعت فيه شروط الصَّحيح إلا شرطَ: (تامّ الضَّبط).

والحديث الضَّعيف: هو ما نقص فيه شرطٌ من شروط الحسن.

والحديث الموضوع: هو المكذوب علىٰ النبي ﷺ، وإيرادُه في أنواع الحديث لزَعْم واضعِه.

والكَذِبُ عليه ﷺ **من الكبائر** بالإجماع، بل ذهب أبو محمد الجُويني إلىٰ كفر من كذب عليه ﷺ متعمِّداً.

وتُعرف الأحاديث الموضوعة بأمورٍ منها:

أن يكون لها إسنادٌ ضعيف جدّاً أو لا إسنادَ لها أصلاً، وبالرِّكَّةِ والضعف في لفظه، وباقْشِعْرار جلد طالب العلم، وينفرُ قلبه منه في الغالب.

ولا تجوز رواية الحديث الموضوع إلا لبيانِ وضعه. قيل: إنَّ الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حفَّظ ابنه سبعين ألف حديث، ثم بعد أن حفِظها قال: يا بني، إنَّها كلَّها أحاديثُ موضوعةٌ مكذوبةٌ علىٰ النبي ﷺ، قال: يا أبتاه، لِمَ أتعبتني في حفظِها؟ قال: لِتَجْتنبها.

(فَصْلٌ): يُقدَّم في الاحْتِجاج أوَّلاً: الحديثُ المتواتر، ثمَّ الصَّحيح

لِذاته، ثم الصحيح لغيره، ثم الحسن لذاته، ثم الحسن لغيره، ثم المُضَعَّف، ثم الضَّعيف، ثم الأضعف. **ومعنىٰ الصحيح لغيره**: يعني أنَّه إذا جاء حديثٌ من طريقٍ رُواتُه رواةُ الحَسَن، ومن طريقٍ آخرَ رواتُه رواةُ الصحيح، فهذا يُقال له: صحيحٌ لغيره. **ومعنىٰ الحسن لغيره**: يعني أنه إذا جاء حديثٌ رواته رواة الضعيف لكنْ رواه راوٍ آخر من رواة الحسن، أو جاء من طرقٍ متعدِّدة أو أسانيدَ متعددة فيتقوَّىٰ بها، فيسمَّىٰ: الحسن لغيره، لكن بشرطِ أن لا يشتدَّ ضعفه، بأنْ كان راويهِ الذي رواه من رواة الضعيف متَّهماً بالكذب، فإن كان كذلك فلا تؤثِّرُ فيه موافقة غيره، وإن كان من رواة الحسن فيبقىٰ علىٰ ضعفه.

ومعنىٰ الحديث المُضَعَّف: بأن جاء حديثٌ قال بعض العلماء: إنَّه ضعيف، وقال بعضهم: إنّه ليس ضعيفاً؛ لأنَّ المُتَّفَق علىٰ ضعفه ليس كالمختَلَفِ علىٰ ضعفه.

(فَصلٌ): مذهبُ الشَّافعي وجمهور المحدِّثين أنَّ منَ الحديث الضعيف **الحديثَ المُرسل**، وهو: ما رواه التَّابعيُّ عن النبي ﷺ فلا يُحتجُّ به عندهم. وعند مالكٍ وأبي حنيفةَ وغيرهما أنه من الحديث الصحيح فيُحتجُّ به، هذا في مرسل التابعي وأما **مرسل الصَّحابي** ـ وهو: ما رواه صحابيٌّ عن صحابيٍّ آخر وأسقط في روايته الصَّحابيَّ ـ فهو صحيحٌ يُحتجُّ به عند الشافعي والجماهير، قال السُّيوطي في ألْفِيَّته: [رجز]

قلتُ: وأمّا مرسلُ الصّحابيْ فحُكمُه الوصْلُ علىٰ الصَّوابِ

(فائدة): قال الإمام الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تتبَّعْتُ مراسيلَ سعيد بن المسيِّب

فإذا هي كلُّها موصولةٌ من طريق أبي هريرة، رضيَ الله عنه، لكونه خَتَنَه، أي زوجَ ابنته. اهـ.

(فائدة): إذا أُسقطَ في الحديثِ الإسنادُ وذُكِر الصحابي فهذا يُسمَّىٰ **المُعلَّق**، وإذا جاء حديثان متَّفقان في اللَّفظ والمعنىٰ فيسمَّىٰ الآخر شاهداً، وإذا وافقه في المعنىٰ دون اللفظ فهذا يقال له متابَع. اهـ.

(فائدة): جميع الأحاديث بأقسامها تفيد **الخبر الظَّنِّي**. فمن أنكرها فَسَق، إلا الحديثَ المتواتر فهو يفيد القطعَ، فمن أنكره كفر. **والحديث المتواتر**: هو ما رواه جمعٌ يُؤمَن تواطُؤُهم علىٰ الكذب عن مثلهم، وهكذا إلىٰ آخر السَّند. ويُشترط أن يكون مُنتهَاه مَرئيّاً أو مسموعاً. اهـ.

(فائدة): ذَكَر في «نُخبة الفِكَر» أقوالاً في أنَّه هل يجوز روايةُ الحديث بالمعنىٰ؟ فقيل بالمنع مطلقاً، وقيل بالجواز مطلقاً، وقيل ـ وهو الأرجح ـ بالتَّفصيل: إن كان الراوي فاهماً لما يُحِيلُ المعنىٰ بثلاثة شروط:

الأول: أن تكونَ من عدلٍ عارفٍ ضابط.

الثاني: أن لا تكونَ من أحاديثِ الصِّفات الإلهية.

الثالث: أن لا تكون من جوامع الكَلِم ولا من الأدعية. اهـ. والله أعلم.

(فائدة): أكثرُ الصحابة حديثاً:

ــ أبو هُريرة، روىٰ **٥٣٧٤** حديثاً.

ــ عبد الله بن عمر بن الخطاب، روىٰ **٢٦٣٠** حديثاً.

ـ أنس بن مالك، روىٰ ٢٢٨٦ حديثاً.

ـ عائشة أم المؤمنين، روت ٢٢١٠ أحاديث.

ـ عبد الله بن عباس، روىٰ ١٦٦٠ حديثاً.

ـ جابر بن عبد الله الأنصاري، روىٰ ١٥٤٠ حديثاً.

ـ أبو سعيد الخدري، روىٰ ١١٧٠ حديثاً.

ويُقال لهؤلاء: **المكثِرون في الرواية**، وليس أحدٌ غيرَهم من يروي زيادةً علىٰ الألف حديث، وقد نظمهمُ الإمامُ السِّلَفي بقوله: [بسيط]

سبعٌ من الصَّحْبِ فوقَ الألفِ قد نقَلوا ... من الحديث عن المختار خيرِ مُضَرْ

أبو هريرةَ، سعدٌ، جابرٌ، أنسٌ ... وعائِشٌ، وابنُ عبّاسٍ، كذا ابنُ عُمَرْ

(فائدة): الكتبُ التي جميعُ الأحاديث فيها صحيحةٌ وليس فيها حسنٌ ولا ضعيف هي: «الموطَّأ»، و«البُخاري»، و«مُسْلم»، و«المستخرجات علىٰ الصحيحين»، و«المُنتَقىٰ» لابن الجارُود، و«مسند ابن خزيمة»، و«مسند ابن السَّكَن»، و«مسند أبي عوانة»، و«مسند ابن حِبّان»، و«المستدرك» إذا أقرَّه الذهبي. وأعظمُ مسندٍ في الدُّنيا «مسندُ الإمام أحمد بن حنبل» رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنَّه يحتوي علىٰ أربعينَ ألفَ حديث.

(فائدة): اتَّفق العلماء، رحمهم الله، أنّ أصحَّ الكتب بعد القرآن العزيز الصَّحيحان: البخاريُّ ومسلم. وكتابُ البخاري أصحُّهما وأكثرهما فوائدَ ومعارف، وهذا هو المختارُ عند الجماهير كما ذكره النَّووي في مقدمة «شرح مسلم». ولبعض الفضلاء هذان البيتان في أرْجَحيّة «صحيح البخاري»

علىٰ «مسلم»: [طويل]

تنازع قومٌ في البخاريْ ومُسلم لـدَيَّ فقـالـوا أيَّ ذَيْـنِ نُقـدِّمُ
فقلتُ لقد فاقَ البخاريُّ صحةً كما فاق في حُسن الصناعةِ مُسلِمُ

(فائدة): «صحيح مسلم» جَمع أربعةَ آلاف حديـثٍ صحيح أُصُـولٍ دون المكرَّرات، وكذا «صحيح البخاري» بإسقاط المكرَّر، وبالمكرَّر سبعةُ آلاف وخمسةٌ وسبعون حديثاً، وأنشدَ بعضهم: [مجزوء الكامل]

قـالـوا لِمُسلـمِ الفضْـلُ قـلـت البخـاريُّ أعلىٰ
قـالـوا المُكَـرَّرُ فيـهِ قلـتُ المكـرَّرُ أحْلـىٰ

❊ ❊ ❊

فوائد في علم الحديث

قال سيِّدنا الإمام أحمد بن حسن العطَّاس رضيَ الله عنه: ولا شيءَ يُفيد في تهذيب النُّفوس وتدريبها وتليين القلوب مثلُ كلامه ﷺ؛ لأنَّ الله جعله هو الواسطةَ بينه وبين خلقه.

وسُئِل، رضيَ الله عنه، عن الجَرْح والتَّعديل في مصطلح المحدِّثين: هل هو مبنيٌّ علىٰ أصل؟

فقال: إنّه في الوقت السابق مبنيٌّ علىٰ أصل؛ لافتراق النَّاس إلىٰ أهل سُنَّةٍ وبدعةٍ وخوارج، فاحتاج الناسُ إلىٰ التَّمييز بين المستقيمين وغيرهم، وبذلك تميَّزتِ العقائد والأعمال، فبعضُ الناس مائلٌ في علمه، وبعضُهم في عمَله، وبعضُهم ذو ذكاءٍ مُفرِط، وآخرُ مُغفَّل: وهكذا، وأمّا الآنَ فلا حاجةَ له؛ لأنّ علماءَ الدِّين الدائرةَ عليهم أحكامُه قد صاروا معروفين، وهو لأنّه علمُ خَوْضٍ فقط لا فائدةَ له، وأمَّا السَّلَف فإنَّهم لا ينظرون إلىٰ شيءٍ منه ولا يلتفتون إليه.

وقال رضيَ الله عنه: المحدِّثون بسبب اصطلاحاتهم ـ أي: في الجرح والتعديل ـ ضيَّعوا من السُّنَّةِ النبويّة أكثرَ مما حفظوه، ولكنَّهم حفظوا الدِّين من التَّدليس والافتراء.

وقال رضيَ الله عنه: كلامُ رسول الله ﷺ فيه إجمالٌ ككلام الحقِّ سبحانه

وتعالىٰ، وكلٌّ يأخذ منه ما ينبغي له، وفيه مُحْكَمٌ ومُتَشابه، فالرَّاسخون في العلم يقولون آمنَّا به كلٌّ من عندِ ربِّنا، وأمَّا الذين في قلوبهم زَيْغٌ فيتَّبعون ما تَشابَه.

وقال رضيَ الله عنه: **الحُجَّةُ** في اصطلاح أهل الحديث: مَن يحفظ مائةَ ألفِ حديث، **والحافِظُ**: من يحفظ ثلاثمائة ألف حديث[١]، **والحاكِمُ**: من يحفظ السُّنَّة كلَّها.

(فائدة): قال الشَّيخ يوسفُ بن إسماعيلَ النَّبْهاني علىٰ ظهر ثَبَتِه «هادي المُريد إلىٰ طُرُق الأسانيد»: الثَّبَتُ ـ بفتح الثاء المثلّثة وسكون الباء المُوحَّدة ـ: الثِّقةُ العَدْل، وبفتح الموحَّدة: هو ما يجمع مَروِيّات الشيخ.

(فائدة): قولُ المشايخ في إجازاتهم: «أجزتُ فلاناً بشرطِه المُعْتبَر» أي: عندَ أهل هذا الفن، وهو تصحيحُ متن الحديث، وضَبْطُ وإعرابُ المُشكل، والتَّحرُّزُ من التحريف والتَّصحيف. وعلى ذلك يُقاس غيره من كلِّ ما يَرويه المُريد عن المشايخ. اهـ.

(فائدة): كان سيِّدنا الإمامُ عيدروس بن عمرَ الحبشي، رضي الله عنه، يقول: الأحاديثُ النبويّة الصحيحة المنسوبة إليه ﷺ تتميَّز وتُعرَف بنورِ النبوَّة عليها، بخلاف الأحاديث الموضوعةِ عليه والمكذوبةِ، فإنَّه ليس عليها شيءٌ

---

(١) المشهور عند أهل الحديث العكسُ، أيْ أنَّ **الحافظَ** هو الذي يحفظ مائة ألف، **والحُجَّةَ** الذي يحفظ ثلاثمائة ألف.

من ذلك النُّور. اهـ.

وقال رضيَ الله عنه: إنّ اعتبارهم عُلُوَّ الإسناد وشرفَه له وجهان: **أحدهما**: قلَّة الوسائط وعدد الرواة، وهو الأكثر في عُرفِهم إذا ذَكَروا علوَّ الإسناد. **والوجه الثاني**: جلالة الرواة وعلوُّ رتبتهم وشهرتهم في هذا الفن، والأولُ علوٌّ حِسِّي والثاني علوٌّ معنوي. وأهلُ الحديث يحبُّون قلةَ الوسائط والسند، لكونه أوثقَ وأبعدَ من الخَلَلِ الذي ينشأُ من كثرة الوسائط، وأهل التَّصوُّف يحبُّون كثرة الوسائط، لأجل التَّبرُّك بكثرة الأشياخ وحصولِ المَدَدِ من كلِّ واحدٍ منهم. اهـ. «النهر المورود».

(فائدَة): قال سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحّداد نفع الله به: إذا سألْتَ في الحديث عن شيءٍ فقلْ: ما الحكمةُ فيه؟ ولا تقل: ما العِلَّة فيه؟ إنَّما العلَّةُ في الفقه.

(فائدَة): وقال رضيَ الله عنه: إذا جاء حديثٌ يُنظَرُ أوَّلاً في صحَّته، فإذا صحَّ نَظر فيه العالِمُ وتكلَّم، وفصَّل فيه ما يحتاج إلىٰ التَّفصيل، وإذا لم يصحَّ لم يَحكم في شيءٍ إلا إذا هو في الوعد، فيبقىٰ العبدُ علىٰ حُسن الرَّجاء في الله، وأمورُ الآخرة يؤمِن بها كما جاءت بلا تأويل.

(مسـألة): سئل سيدنا الإمام عبد الله بن محسن العطّاس، نفعَ الله به، عن الحديث: هل هو من طريق الوحي أو جهةٍ أخرىٰ؟

فقال رضيَ الله عنه: قد يكون من طريق المَلَك ولكن لا بصفة الأمرِ والنهي، وقد يكون من جهة نفسه صلَّى الله عليه وسلم.

(فائدَة): قال سيدنا الإمام أحمد بن حسن العطّاس: إذا جاءك الحديث

الصحيح فاتركه علىٰ ظاهره وما يدُلُّ عليه لفظُه العربي، وإيَّاك أن تُؤوِّله علىٰ مقتضىٰ هواك كما فعله أربابُ النِّحَل الضّالّة الذين أخضعوا النُّصوصَ لأهوائهم بدلَ أن يُخْضِعُوا أهواءهم للنُّصوص.

وسُئِل، رضيَ الله عنه، عن الإجازة وقولِ الشيخ لمريده: أجَزْتُك في كتاب كذا؟ فقال: **الإجازة هي الإذنُ والاتِّصال بالسَّلف**. أجازَ له: أذِنَ له في القراءة والرِّواية كما أذن له فلان. فقيل له: إذا قال الشيخ: اِفعلْ كذا، هل يكفي عن الإجازة؟ قال: يكفي. اهـ.

(فائدَة): قال سيدنا الإمام علي بن حسن العطّاس رضيَ الله عنه: إنّ المناقبَ والفضائلَ الأعْماليّة، وبيانَ معاني الكلمات، والمعرفةَ بالتَّفسير والشَّرحِ يُعمل فيها الحديث الضَّعيف، وإلىٰ ذلك أشرتُ بقولي: [رمل]

في ثلاثٍ يعمَلونَ العاملونَ	بضعيــفٍ وبِــواهٍ وبِــوانْ
وهْيَ إنْ تطلُبْ منّي عدَّها	المنـاقـبُ والفضـائـلُ والبيـانْ

(فائدَة): قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضيَ الله عنه: قد تعلَّق الإمامُ الغزالي في آخر عمُرِه بعلم الحديث حتَّىٰ قال بعضهم: لو طال عمُرُه لأَرْخص تلك البضاعة، وإنّما تعلَّق به لأنَّ من تمكَّن في العلم اللَّدُنّي وتبحَّر فيه لا يلائمه ويُطابعه إلا العلومُ اللدنيَّة وعلوم الحديث؛ لأنَّها من عند الله علىٰ لسان رسوله. وقال: كان أكثرُ تعلُّقه من كتب الحديث بـ«جامع التِّرمذي» حتىٰ رُوي عنه أنَّه قال: من عنده «جامع الترمذي» فكأنَّما عنده نبيٌّ يتكلَّم.

فَصْلٌ
في الأحاديث المُختارة الجامعة لخيري الدُنيا والآخرة

قال سيدنا الإمام محمَّد بن زين بن سُمَيْط رحمه الله في كتابه «قُرّة العَيْن»:

هذه الأحاديثُ الأربعون المُسمَّاةُ بـ: «سلسلة الإبْريز» من رواية العِتْرةِ النبويّة الطّاهرة، والشَّجرةِ العلويّة الباهرة، بإسنادهم المُتَّصل بجدِّهم سيِّدِ الأنام عليه أفضل الصَّلاة والسلام، يُستشفىٰ بروايتها من الأمراض والأسقام؛ لاختصاص رجال سندها، لكونهم من أهل البيت النبوي، روَوُا الإسنادَ الشريف عن محمَّد بن علوي، عن أبيه أحمد، عن أبيه علوي، عن أبيه موسىٰ، عن أبيه عيسىٰ، عن أبيه محمَّد، عن عمِّه الحسن، عن أبيه علي بن أبي طالب، وعن أبيه عبيد الله، عن الحسين الأصغر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيهِ الحسين، عن أبيهِ الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، عن النبي ﷺ.

ولْنذكر هذه الأحاديثَ سرداً لأجل التبرُّك بها، ولأجل حفظها مقتصِراً علىٰ لفظ النُّبوَّة.

قال ﷺ: «ليسَ الخبرُ كالمعاينة»، «الحربُ خدعة»، «المجالسُ بالأمانة»، «المسلمُ مرآة المسلم»، «الدالُّ علىٰ الخير كفاعله»، «المستشارُ مؤتمَن»، «استعينوا علىٰ الحوائج بالكتمان»، «اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة»، «الدنيا سجنُ

المؤمن وجنة الكافر»، «الحياءُ خيرٌ كلُّه»، «عدة المؤمن كأخذ الكف»، «لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثة أيام»، «ليس منا من غَشّنا»، «ما قلَّ وكفىٰ خيرٌ مما كثُرَ وألهىٰ»، «الراجعُ في هِبتهِ كالراجع في قَيْئه»، «البلاءُ موكَلٌ بالمنطق»، «الناسُ كأسنان المشط»، «الغنىٰ غنىٰ القلب»، «السعيدُ من وُعِظَ بغيرِه»، «إنّ منَ الشعر لَحكمة»، «عفوُ الملوك أبقىٰ للمُلك»، «المرءُ معَ مَن أحبّ»، «ما هلك امرُؤٌ عرَفَ قدرَه»، «الولَدُ للفراش وللعاهرةِ الحجَر»، «اليد العليا خيرٌ منَ اليد السفلىٰ»، «لا يشكُرُ اللّهَ من لا يشكُرُ الناس»، «حبُّك الشيءَ يُعمي ويُصِمّ»، «جُبِلَتِ القلوبُ علىٰ حبِّ مَن أحسَنَ إليها وبُغض مَن أساء إليها»، «التائبُ منَ الذنب كمَن لا ذنبَ له»، «الشاهدُ يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب»، «إذا جاءكم كريمُ قومٍ فأكرموه»، «اليمينُ الفاجرة تدَعُ الديارَ بَلاَقع»، «مَن قُتل دونَ مالِه فهُو شهيد»، «الأعمالُ بالنيات»، «سيدُ القومِ خادمهُم»، «خيرُ الأمور أوسطهُا»، «اللهم بارِكْ لأُمتي في بكورِها يومَ الخميس»، «كاد الفقرُ أن يكونَ كفراً»، «السفرُ قطعةٌ منَ العذاب»، «خيرُ الزاد التقوىٰ». اهـ.

(فائدَة): قال سيدنا الإمام محمَّد بن زين بن سُمَيط باعلوي، رضيَ الله عنه، أثناء مُكاتبته: وممّا نَرْويه عن آبائنا إلىٰ سيدنا الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين بن الإمام الأفخر الأكبر يَعْسُوبِ المؤمنين عليٍّ كرّم الله وجهه ورضيَ الله عنه، يرفعه إلىٰ النبي ﷺ: يقول الله تعالىٰ: «الراحمون يرحمُهمُ الرحمن، ارحَموا مَن في الأرض يرحَمْكم مَن في السماء»، وإسناد هذا الحديث شبَكةُ الذَّهب؛ لأنَّه رواية الفاطميِّين خالصاً، وهكذا كل حديثٍ

يُروىٰ عن أهل البيت الحُسَينيِّين يُسمَّىٰ شبكةَ الذَّهب. وقد جاء في بعض الأخبار: أنَّ الله سبحانه غَضِب علىٰ أهل مدينةٍ لكثرة المعاصي وانتهاك المحارم، والتَّمادي في الذُّنوب والعيوب والجرائم، والتَّقاطع وعدم التَّراحم، فأمر جبريلَ أن يستأصلها من أسفلها ثمَّ يقلِبَ أسفلَها أعلاها، فلمَّا خرجَ وأراد أن يقلعَها من أصلها انتبه طفلٌ في تلك القرية وبكىٰ، فقامت أمُّه وأرضعته وأسكتَتْه، فأوحىٰ الله إلىٰ جبريل: أنْ كُفَّ عنهم، إنِّي رحمتهم ـ أي: أهلَ المدينة ـ ودفعتُ عنهم العذابَ برحمةِ هذه المرأة لطفلها. انتهىٰ ملخَّصاً من كتاب «مجمع البحرين» للشيخ معروف باجَمَّال.

قلتُ: وللشيخ العلاَّمة أحمد بن حَجَر الهَيْتمي رحمه الله في معنىٰ الحديث المذكور هذان البيتان: [كامل]

ارحمْ عبادَ اللهِ يرحمْكَ الذي عمَّ الخلائقَ جُودُه ونوالُهُ
فالرَّاحمونَ لهم نصيبٌ وافِرٌ مِن رحمةِ الرَّحمٰنِ جلَّ جلالُهُ

وللحافظ عبد الرَّحيم العراقي قولُه: [بسيط]

إنْ كنتَ لا ترحمُ المسكينَ إن عَدِمَا ولا الفقيرَ إذا شكىٰ لك العَدَما
فكيفَ ترجو منَ الرَّحمنِ رحمتَهُ وإنَّما يرحَمُ الرَّحمنُ مَن رَحِمَا

(فائدَة): في حديث الأوَّليّة، وحديث الآخِريّة، وحديث المُصافحة.
سُمِّي الأول حديثَ **الأوّليّةِ** ـ ويُقال: حديثُ الرَّحمةِ المُسَلْسَلُ بالأوَّليّة ـ لأنَّ المريد يقول: «أوَّلُ حديثٍ سمعتُه من شيخي»، يرويه عن سفيان بن عُيَيْنَةَ، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوسٍ مولىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص، عن

عبد الله بن عمرو، رضيَ الله عنهما، أن رسولَ الله ﷺ، قال: **«الراحمونَ يرحَمُهمُ الرحمٰن»** وفي[1] روايةٍ: **«يرحَمُهمُ الله، ارحَمُوا مَن في الأرض يرحَمْكم مَن في السماء»**.

وسُمِّي الثاني: **حديثَ الآخِرِيَةِ**، لكون المريد يقول: «آخرُ حديثٍ سمعتُه من شيخي»، يرويه عن عمَّارِ بن محمَّد، عن الصَّلْتِ الحَنَفِيِّ قال: سمعتُ أبا هريرةَ، رضيَ الله عنه، يقول: سمعتُ خليلي أبا القاسم محمداً ﷺ يقول: **«لا تقومُ الساعةُ حتىٰ لا تنطَحَ ذاتُ قرْنٍ جَمَّاءَ»**[2] وهي التي لا قرنَ لها.

وسُمِّي الثَّالثُ: **حديثَ المُصَافَحة**، لأنَّ الشيخ لا يروي إلا حالَ المصافحة فيقول: قال أبو هريرة: دخلْنا علىٰ أنس بن مالك نَعُودُه فقال: **«صافحتُ بكفِّي هذه رسولَ الله ﷺ، فما مَسَسْتُ خزّاً ولا حريراً ألينَ من كفِّه ﷺ»**. اهـ. أفاد ذلك الحبيب علي بن حسين العطَّاس في «تاج الأعراس».

(فائدَة): قال سيدنا الإمام أحمد بن حسن العطّاس نفع الله به: لمّا دخل سيِّدنا علي بن موسىٰ الرِّضا خُراسانَ راكباً علىٰ بغلته في ملإٍ عظيمٍ من النَّاس، طلبوا منه أن يُسمعهم حديثاً عن آبائه الكِرام، فقال رضيَ الله عنه: حدَّثني أبي موسىٰ الكاظمُ عن أبيه جعفر الصَّادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب رضيَ الله عنهم أجمعين، قال: حدَّثني حبيبي وخليلي رسولُ الله ﷺ، قال:

---

(١) رواه أبو داود والتِّرمذي.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة.

حدَّثني جبريلُ، قال: حدَّثني ميكائيل، قال: حدَّثني إسرافيل، قال: سمعتُ ربَّ العزَّة يقول: «**لا إلهَ إلا اللّهُ حِصْني، فمَن قالها دخلَ في حصني، ومَن دخلَ في حصني أَمِنَ مِن عذابي**»، فكتب ذلك الحديث عشرونَ ألفَ مِحبرةٍ من الذين كانوا حولَ بغلته. اهـ. من «مجموع كلامِهِ» للشيخ محمد عوض بافضل.

قلْتُ: قال الإمام أحمدُ بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: لو قُرِيء هذا الإسنادُ علىٰ مجنونٍ لأفاقَ بإذن الله تعالىٰ.

وقال أبو القاسم القُشيري: اتَّصل هذا الحديثُ بهذا السَّند ببعض الأُمراء السَّاسانيّة، فكَتَبه بالذَّهب وأوصىٰ أن يُدفنَ معه في قبره، فرُئيَ في المنام بعدَ موته فقيل له: ما فعلَ اللّهُ بك؟ قال: غَفَر لي بتلفُّظي «لا إلهَ إلاّ الله» وتصديقي أنَّ محمداً رسولُ الله. اهـ. أوْردَه المُناوي في «شرحه الكبير علىٰ الجامع الصغير».

(**فائدة**): عن ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ أنَّ النبي ﷺ جمع مُتفرِّقاتِ الشَّرائع وقواعدَ الإسلام في أربعة أحاديث وهي:

١ ــ حديث: «**إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكل امرىءٍ ما نوىٰ، فمَن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرتُه إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكِحُها فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه**». رواه الشيخان.

٢ ــ حديث: «**الحلالُ بيّن والحرام بيّن، وبينَهما أمورٌ متشابهاتٌ لا يعلَمُهُنَّ كثيرٌ من الناس، فمنِ اتقىٰ الشبُهاتِ فقدِ استبرَأ لدينِه وعِرضِه، وَمن وقَعَ في الشبُهاتِ وقع في الحرام، كالراعي يرعىٰ حولَ**

الحمىٰ يوشك أن يرتعَ فيه، ألا وإن لكلِّ ملكٍ حِمىٰ، ألا وإنَّ حمىٰ الله محارمُه، ألا وإنّ في الجسد مضغةً إذا صلُحَتْ صلُحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسَدَتْ فسَدَ الجسَدُ كلُّه، ألا وهيَ القلب».

رواه مسلم.

٣ ــ حديثُ: **«لو يُعطىٰ الناسُ بدعواهم لادّعىٰ رجالٌ أموالَ قومٍ ودماءهم، لكنّ البينةَ علىٰ المدّعي واليمينُ علىٰ من أنكر»**. رواه الشيخان.

٤ ــ حديثُ: **«لا يكمُلُ إيمانُ المرءِ حتىٰ يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه»**. رواه الشيخان.

فالحديثُ الأول يشتمل علىٰ ربع العبادات، والحديثُ الثاني يشتمل علىٰ ربع المُعاملات، والحديثُ الثالث يشتمل علىٰ ربع الحكومات والخُصُومات، والحديثُ الرابع يشتمل علىٰ ربع الآداب والمُناصَفات ويدخل تحتَه التَّحذيرُ من الجنايات. اهـ. ذكرها الإمام النَّبهاني في «الأنوار المُحمدية».

(فائدَة): قال الإمام الجليل أبو محمد عبد الله بن أبي زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جميعُ آداب الخير تتفرَّعُ من أربعةِ أحاديثَ:

١ ــ قوله ﷺ: **«مَن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخرِ فلْيقلْ خيراً أو لِيصمُتْ»**[1].

٢ ــ قوله ﷺ: **«مِن حُسن إسلام المرءِ تركُه ما لا يَعنيه»**[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه.

٣ ــ قوله ﷺ للذي اختصر له الوصيةَ: «**لا تغضَبْ**»[1].

٤ ــ قوله ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه**». ا هـ. من «شرح مسلم» للنَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(**فائدَة**): قال الإمام الشِّبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قرأتُ أربعة آلاف حديث، ثم اخترتُ منها حديثاً واحداً عمِلتُ به وخَلَّيْتُ ما سواه؛ لأنّي تأمَّلتُه فوجدتُ خلاصي ونجاتي فيه، وكأنَّ علمَ الأوَّلينَ والآخِرين مُندرجٌ فيه، فاكتفيتُ به، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه: «**اعمَلْ لدنياكَ بقدرِ مقامِك فيها، واعمَلْ لآخرتِك بقدرِ بقائك فيها، واعمَلْ للجنّة بقدرِ حاجتِك إليها، واعمَلْ للنار بقدرِ صبرِك عليها**». ذكر ذلك الإمام الغزالي في رسالته لبعض مُريديه.

(**فائدَة**): قال الحبيبُ العارفُ بالله أبو بكر بن عبد الله العطَّاس نفع الله به: كان السيد أحمد بن علي البحر من السَّادة آل القَديمي يجتمع بالنبيِّ ﷺ يَقَظة، وأنَّه قال له يوماً: يا رسولَ الله، أريدُ أن أسمع منكَ حديثاً بلا واسطة، فقال له: أُحدِّثك بثلاثة أحاديث:

الأول: «**ما زَال ريحُ قهوة البُن في فم الإنسان تستغفر له الملائكة**».

الثاني: «**مَن اتخذ سُبحةً ليذكرَ الله بها كُتب من الذاكرين الله، ذكَرَ بها أو لم يذكُر**».

الثالث: «**من جلس بين يدَي وليٍّ لله حيٍّ أو ميتٍ فكأنما عبدَ الله في زوايا**

---

(١) رواه البخاري.

الأرض حتىٰ يتقطعَ إرْباً إرْباً». أفاده الحبيب أحمد بن حسن العطاس في «مجموع كلامه».

(فائدَة): ورد عن سيدنا الإمام جعفر الصَّادق رضيَ الله عنه أنَّه قال: ما مرَّ نبيٌّ إلا وخلَّف في أهل بيته دعوةً مستجابة، وقد خلَّف فينا رسولُ الله ﷺ دعوتَيْن مجابتَيْن، أمَّا الأولىٰ فلشدائدنا، وأمَّا الأخرىٰ فلحوائجنا. أمَّا التي لشدائدنا: **«يا دائماً لم يَزَل، يا إلهي وإلهَ آبائي، يا حيُّ يا قَيوم»**، وأمَّا التي لحوائجنا: **«يا مَن يكفي مِن كل شيء ولا يكفي منه شيء، يا الله يا ربَّ محمدٍ اقضِ عنا الدَّين»**. اهـ. أفاده الحبيب أحمد بن حسن العطّاس في «مجموع كلامه».

(فائدَة): قال الإمام السُّبْكيُّ رحمه الله: وجدتُ الصَّلاحَ كلَّه في كلمتين من الحديث النبوي علىٰ قائله أفضلُ الصَّلاة والتَّسليم: **«عليكَ بخُوَيْصَّةِ نفسِك، ولْيَسعْكَ بيتُك»**، أمَّا قوله: **«بخُوَيْصَّةِ نفسِك»** فإرشادٌ إلىٰ الاشتغال بتهذيب النَّفس وتنقيتها من الكُدورة والدَّنَس.

وأما قوله: **«ولْيَسعْكَ بيتُك»** فإرشادٌ إلىٰ أن السلامةَ كلَّ السَّلامة في العُزلة عن الخلق، فمتىٰ خرج الإنسان فقد تعرَّض للشَّقاء والعناء، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]. ذكره العلامة الأكمل عبد الرحمن بن سليمان الأهدل رحمه اللّه في كتابه: «النَّفَس اليماني». اهـ.

(فائدَة) من كتاب «الفتوحات المكِّية» للشيخ مُحيي الدِّين ابن عربي رحمه الله في باب الوصايا وهي:

(وصِيَّة): إذا قرأتَ فاتحةَ الكتاب فصِلْ بسمَلَتَها معها في نَفَسٍ واحدٍ

من غير قَطْع، فإنِّي أقول: بالله العظيم، لقد حدثني أبو الحسن، ورفعَه هكذا إلىٰ أن عدَّ نحو خمسة عشر راوياً، وكلٌّ منهم يقول: «بالله العظيم» إلىٰ سيِّدنا أنس بن مالك وقال: بالله العظيم، لقد حدَّثني عليُّ بن أبي طالب وقال: بالله العظيم، لقد حدَّثني أبو بكر الصديق وقال: بالله العظيم، لقد حدَّثني المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم وقال: بالله العظيم، لقد حدثني جبريلُ عليه السلام وقال: بالله العظيم، لقد حدَّثني إسرافيلُ عليه السلام، وقال الله تعالىٰ: «**يا إسرافيل، بعزّتي وجلالي وجودي وكرمي، مَن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلةً بفاتحة الكتاب مرةً واحدة، اشهَدوا عليَّ أني قد غفرتُ له، وقبلتُ منه الحسَنات، وتجاوزتُ عنه السيئات، ولا أحرق لسانه بالنار، وأُجيرُه مِن عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يومِ القيامة والفزَع الأكبر، ويَلْقاني قبلَ الأنبياءِ والأولياءِ أجمعين**». اهـ.[١]

(**فائدَة**) من «مسند سيِّدنا الإمام علي، كرّم الله وجهه»: عن عليٍّ رضيَ الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، والآيتين من آل عمران:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ. . .﴾ [آل عمران:٢٦] إلىٰ: ﴿. . . وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٧]، **معلقاتٌ بالعرش ما بينَهم وبينَ الله حجاب، قلن: تُهبِطنا إلىٰ أرضك وإلىٰ من يعصيك، فقال الله عزّ وجل: بي حلفتُ، لا يقرؤكنَّ أحدٌ من عبادي دُبُرَ كل صلاةٍ إلا جعلتُ الجنَّةَ مأواه علىٰ ما كان عليه منه، وإلا أسكنتُه حظيرةَ القدس، وإلا نظرتُ إليه بعيني المكنونةِ كل يوم سبعينَ نظرة، وإلا قضيتُ له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلا**

---

(١) ولا يصح هذا الحديث، ففي سنده كذّاب.

أعيذُه من كل عدوٍ ونصَرْتُه منه». اهـ. نَـقَله في «عقد اليواقيت الجوهرية».

(لطيفة): أخرجَ النسائي، وأحمدُ في «المسند»، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث[1]: النساء والطِّيب، وجُعِلَت قرةُ عيني في الصلاة»** . وعن الشيخ أبي محمد النَّيسابوري رَحِمَهُ اللهُ: أن أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ، رضيَ الله عنه، لما قال النبي ﷺ ذلك قال: وأنا حُبِّبَ إليَّ من الدنيا ثلاث: القعود بين يديك، وإنفاقُ مالي عليك، والصَّلاةُ عليك، فقال عمر بن الخطَّاب، رضيَ الله عنه: وأنا حُبِّبَ إليَّ من الدنيا ثلاث: الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنكَر، وإقامة حدود الله، فقال عثمان بن عفَّان، رضيَ الله عنه: وأنا حُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاءُ السَّلام، والصلاةُ بالليلِ والناس نيام، فقال علي بن أبي طالبٍ، رضيَ الله عنه: وأنا حُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا ثلاث: الضرب بالسيف، والصَّوم في الصَّيف، وإكرام الضيف، فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: وأنا حُبِّبَ إليَّ من الدنيا ثلاث: النزول علىٰ النبيِّين، وتبليغ الرِّسالة للمرسلين، والحمد لله رب العالمين، ثمَّ عرَجَ، ثم رجع فقال: يقول الله: وأنا حُبِّبَ إليَّ من عبادي ثلاث: لسانٌ ذاكِر، وقلبٌ شاكِر، وجِسمٌ علىٰ البلاءِ صابِر. أورَد ذلك صاحب «كشف الخفاء».

❊ ❊ ❊

---

(١) لفظ: «ثلاث» في الحديث لا يثبت، لا سنداً ولا متناً، حيث الصلاة ليست من الدنيا. انظر: «المقاصد الحسنة» ص٢١٦ و «كشف الخفاء» (١ : ٤٠٦).

شرح بعض الأحاديث النبوية من أنفاس وجواهر جماعة من السادة العلوية الذين هم معادن الأسرار المحمدية

فمن ذلك ما نُقل عن قطب الإرشاد سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد المتوفىٰ في ذي القَعْدة من عام ١١٣٢هـ. نفعنا الله به آمين. منقولاً من مجموع كلامه المسمَّى «تثبيتَ الفؤاد»، ومن «مكاتباته»، ومن «النفائس العَلَوية» للحبيب أحمد بن زين الحبشي[(١)]

قال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«إن الرجلَ ليُحرَمُ الرزقَ بالذنب يصيبُه»**[(٢)]: للرِّزق جهاتٌ متعددةٌ وكذلك الذُّنوب، فقد يكون الذَّنبُ في جهة الرِّزق، فإذا حصل ذنبٌ في جهة رزقٍ كأَنْ كان رِزقُه في البيع والشراء، فأذنب ببخسٍ وتَطْفيفٍ ونحو ذلك، حُرِم ذلك الرِّزق، بأنْ ذهبت بركته وتلاشىٰ عليه فيفتقر، أو حصلت له آفةٌ أذهبته من يده كما هو مشاهدٌ في أهل الرِّبا ومانعي الزَّكاة وغيرهم، ويُحرَمُ رزقَه المقابلَ لذنبه خاصةً دون غيره، فإن كان له رزقٌ في الحِراثة وغيرها ولم يُذنب في جهته، فلا يُحرَم

---

(١) تقدم ترجمته.

(٢) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم.

الرِّزقَ منه بذنبه في جهة البيع والشِّراء ونحو ذلك، وإن كان ذنبه فيما هو عامٌّ لجميع الأرزاق أو أكثرها كالنَّقد، حُرِم الرِّزق بذلك المعنىٰ من جميع الجهات التي يأتيه رزقه به منها لأنَّ عليه مدارَها، وإنْ أحسنَ في الكلِّ حصلت له البركة والنُّمو في الجميع، أو أحسن في البعض ففيه دون غيره، ويُجبَرُ خللُ كلٍّ واحدٍ بالإحسان فيه دون الآخر كما يُجبر خللُ العبادةِ بعضِها ببعض كذلك. وإن كان الذَّنبُ خارجاً عن أسباب الرزق كزناً أو ترك صلاةٍ أو غير ذلك عمَّ الضَّررُ العمرَ والرِّزق، وإن توالت عليه أرزاقه مع عصيانه فذلك استدراجٌ له. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**من أسرَّ سريرةً ألبسَه اللّٰهُ رداءها**»[1]: أي: حسنةً كانت أو سيِّئةً، ويُلبسه ذلك بالجملة لا بالتَّفصيل، وهو أنه إذا أسرَّ حَسَناً حصل له القبولُ عند الناس وأثنَوْا عليه خيراً، وإن أسرَّ سيِّئاً لم تقبله قلوبهم وأثنوا عليه شراً، وربَّما برز منه قليلٌ فاستُدِلَّ به علىٰ الباقي من الأمرين وعُرِف به.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**كُتب علىٰ كل نفسٍ نصيبُها من الزنا، مدرَكٌ ذلك لا محالة، فالعينُ زناها النظر، والأذنُ زناها الاستماع، ويصدِّقُ ذلك الفرجُ أو يكذِّبه**»[2]: يعني أنَّ هذه الأعضاءَ المذكورة أبوابُ الفاحشة، منها يتَّصل إلىٰ القلب العزمُ عليها بسبب ما حصل من كلِّ عضوٍ بما يقتضيه، ولكن تمامُ ذلك بفعل الفرج، فبه تتمُّ الفاحشة كلُّها ويأثم بها

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» بلفظ: «ما من عبدٍ يُسر سريرةً إلا رَدَاه الله».

(٢) رواه ابن ماجه بلفظ: «كُتب علىٰ ابن آدمَ نصيبُه من الزنا مدركٌ ذلك لا محالة».

كلّ الأعضاء المذكورة، وهو معنىٰ قوله: «**ويصدِّقُ ذلك الفرجُ أو يكذِّبه**» أي: يتمُّ ذلك بفعله أو تبقىٰ ناقصةً بما عَداهُ فقط.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**شرُّ الرِّعاء الحُطَمة**»(١): هو الذي يَحطِمُ الناسَ بالظلم والجَور، ثم بعدُ تَحْطِمُه النار، فالحُطَمة للحُطَمة.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**إنّ الله يؤيّدُ هذا الدِّينَ بالرجل الفاجر**»(٢) «. . . **وبأقوامٍ لا خلاقَ لهم**»(٣): أي كما ترىٰ أقواماً يقاتلون الكفار مرادُهم الغنائمُ وأخذُ البلدان، فيحصل بذلك دفعٌ عن الإسلام والمسلمين، وآخرين يقاتلون قُطّاع الطَّريق وغيرَ ذلك ممّا يقوىٰ به الدِّين، وأكثرُ ما يكون ذلك في الوُلاة.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**الزَّهادة في الدنيا تُريحُ القلبَ والبدنَ، والرغبةُ فيها تُكثر الهمَّ والحزن**»(٤): أي يستريحُ قلبه عن همِّها ومحبّتها والفكرِ في جمعِها وحفظها، وبدنُه عن طلبِها والسَّعي لها. وزهدُ القلب أفضلُ من زهدِ الظّاهر، وأمّا مع الرَّغبة فإذا زهد بظاهره وهو راغبٌ يكون فتنةً وبلاءً علىٰ نفسه وعلىٰ غيره فيغترُّ به، وأمّا إذا زهدَ في الدنيا أوّلاً ثم أقبلت عليه وكثرت فلم تَشْغله وفرّقها، فهو الزُّهد الكامل وهو زهدُ النَّبيِّ ﷺ وزهد الصحابة، رضيَ الله عنهم.

---

(١) رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه» والطبراني عن عائذ بن عمرو المزني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن أبي الدنيا وابن حبان.

(٤) رواه أحمد والبيهقي مرسلاً.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**إنّ الله لينفع العبدَ بذنبٍ يُذنبه**»[1].
أي: ينفعه بنفي العُجْب بسبب شيءٍ من الصغائر تصدر عنه مرةً واحدةً كرؤية غير مَحْرمٍ، وأمَّا الإصرارُ علىٰ المعاصي ـ بأن يعملها وينويَ ذلك مهما تمكَّن ـ فإنَّه يضرُّ سيَّما الكبائر، فقد قيل بتخليد من كان مُصرّاً عليها. وقوله مع الإصرار: «أستغفرُ الله وأتوبُ إليه» بلسانه لا ينفعه، لكنه خيرٌ من عدمه، وإنَّما التوبة مع التَّنصُّل من الذُّنوب.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**الدِّينُ النصيحة**»: أي أنها داخلةٌ في جميع أجزاء الدين.

وقال، رضيَ الله عنه، في الحديث الذي ذكَرَ فيه **أبوابَ الجنة الثمانية**: هذه الأبوابُ الكبار التي تكون علىٰ حائطِ سُورِها يُدخَل منها إليها، وإلا فلكلِّ بيتٍ بابٌ. والنَّار سبع طَبَقاتٍ: إذا دخل من باب طبقةٍ إلىٰ أخرىٰ ينزل حتىٰ الهاوية، والجنَّة إذا دخل من بابٍ وأراد الآخرَ ارتفع، وكلُّ منزلةٍ أعلىٰ من منزلة. ولأيِّ شيءٍ كانت أبواب النَّار سبعة؟ قيل: لأن القلب يُعدُّ في أبواب الجنة دون النار.

وسُئل، رضي الله عنه، **عن الذي استعجل الموت فقتل نفسه، المذكور في قصة خيبر: هل هو مخلَّدٌ في النار؟**

فقال: إن كان مؤمناً فاستعجل الموتَ لضرورةٍ فلعلَّه مات علىٰ الإسلام والله أعلم بحاله، وكونه يدخل النَّار فما كلُّ من دخلها بمخلَّد، وقد كان السَّلف يتركون أحاديثَ الخوف علىٰ ظاهرها ولا يؤوِّلونها.

---

(١) رواه أبو نعيم فى «الحلية».

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**إذا لقيتمُ المصرِّينَ علىٰ المعاصي فالقَوهم بوجوهٍ مكفهِرّة**»[١]: المجاهرون بها، المتظاهرون بها بلا مبالاة، ولا يجاهرُ ويتظاهرُ بها إلا من لا خوفَ معه من الله ولا حياء، فلْيُبغضْهم ويعادِهِم ما لم يخشَ فتنة.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**كفىٰ بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع**»[٢]: أي مِنْ صدقٍ وكِذْبٍ ومن نافعٍ وضارٍّ، فينبغي إذا أراد كلاماً أن ينتقيَه، فلا يحدِّث إلا بما فيه نفعُ مؤمنٍ أو دفعُ ضرٍّ عنه.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**مَن تصدَّق فقد فكَّ لحيَ سبعين شيطاناً**»[٣]: يعني خالفَ صفات الشَياطين، فشيطانٌ يأمره بالبُخل وآخر يخوِّفه الحاجةَ وآخر يأمره ويؤخِّره ونحو ذلك إلىٰ سبعين شيطاناً من هذا القبيل، فإذا تصدَّق فقد خالفَ جميعَ هذه الدَّواعي.

وقال، رضيَ الله عنه، في معنىٰ ما ورد أنه **ينبغي أن يدار بنحو الماء علىٰ اليمين**[٤]: هذا إذا كان يُدار إناءٌ واحدٌ فقط، أمّا إذا تعدَّدت الآنية فالإنسان مُخَيَّرٌ؛ لأنَّ ما فيه ـ أي: الإناء ـ له، يعطيه من أراد ممن كان عن يمينه أو شماله أو غيرهما.

---

(١) رواه ابن شاهين في «الأفراد» بلفظ آخر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٤) انظر: كتاب «رياض الصالحين»، باب أدب الشُّرب.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**ربَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمْرَين لا يُؤبَه له مدفوعٍ بالأبواب لو أقسمَ علىٰ الله لأبرَّه**»[١]: هو فقيرٌ قانعٌ بفقره لا يريد خلافَ ذلك، ذو تقوىٰ مُؤدٍّ لحقِّ الله فيما أمرَ ونهىٰ، ذو ورعٍ لا يأكل إلاَّ حلالاً، وأمّا فقيرٌ ذو طمرين لا يبالي من أين أكل من حلالٍ أو من حرام فما فضيلته؟! فالحاصل أنّه لا فضلَ إلاَّ مع التَّقوىٰ والدِّين، لا بشرف الآباء.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**يُنصَبُ لكل غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة بقدر غدرته**»[٢]: يختلف الغدرُ، فغدرٌ في حق الله، وغدرٌ في حقِّ رسول الله ﷺ، وغدرٌ في حقِّ الخلق علىٰ حسب أحوالهم، وغدرٌ في حقِّ نفسه.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**من احتكر علىٰ المسلمين طعاماً ابتلاه الله بالإفلاس والجذام**»[٣]: إمَّا الجذام الظَّاهر أو مَحْق البركة؛ لأنَّ الجذامَ المحقُ، فيُمحَق ويفلس من الدُّنيا مع إفلاسه أيضاً من الدِّين، لأنَّ الغالبَ ما يفعل ذلك أحدٌ إلاَّ افتقر قبلَ أن يخرج من الدُّنيا.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**والله لا يؤمنُ مَن لا يأمَنُ جارُه بوائقَه**»[٤]: البوائقُ التَّطلُّعُ إلىٰ عوراته، والاستشرافُ في بيته من غير إذنه، ونظره إلىٰ أهله، واحتقارُه وخَوْنُ أمانتِه، ونقلُ كلامه.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد.

(٤) رواه البخاري وأحمد.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ تعدِلُ ثلثَ القرآن، والزلزلة نصف القرآن، والكافرون ربع القرآن**»[١] ونحوِ ذلك: إنَّ هذه الأسرار لا يُطّلع عليها إلا بنور النُّبوَّة.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**الجار قبل الدار**»[٢]: أي إذا أردت نزول دارٍ فانظر فيها واختر مجاورة أهل الصَّلاح والسِّتر والصِّيانة، ،لا تجاور معروفاً بالفساد والتَّطلُّع علىٰ العورات، فربَّما يطَّلع علىٰ عورتك ويشرفَ عليك وعلىٰ أهلك، فاختبر حال الجار أولاً قبل نزولك في جواره.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**أعدىٰ عدوك زوجتُك التي تضاجعُها وما ملكت يمينُك**»[٣]: أي لأنَّه يقع منهم بلايا، وأقلُّ الحال أنَّهم يُوقعونك في طلب الدنيا إن لم يكن معك شيء.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**من أخذ من أموال الناس يريدُ إتلافها أتلفها الله عليه**»[٤]: هو من يستدينُ ونيّته إن تيسَّر له أدَّىٰ وإلاَّ ترك.

وقال رضيَ الله عنه: الجوع المُستعاذ منه في حديث: «**أعوذ بك من الجوع فإنه بئسَ الضَّجِيع**»[٥]: هو الجوع الاضطراريُّ الذي يشغل الخاطرَ كثيراً حتىٰ تتغيَّر عليه حوائجه وأحوالُ دينه ودنياه وغيرُ ذلك من المضارِّ

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد وابن ماجه ومالك والدارمي.

(٢) رواه الخطيب في «جامعه» عن علي ورافع بن خديج.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن مالك الأشعري وإسناده حسن.

(٤) رواه البخاري وابن ماجه.

(٥) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه.

الدِّينية والدُّنيوية، وأمَّا الجوع الاختياري فهو محمود، فقد كان ﷺ يجوع الثَّلاثة الأيامَ فأكثر.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**إنّ الله ختمَ سورةَ البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلَّموهن وعلِّموهن نساءكم وأبناءكم فإنهم صلاةٌ وقرآنٌ ودعاء**»[1]: أي ينبغي تعليمهم ذلك، وإن لم يمكن تُكتب وتُعلَّق عليهم، وإنْ جُمع لهم بين ذلك فحسنٌ، وإن أمكنَ نزعُه عند دخول نحو الخلاء فليُفعل.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث خوَّات بن جُبَير رضيَ الله عنه، لمَّا مَرِضَ فَعَادَهُ ﷺ فقال له: «**كيف تجدُك؟**»، قال: بخيرٍ يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام له: «**أوفِ اللهَ بما عاهدته عليه**»، فقال: ما عاهدتُ الله بشيء[2]: أي أنَّ كلَّ مؤمنٍ يمرض يتأسَّف علىٰ ترك الطَّاعة والإقبال علىٰ الله حال صحَّته، ويحصل له عزمٌ علىٰ الجدِّ في ذلك إن عافاه الله وعاد إلىٰ العافية، فقال عليه السَّلامُ له ذلك مذكِّراً له بهذا العزم وأن يفيَ به لمَّا رآه متعافياً.

وقال، رضي الله عنه، في حديث: «**إذا دخل رمضانُ صُفِّدَت الشياطين**»[3]: أي ما عدا الشيطان الكبير وهو إبليس فلم يَرِد فيه نصٌّ، ولو كان كذلك لَما تعرَّضَ لهم يومَ بدرٍ حيث أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال:٤٨] الآية، ووقعةُ بدر كانت في رمضان. وحظُّ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» بلفظ آخر.

(٣) رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي ومالك وأحمد.

أعوانه من الإغواء أكثر منه، فإنَّه ما له من العمل إلاّ الوسوسة، فيوسوس لهم في الأمور المذمومة، والمصفَّدون هم المَرَدة منهم.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**إذا التقىٰ المسلمانِ بسيفَيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار**»[١]: هذا يدخلها بالنِّية والعمل ـ يعني القاتل ـ وهذا يدخلها بالنية فقط ـ يعني المقتول ـ بخلاف ما إذا استسلم أحدهما وقتله الآخر فالمقتول يَسْلم ويبوء القاتل بالإثم، كما قصَّ الله في ابنَيْ آدم.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**إذا التقىٰ المسلمان فتصافحا وتكاشرا قسمتْ بينهما مائة رحمة: تسعةٌ وتسعون لأكثرهما بِشراً**»[٢] قال: فالفضلُ المذكور للأكثر بشراً إذا كان لله وللدَّار الآخرة لا لأمور الدُّنيا، فإنَّ الدُّنيا جميعها ساقطة.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**إنّ البيتَ المعمورَ بحِيال البيت الحرام يدخله كل يومٍ سبعون ألف مَلَكٍ لا يعودون إليه إلىٰ يوم القيامة**»[٣]: في بعض الأحاديث: «**إن عنده عَينَ ماءٍ، يدخله جبريل عليه السلام كل ليلةٍ وقتَ السحر، ثم ينتفض فيطير من جناحه سبعون ألف نقطة، فيخلق الله من كل نقطة ملكاً، فهم الذين يدخلون البيتَ المعمورَ ولا يعودون إليه إلىٰ يوم القيامة**».

وقال، رضيَ الله عنه، في معنىٰ الحديث القدسي: «**ما وَسِعَني أرضي**

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) ذكره في «جامع الأحاديث والمراسيل».

ولا سمائي ووسعني قلبُ عبدي المؤمن»[١]: أي وُسْعَ المعرفة وحمل الأمانة، ووسعَ علمٍ لا جِرْم، والقلبُ لا يضيقُ بكثرة المعلوماتِ وإنْ كثرت، وإنَّما تضيقُ أماكنُ الفراغ بما يكون فيها من الأجرام.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«لو لم تذنبوا لخلقَ الله قوماً يذنبون فيستغفرون فيغفرُ لهم»** يعني: أنَّك لا تتقصَّد ذلك ولا تنكر وجودَه في الكون، فللّه في خلقه حِكَم، ولو لم يكن من الحكم في ذلك إلا ليكون النَّاس درجاتٍ بعضُهم فوقَ بعض، ومن أنكر وجوده أو تقصَّد فعله فهو عاصٍ فاسق، وهو كمن يتقصَّد شرب السُّم.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«يقول الله لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»**[٢]: أي إنَّه ما بقيَ فيهم داعيةُ المعاصي، وإنَّما عملهم كلُّه صالح.

وقال، رضيَ الله عنه، على معنىٰ ما ورد: **«علماءُ أمتي كأنبياء بني إسرائيل»**[٣]: ليس المرادُ بهم كلَّ عالم، بل هو من جملة العلماء، العالم الرَّبّاني الرَّاسخةُ قدمُه في معرفة علوم الكتاب والسُّنَّة: الظّاهرةِ منها والباطنة، الرَّحيم بعباد الله الشَّفيق عليهم، الزَّاهد في الدنيا، المتحقِّق بالخشية لله، العامل بما علم ابتغاءَ وجهِ الله. اهـ.

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء».

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والدارمي وأحمد.

(٣) جزم برفعه الرازي وابن قدامة والإسنوي والبارزي واليافعي، وليسوا محدِّثين، أمّا أهل الحديث كابن حجر العسقلاني والسخاوي وغيرهما فقد جزموا بأنه لا أصلَ له، انظر: «المقاصد الحسنة» ص٣٤٠.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن حديث: «إنّ لله في كل ليلةٍ من رمضان (كذا كذا) عتيقاً من النار، وفي آخر ليلةٍ منه يُعتِقُ كما يعتق في الشهر كله»[١]: هل هذا يكون شاملاً للأحياء والأموات وللإنس والجن؟

فأجابَ نفعَ الله به: هذا للأحياء من الإنس والجن، وأمّا الأموات فقد غُفر لهم وليسوا في دار التكليف.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن معنىٰ ما يُروىٰ عن رسول الله ﷺ وهو: «من عرَفَ نفسَه فقد عرفَ ربه».

فأجابَ بقوله: اعلم أنَّ لهذه الكلمة معانيَ كثيرةً نقتصر منها علىٰ ذكر معنَيَيْن بأوجز عبارة، قال تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصّلت: ٥٣]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذّاريات: ٢١].

المعنىٰ الأول ـ من كون المعرفة بالنَّفس طريقاً إلىٰ المعرفة بالحق ـ: أنك إذا نظرتَ إلىٰ نفسِك وإلىٰ عجزِها وافتقارِها وقصورِها وانقهارِها، وأنّها لا تستطيع أن تجلبَ نفعاً لنفسها ولا أن تدفعَ ضرّاً عنها، تعلمُ بذلك أنَّ لها ربّاً وخالقاً هو المنفردُ بإيجادها وإمدادها، والقائمُ عليها بما كسبت والمجازي لها بما عملت، له الغنىٰ المطلَق والوجودُ المحقَّق. قيل لبعض العارفين: بِمَ عرفتَ ربك؟ فقال: بنقض العزائم، يعني بذلك أنّه قد عزم

---

(١) رواه البيهقي بلفظ: «إن لله عز وجل في كل ليلة من رمضان ستّمائة ألف عتيق، فإذا كان آخر ليلة أعتق بعدد كل من مضىٰ».

علىٰ الأمر فيبرمه فينتقض، ويعزم علىٰ نقضه فيُبرَم، فاستدلَّ بذلك علىٰ كونه مربوباً وأنَّ أمره في يد غيره، ذلك الله العزيزُ الحكيم.

المعنىٰ الثاني: أنّك إذا نظرتَ إلىٰ نفسك ورأيتها مائلةً إلىٰ الشَّرِّ والباطل، ومُعرِضةً عن الخير والحقّ، وراغبةً في التَّمتُّع بالدُّنيا الفانية، غافلةً عن الآخرة: علمْتَ أنّه لا يُنجيك من بأسها ويعصمك من فتنتها إلا الخالقُ لها القادرُ علىٰ إصلاحها وهو الله تعالىٰ، فعند ذلك تفزع إليه مكتفياً به ومعتمداً عليه، وإذا علم سبحانه صِدْق الفرار، وصحّة الرَّغبة في الخلاص، أفاضَ عليك الأنوار، وكاشفك بمَصُوناتِ الأسرار، وألقىٰ علىٰ النَّفس الأمّارة بالسُّوء والمقارفةِ للشَّر والأشرار، من الطُّمأنينة والانقياد للحقِّ والنُّفرة عن الباطل والرَّغبة في ملازمة الخير ومرافقة الأخيار، ما تَقرُّ به عين القلب، وينمحي عنه وجودُ كل شيءٍ يشغل عن سلوك سبيل القُرب، فعند ذلك تعرف مولاك وعنايتَه بك وإقبالَه عليك وحسنَ نظره إليك. وأصلُ هذه المعرفة معرفتك بشؤم النَّفس الحامل لك علىٰ الفزع إلىٰ الله. اهـ. المكاتبة.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**إن الله يحبُّ أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده**»[1]: إذا كان الإنسانُ واجداً فلا ينبغي أن يُقتِّر علىٰ نفسه إلاَّ إن كان بنيّة زهدٍ وكان من أهله، وفي الحديث: «**إن الله يحبُّ أهلَ البيت الخَصِب**»[2]: أي: في المعيشة إذا كان هناك شيءٌ بغير إسراف.

---

(١) رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «قِرىٰ الضيف» عن ابن جريج معضلاً.

وقال، رضيَ الله عنه، **في حديث النهيِ عن الحَلِفِ بالآباء**[١] : أي من ليس فيه صلاح، فإن كان فيه صلاحٌ فإنَّما هو حلفٌ بالله[٢]، إذ لا ينبغي أن يُحلَف به تعالىٰ كلَّ وقتٍ فيُبتذَلَ الاسمُ الكريم، وفي الغالب أنَّك لا ترىٰ مَن يحلفُ بأحدٍ من آبائه إلاَّ إن كان فيه صلاح، إلا إن كان أحدٌ من النِّساء. ولو حلف حالفٌ بما كان يحلف به النبي ﷺ مثل: «والذي بعثك بالحق»، فيقول: والذي بعث محمداً بالحق، فحسنٌ. إذ يحصل التَّعظيم له عليه الصلاة والسلام والتَّبرُّك بذكره والسَّلامة من اليمين ومن خطر الحَلِف بالآباء.

وقال، رضي الله عنه، في حديث: **«لا أجمعُ علىٰ عبدي أمنَين ولا خوفَين، فإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإن هو أمنني في الدنيا أخفته يومَ القيامة»**[٣] قال: أمَّا خوفه في الدُّنيا فبأنْ يجتنبَ ما نهي عنه من حرامٍ ومكروهٍ وفضول ونحو ذلك، **وأمْنُه** بالغفلة عن الله وتضييع ما ذُكر، ويتناول كلَّ ما يشتهيه، ويقول كلَّ ما أراد ولا يبالي ولا يمنع نفسه مما يُذم.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«ثلاثٌ مهلكاتٌ: شحٌّ مطاع، وهوىً متَّبَع، وإعجابُ المرءِ بنفسِه»**[٤]: قد يكونُ في الإنسان الشُّحُّ ولكنْ لا يضرُّه

---

(١) لفظ الحديث: «لا تحلفوا بآبائكم» رواه البخاري والنسائي عن ابن عمر.

(٢) قوله: «إنما هو حلف بالله...» إلخ، فيه توسعةٌ من توسعات لغة العرب كما في حديث: «لا تسبوا الدهر فإنما الدهر هو الله» أي: فعل الله، إذ الدهر هو الليل والنهار وهو خلق الله، والصَّلاح أيضاً خلقٌ من خلق الله يجعله فيمن أحب، فالحالف بأحد سببه حالفٌ بوصف من أوصاف الله. اهـ. «تثبيت الفؤاد».

(٣) ذكره في «الفتح الكبير» وفي «مسند الشَّاميِّين» عن شدَّاد بن أوس.

(٤) رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود.

إلاّ إن أطاعه بأنْ أطاعه في ترك واجبٍ كالزّكاة وفعل حرامٍ كأخذ مالٍ حرام فلا شك أنَّ ذلك يضرُّه، والشُّحُ هو الذي جرّه إلىٰ ذلك. وكذلك الهوىٰ، كلٌّ فيه هوىً لأنَّه من طبع النَّفس، فإنِ اتَّبعه حتَّىٰ وقع في حرامٍ مما تدعوه إليه نفسه، أو ترك ما يلزمه، فلا شكَّ أنَّ ذلك مما يُهلك الإنسان، والاستغناءُ بالرَّأي لكونه يمنعه من أن يستشيرَ مَن هو أعرفُ منه فيقع هو في المحذور. اهـ. «تثبيت الفؤاد».

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«إنّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال»**[1]: معناه: ينبغي للعبد أن يتجمَّل، لكن بحيث لا يحبُّ التزيُّن ويشتهي كلَّ ما يرىٰ ولا يحب أن يُرى متجمِّلاً ولا يتفاخر بذلك. بل المؤمنُ لا يحبُّ إلاَّ ما يحبُّه الله، فإذا كان كذلك فليفعل الأليقَ ويأخذْ بأوَّله وآخرِه ولا يتَّبعْ هواه في أمثال هذه الأشياء ويستدلَّ بهذا الحديث.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عما ورد من **المَدْحِ لِلفقرِ والذَّمِّ** الواقعيْنِ في السُّنّـة والكتاب، فأجابَ بقوله: إنَّ المدحَ الواقع علىٰ الفقر كتاباً وسنةً المرادُ به: هو الفقر المقرون بالصَّبر والرِّضا وحسنِ الأدب مع الله، وذلك نحو قوله ﷺ: **«الفقرُ زينٌ بالمؤمن من العذارِ الحَسَن علىٰ خدِّ الفرس»**[2]. والذَّمُّ الواقع علىٰ الفقر المرادُ به: فقرٌ مقرونٌ بسخط المقدور وضيق الصدر بمواقع القضاء، حتىٰ ينتهي بصاحبه إلىٰ الاعتراض علىٰ الله في تدبيره، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: **«كاد الفقرُ أن يكونَ كفراً»**[3]. ولمَّا كان الفقر أقربَ إلىٰ السلامة

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة.

(٣) رواه البيهقي وأبو نعيم وابن عدي.

والفلاح من الغنىٰ تخيَّره أجلَّاء الخليقة من الأنبياء والأولياء سلفاً وخلفاً، فالفقيرُ الرَّاضي الشاكر ـ علىٰ فقره ـ من الله بمكانٍ لا يبلغه الغنيُّ وإن بذل نفسه وماله في سبيل ربه، والفقير المتسخِّط شرٌّ من شرار الأغنياء؛ لأن بليته في الاعتراض علىٰ الله وهو أمرٌ فظيع، وأمَّا بليَّة الغنىٰ فنهايتها في الاغترار بالدُّنيا والتَّمتع بها علىٰ غير وجهٍ مَرضي. اهـ. المكاتبة.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن معنىٰ **الزِّيادةِ فِي العُمْرِ** الواردةِ في بعض الأحاديث، فأجاب بقوله: قد صحَّ أنَّ العمرَ لا يزيد ولا ينقص كتاباً سابقاً. وقد اختلف العلماء في معنىٰ الزيادة، فذهب بعضُهم إلىٰ ظاهر الأحاديث وقال: تكون الزِّيادة والنَّقص مشروطةً بأسباب، مثاله: أُجِّل فلان كذا وكذا، فإن فعل كذا زِيد له كذا، وكذلك يُقال في نقصه، فإنَّه قد ورد.

وقال بعضُهم ـ وهو ابن عبّاس رضيَ الله عنهما ـ: إنَّ للإنسان أجلاً في الدُّنيا من مولده إلى موته، وأجلاً في البرزخ مِن موته إلىٰ بعثه، وكلٌّ مسمًّىٰ، فإن أطاع الله زِيدَ في أجله البرزخي علىٰ أجله الدُّنيوي، وإن خالف وعصىٰ نُقص من أجله الدُّنيوي فزِيدَ علىٰ أجله البرزخي، فلم تكن زيادةٌ من خارج ولم يُبدَّل الكتاب السَّابق، وهذا هو **الصحيحُ عندي**. وقال بعضُهم: معنىٰ الزِّيادة الواردة: بركةٌ تكون في عمره حتىٰ يَزِنَ عمرُه القصيرُ عمرَ غيره الطَّويل من غير أن تكون زيادةٌ حِسِّيّة. والمطلوبُ من طول العمر إنَّما هو اتِّساعه لتتَّسع دوائر العمل الصَّالح، وقد حصل ذلك لهذا العبد المُوفَّق فكان طولاً حقيقياً وزيادةً معنوية.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله ﷺ: «المرءُ مع مَن أحبّ»[1] **فهل ذلك مطلقاً حتىٰ يحصل لمن لم يوافق محبوبَه في أعماله وأقواله وغيره من تقلُّباته؟**

فأجاب بقوله: اعلم ـ علَّمك الله ـ أنَّ الحديثَ فيه ترغيبٌ وترهيب، حيث يكون الإنسان مع من يحبه سواءٌ كان من الأبرار أو الفجّار، فكيف حالُ من يحب الدنيا الملعونة حيث يصيرُ معها؟ ثم إن هذه المعيّـةَ الحاصلةَ بالمحبة تحصل مطلقاً، ولكن لا يصحُّ وجود المحبة إلاّ بموافقة المحبوب فيما يأتي ويذر حسب الاستطاعة، فالمحبّة دعوىٰ لا تثبت حتىٰ تقومَ بها بيِّنةُ الموافقة، فالذي يدَّعي محبةَ شخص وهو مع هذا يخالفه في أغراضه ومراداته التي يقدر عليها ولا يوالي من يواليه ولا يعادي من يعاديه يقضي العقلُ بتكذيبه. نعم، لا يُشترط ـ لحصول هذه المعيّة ـ المساواةُ للمحبوب في جميع أعماله، فإنّ ذلك يقضي المماثلةَ فيمن تُستطاع مماثلته، فقد علمتَ أنَّ المحبةَ لا تصحُّ بدون الموافقة أبداً. اهـ. المكاتبة.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن كيفية دخول الإنسان من أبواب الجنة الثمانية الواردة في الأحاديث[2]. فأجاب بقوله نفع الله به:

إن كانت الأبواب مفرقةً في سور الجنّة الشّامل لها كلِّها فيدخلُ من أحدها ويكون فتحُ سائرِها علىٰ سبيل الإجلال وزيادةً في الإكرام إذا فُتحت له كلُّها ويدخل من أيِّها شاء، والمعنىٰ ظاهرٌ فيه، وهو الأقرب إلىٰ الفهم، وإن كانت

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد والدارمي.

(٢) كحديث الوضوء، رواه مسلم.

الأبواب علىٰ طِباق الجَّنة وهي ثمانٍ، طبقةٌ فوق طبقة، فيكون معناه أنَّه صار في أعلىٰ الجِنان ودخل من الأبواب الثَّمانية التي هيَ أبواب طبقات الجنّات.

ومما قاله رضيَ الله عنه في أبواب الجنة الثمانية، أيضاً: هذه الأبواب الكبار التي تكون علىٰ حائطها، حائط سُورِها، يُدخَل منها إليها، وإلا فلكل بيتٍ باب، والنار سبع طباق، إذا دخل من باب طبقةٍ إلىٰ أخرىٰ ينزل حتىٰ الهاوية. والجنة إذا دخل من بابٍ وأراد الآخر ارتفع، وكل منزلة أعلىٰ من منزلة.

ولأي شيءٍ كانت أبواب النار سبعة؟ قيل: لأن القلب يُعدُّ في أبواب الجنة دون النار، والإنسان إنما يرجو من فضل ربه. وقوله: القلب يُعَدّ في أبواب الجنة فتصبح أبواب الجنة ثمانية، أي لقولهم: إنّ لا إلهَ إلا الله محمد رسول الله سبعُ كلمات، وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب، فكل كلمة من هذه السبع تغلق باباً من هذه الأبواب السبعة عن كل عضوٍ من الأعضاء السبعة.

وأما القلب فهو محل الإيمان، فلا تناسُب بينه وبين أي من أبواب النار.

وقال، رضي الله عنه، في حديث: **«يأتي زمانٌ القابضُ فيه علىٰ دينه كالقابض علىٰ الجمر»**[1]، قال: أي: يعسر التمسك بالدين حينئذٍ، وأكثر ما

---

(١) رواه الترمذي.

يشتد علىٰ: المتمسك بالدين، والعلماء العاملين، والصالحين.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**إذا اشتبهت عليك طريقان فاسلُكْ أيمنَهما**»[١] قال: هذا إذا كان كل منهما يسلك بك مقصداً واحداً، فاشتبه عليك الأقرب منهما، وأما إذا تحققْتَ أن أيسرهما هو الطريق الأبعد أو الأقرب فاسلكه.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن **حشر المتكبّرين في صور الذَّرّ**[٢] كما ورد فيهم، وفي غيرهم علىٰ صورٍ أخرى: هل ذلك علىٰ ظاهره أو له معنىً آخر؟ فأجاب بقوله: لا مانعَ من وقوعه علىٰ ظاهره أبداً، ولا ينبغي أن يُعدَل إلىٰ معنىً آخرَ مع إمكان وقوع ما وردت به الأخبار. ولما سُئل ﷺ عن كيف يستطيعون المشيَ علىٰ وجوههم في النار؟ فقال عليه السلام: «**الذي أمشاهم علىٰ أرجُلهم قادرٌ علىٰ أن يُمشيَهم علىٰ وجوههم**»[٣]، فخُذِ المعنىٰ من المعاني في سعة الاقتدار الإلهي ما لم يؤدِّ الأمر إلىٰ مُحالٍ ممتنعٍ عقلاً وشرعاً.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عما ورد في الحديث: «**ما من أحدٍ يسلِّم عليَّ**

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير».

(٢) لفظ الحديث: «يُحشر المتكبرون يومَ القيامة أمثال الذرّ في صور الرجال، يغشاهم الذلّ من كل مكان..» رواه أحمد والترمذي عن ابن عمر وحسَّنه، وابن شعيب عن أبيه عن جده.

(٣) في معناه ما روىٰ البخاري ومسلم عن أنس: أنّ رجلاً قالَ: يا رسول الله أيُحشَرُ الكافرُ علىٰ وجهه يومَ القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه علىٰ رجليه في الدنيا قادراً علىٰ أن يمشيه علىٰ وجهه يوم القيامة!».

إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتىٰ أردَّ عليه السلام»[١] مع ما صحَّ أنّ الأنبياءَ أحياء في قبورهم؟

فأجاب بقوله: لا إشكالَ في ذلك، فإنَّ معنىٰ الرَّدِّ هنا ردُّ معنىٰ الرُّوح من حيثيَّةٍ يشعر الرَّسول ﷺ من يسلِّم عليه من أمَّته، فعبَّر بالبعض عن الكلِّ، ومثلُه كثير. وقال بعض العلماء: يلزم من هذا أنْ تكون روحه ﷺ مستمرَّةَ الإقامة في جسده الشَّريف؛ لأنَّ الوجود لا يخلو من مسلِّم عليه من أمَّته، وهذا **قولٌ صحيحٌ** ولكنَّه قريبُ المُدرَكِ بالنِّسبة إلى مدارك أهل العلوم اللَّدنـِّيَّة الواسعة المستَمَدَّة من الحضرة الإلهية.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«من عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب»**[٢]: أي أعلمتُه أني محاربٌ له، وذلك لأنَّ الوليَّ لا ينتصر لنفسه فيكون الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي ينتصرُ له.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله عليه الصلاة والسلام في ولده إبراهيم: **«لو عاش لكان نبياً»**[٣] مع أنَّه لا نبيَّ بعده؟

فأجابَ نفع الله به: أنَّ معناه أنَّه لا يعيشُ ولا يكون نبيَّاً، وهو من باب فرض محالٍ علىٰ محالٍ من الجائزات عقلاً التي صارت محالاً لعدم تعلُّق المشيئة الإلهيّة بوقوعها، وفي المسألة إشكالٌ لا ينجلي إلا بتطويل، وفي

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن منذر والبيهقي وابن عساكر، ولا يصح.

المذكور كفايةٌ.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«يَشِيبُ ابنُ آدمَ وتشيب منه خصلتان: الحرصُ وطول الأمل»**[١]: هذا خاصٌّ بمن كان في قلبه من صغره كلَّما كبر ازداد حرصُه عليها، وأمَّا من عاش في صغره بالزُّهد ونحوه فبالعكس من ذلك؛ ودليلُ ذلك من الحديث الآخر: **«يموتُ المرءُ علىٰ ما عاش عليه»**[٢]. أو أنّ معناه: أنّ صاحبَ الدِّين والزُّهد في الدُّنيا كلَّما كبر ازداد زهداً فيها وتقلُّلاً منها، وصاحبُ الدُّنيا المحبُّ لها كلَّما كبر ازداد ضعفاً وعجزاً عنها وعن التَّمتُّع بها، وفي قلبه تعلُّقٌ بها ورغبةٌ فيها وطلبٌ لزيادتها. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«ماءُ زمزم لما شُرِبَ له»**[٣]: يعني من شربه لمرضٍ شفاه الله، أو لجوعٍ أشبعه الله، أو لحاجةٍ قضاها الله؛ أي لأنّها في الأصل للاستغاثة أغاث الله بها إسماعيلَ عليه السلام، وقد جرَّبه الأئمة في المطالب فوجدوه صحيحاً في خبره عليه الصَّلاة والسَّلام، ولكن يحتاج لنيّة وإخلاص ما هو لكلِّ النَّاس.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: **«يقول الله تعالىٰ: مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أعطي السائلين»**[٤]. فأجاب نفع الله به بقوله:

---

(١) رواه الشيخان بمعناه.

(٢) رواه مسلم وابن ماجه عن جابر بلفظ: «يبعث كل عبد علىٰ ما مات عليه».

(٣) رواه البيهقي وأحمد وغيرهما.

(٤) رواه الترمذي والدارمي.

الذي يظهر أنَّ المرادَ حالُ المستغرِق في الذِّكر والدَّائب فيه المُستهتَر الذي صار شُغلَه وديدنه، فإن لم يُكثر الدُّعاء في خلال ذلك لم يفُته بذلك شيءٌ مما يحصل للدَّاعين المكثِرين من الدُّعاء، بل يُعطىٰ أفضلَ ما يعطاه السَّائلون؛ لأنَّه مشغولٌ بالله تعالىٰ وذكرِه، ليس بالأغيار ولا بالحظوظ، وأمَّا أنَّ الإنسان في حال دعائه يعدل عن الدُّعاء إلىٰ الذِّكر ويترك الدعاء فلا أرىٰ لذلك وجهاً ولا أقول: إنَّه المراد من الحديث؛ لأنَّ الدعاء من الأذكار وفيه من الافتقار إلىٰ الله تعالىٰ والخشوع له والتذلُّل بين يديه ما ليس في غيره من العبادات، ولذلك ورد: «**الدعاء مخ العبادة**»[1].

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ وادياً في جهنم تستعيذُ منه جهنم كلَّ يومٍ سبعين مرةً، أعده الله تعالىٰ للقرّاء المرائين من هذه الأمة**»[2]. فأجاب نفع الله به بقوله:

إنْ أراد ﷺ بالمرائين من هذه الأمّة: من أظهرَ الإيمانَ والطَّاعةَ من غير أن يكون في قلبه شيءٌ من ذلك البتَّة وإنَّما أظهره رياءً وسُمعةً وتقيَّةً، فهذا وصفُ منافقٍ منخلعٍ عن الإيمان مخلَّدٍ في النَّار، وكونُه في هذا الوادي الذي تستعيذ منه جهنَّم زيادةٌ في نكاله وتعذيبه لمكان تزويره وريائه وتلبيسه. وإنْ أراد ﷺ بالمرائين من القرّاء من يُرائي بعبادته وقراءته مع اعتقاده الإيمانَ،

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وأبو نعيم الأصبهاني بلفظ: «تعوّذوا بالله من جبِّ ـ أو وادي ـ الحزن». قيل: يا رسول الله، وما وادي ـ أو جبّ ـ الحزن؟ قال: «وادٍ في جهنم تستعيذ منه جهنم في كل يومٍ سبعين مرة، أعده الله تعالىٰ للقراء المرائين».

غيرَ أنَّه غلب عليه حبُّ الجاه والمنزلة عند الناس حتىٰ أظهر ذلك رياءً لهم، فيكون حبسُه في ذلك الوادي محتمِلاً لمعنيين: إمَّا أن يُختَمَ له بخاتمة السُّوء والعياذ بالله تعالىٰ فيخلَّد في العقاب ويكون حاله كحال الذي قبله.

والمعنىٰ الثاني: أن يُجعل في ذلك الوادي تغليظاً عليه وتشديداً، ثم يخلَّص منه ويُخرجَ منه برحمة الله علىٰ القاعدة الثابتة: أنَّه لا يخلَّد في النَّار مَن في قلبه شيءٌ من الإيمان. والرِّياء عظيمٌ من أعظم الكبائر وهو الشِّرك الأصغر. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن حديث: «**الغِيبة أشدُّ من ثلاثين زنية في الإسلام**»؟[١]

فأجابَ نفع الله به: إنه ليس شدَّة الغيبة علىٰ الزِّنا من حيث الأمر الظاهر الذي هو فحش الزنا وما يؤدِّي إليه من اختلاف الأنساب وغيره من المفاسد، بل هو من حيث أنَّ الباعث علىٰ الزنا مجرَّد الشَّهوة وهو من أوصاف البهائم، والباعث علىٰ الغيبة وهتْك أعراض المسلمين خبثٌ في القلب وغِلٌّ وغشٌّ على ذلك المسلم وذلك من أوصاف الشَّياطين، وهو أشدُّ وأقبح من أوصاف البهائم إلىٰ ثلاثين ضعفاً كما ورد في الخبر إن صحَّ إسناده. وقد ورد أيضاً: «**الغيبة أشد من الزنا**»[٢] من غير ذكر العدد. وفي شدَّة الغيبة علىٰ الزنا من حيث تعلُّقها بحقوق الخلق معنىً ظاهرٌ لا يخفىٰ، وقد ورد في بعض الآثار

---

(١) رواه البيهقي والطبراني بلفظ: «الغيبة أشد من الزنا».

(٢) أسنده الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الديلمي» عن جابر، ورواه البيهقي والطبراني وغيرهما.

أنّ: «**الفلسَ الواحدَ من مظالم العباد يُؤخذ فيه سبعمائة صلاةٍ مقبولة**». وظلمُ العباد هو الظُّلم الذي لا يُترك. اهـ. المكاتبة.

وسُئل، رضيَ الله عنه عن قوله ﷺ: «**من صلىٰ الفجرَ في جماعةٍ ثم جلس في مصلاه يذكر الله تعالىٰ حتىٰ تطلع الشمس ثم صلىٰ ركعتين كانت له كأجر حجةٍ وعُمرةٍ تامةٍ تامةٍ تامة**»[1]: هل ثوابُ الوارد فيه موقوفٌ علىٰ القعود أو يحصل لمن قام عن مصلّاه وخرجَ إلىٰ بيته أو غيره مع المحافظة علىٰ الذِّكر والتَّسبيح؟

فأجابَ نفع الله به بقوله: اعلم أنَّ الثوابَ الواردَ في الذكر لله ــ من بعد صلاة الصُّبح إلىٰ الطُّلوع ــ ورد في بعض الأحاديث مقيَّداً بالقعود في المُصلَّىٰ وفي بعضها مطلقاً، فإن كان عليه الصَّلاة والسَّلام ذكرَ القعودَ لأنَّه أجدر للمحافظة والبعد عن التَّفرقة فيحصل الثَّوابُ لا محالةَ لمن حافظ واجتمع، سواءٌ كان في مصلَّاه أو قائماً عنه، لا سيَّما إن كان الدَّاعي علىٰ القيام الحرصَ علىٰ زيادة الاجتماع علىٰ الذكر لعارضٍ يعرض في محلِّ القعود من خوف رياءٍ أو ارتفاع أصوات، وكذلك إذا كان المُخرِج له أمرٌ فيه زيادة خيرٍ وبِرٍّ وهو باقٍ علىٰ محافظته ومواظبته، فأمَّا إنْ كان المخرِجُ له شهوةً من صلاح أمرٍ دنيوي أو تناولِ شهوةٍ كالقهوة، فالظَّاهر أنَّ ذلك الثَّواب لا يحصل، وكذلك إذا كان القعودُ المنصوصُ فيما ذُكر لخاصيَّته في عينه، وأسرارُ النُّبوَّة ولطائفُ معانيها وخواصُّ مداركها يعسر إدراكها من كل وجهٍ إلا علىٰ من أُقيم فيها، وقد أُغلق بابها بموتِ رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث جبريل لمَّا سألَ عن الإسلام والإيمان والإحسان: **الإسلامُ** مجرَّد عملٍ فقط، **والإيمانُ** مجرَّد تصديق، **والإحسان** مشتركٌ بينهما. والأوّل في الجوارح، والثاني في القلب، والثالث فيهما. والأول ظاهر، والثاني باطنُ الأول، والثالث خالصُهما، وهو الغاية من الإسلام والإيمان: إذا اجتمعا صارا إحساناً.

وقوله: **«صدقتَ»** يُشعر بأنَّ بينهما معرفةً سابقة، وقوله: **«أن تشهدَ»** أي تعتقد عن اعتقادٍ في القلب ويقينٍ في الباطن؛ لأنَّ إيمانَ المنافقين باطلٌ وإيمانَ العوام ناقص. وفي الحديث حثٌّ علىٰ طلب العلم وعلىٰ تكرير العلم على المتعلِّمين ليرسخَ حفظهم، وعلىٰ تخصيص أكمل الحاضرين بالخطاب. اهـ. «تثبيت الفؤاد».

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله ﷺ في دعائه لابن عباس رضيَ الله عنهما: **«اللهم فقِّهه في الدين وعلمه التأويل»**[1]. فأجاب بقوله: **الفقهُ في الدِّين** هو: الفهم في علومه والبحث عن حِكَمه وأسراره حتَّىٰ يكونَ العملُ منه علىٰ الفهم والبصيرة. وأمَّا **علم التَّأويل** فهو: تأويل القرآن والسنة، فقد كان ابن عباس، رضيَ الله عنهما، من ذلك في الغاية القصوى، وكان يسمَّىٰ ترجمانَ القرآن بدعوة رسول الله ﷺ له.

وقد يُدعى بهٰذه الدَّعوات ويُزاد عليها: «واهدنا إلىٰ سواء السبيل». والسَّبيل هي الطَّريق الموصلة إلىٰ رضوان الله تعالىٰ وجنَّته مع اليسر والعافية، فمن دعا بهذه الدعوات فلْيقصد بها ما ذكرناه من الفقه في الدِّين وعلم

---

(١) رواه مسلم.

التّأويل والهداية إلىٰ سواء السبيل، فيُعطىٰ من ذلك إذا استجابَ الله له الذي هو مكتوبٌ مما يصلح له وينفعه. اهـ. «النفائس».

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله عليه الصلاة والسلام: **«لو أُخِذتُ وابنُ مريم بما كسبت هاتان ـ يعني السبابةَ والإبهام ـ ...»** إلىٰ آخره مع أنَّهما معصومان ورسولان كريمان؟ فأجاب بقوله:

إنَّ هذا لا خفاءَ به، فإنَّ حقَّ الله علىٰ عباده لا يستطيع أحدٌ منهم القيامَ به، لا ملكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل، وللخصوص ذنوبٌ تليق بمقاماتهم الرفيعة ترجع إلىٰ النظرات والخطرات، حتَّىٰ في الطَّاعات والقربات، مما لا يكاد يسلم منه البشر، وانظر إلىٰ قصَّة آدمَ وإبراهيمَ وداودَ وسليمانَ عليهم السلام المذكورة في القرآن وفي الأحاديث والآثار تُعلِمْك المقصودَ من قوله عليه الصلاة والسلام، وفي حديث الشَّفاعة ما ينبِّه علىٰ شيءٍ من ذلك، حيث يذهب الناسُ إلىٰ آدمَ ويصير الأمر إلىٰ سيد المرسلين. اهـ. من «النفائس العلوية».

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«لا تغضب»**[1]: أي إنْ أمكنه ألاَّ يغضبَ فذاك وإلا فله أدويةٌ فلْيستعملها ولا يجرِ علىٰ ما يقتضي غضبه. والأدوية: إنْ كان قائماً قعد أو قاعداً اضطجع، أو يتكلَّمُ سكت أو ساكتاً تكلَّم، أو يفعلُ شيئاً تركه، أو يتوضأ أو يغتسل، أو يقومُ من مكانِه ذلك، وأمثال هذه الأشياء.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«يُؤذَنُ لأهل الجنة في مقدار**

---

(١) رواه البخاري.

جمعة»[١]: إن كان من جُمَع الآخرة فما هو إلا بعدَ سبعة آلاف سنة؛ لأنَّ اليوم من أيَّامها ألف سنة، وإن كان من جمع الدُّنيا فقريب. وهذا الإذن عامٌّ لخاصَّة المؤمنين وعامَّتهم، وإنَّما يتميزُ الخاصَّة عن العامَّة بقرب المجلس وأحوال الكرسي وتجلِّيه تعالىٰ لكلِّ مؤمنٍ علىٰ قدره، كما ورد: أنَّ الله يَتَجَلَّىٰ لأبي بكرٍ خَاصَّةً ويتجلَّىٰ لغيره عَامَّةً.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«يدخلُ الفقراءُ قبلَ الأغنياء بنصف يومٍ من أيام الآخرة»**[٢]: أي فقراء كلِّ طبقةٍ يدخلون الجنة قبل أغنيائها بذلك القدر.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«الأئمةُ من قريش»**[٣]: أي الأئمة في الدِّين والعلم، ومن كان منهم ضعيفَ الدِّين جاهلاً، بأيِّ وجهٍ يستحق التقديم؟! بل يتعيَّن عليه يجتهد لأنْ يصيرَ عالماً تقياً ليصيرَ أهلاً للتقدُّم.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله ﷺ: **«يُحشر الناسُ حفاةً عراةً غُرْلاً»**[٤] أي: غيرَ مختونين، والحديثِ الآخر: **«إن الأمّةَ تُحشرُ في أكفانها»** وما وجهُ الجمع بينهما؟

فأجاب، نفع الله به، بقوله: إنَّه يُـؤخذ بالأصحِّ من الحديثين أوَّلاً، فإن

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا بلفظ: «إن أهلَ الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، فيُؤذَن لهم من مقدار يوم الجمعة».

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه أحمد.

استويا في الصحة فيكون الحشرُ في الأكفان مختصّاً بهذه الأمَّة أو المخصوص منها. والأُمَّة تأتي علىٰ معاني كثيرة، ولفظ الناس أعمُّ من لفظ الأمة. وأظنُّ أنَّ حديثَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً» أصحُّ من الحديث الآخر مع كونه عامّاً. اهـ. «النّفائس العلوية».

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله عليه الصلاة والسلام: «سبحان الله وبحمده عددَ خلقِه. . .»[1] إلىٰ آخر الكلمات: هل يحصل من الثَّواب مثل ذلك لمن قال في التّكبير والتّهليل كذلك؟

فأجابَ نفع الله به: المنصوصُ عنه عليه الصّلاة والسّلام لا يُقاس بغيره، ولكن إن فعل ذلك عبدٌ مخلِصٌ علىٰ وجه الرَّجاء ففضلُ الله واسع، ولا بأسَ بذلك إن حصل الثَّواب الموعود علىٰ الأول، وإلاَّ فلا يخلو ما قِيسَ عليه من ثوابٍ وأجر، إنّ الله لا يُضِيعُ أجرَ من أحسن عملاً.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: «صلُّوا وراءَ كل بَـرٍّ وفاجر»[2]: يعني: من الملوك، لخوف الفتنة لا مطلقاً، فإنَّ النّاس منهم من لا يُحسن الصلاةَ فكيف يُصلَّىٰ خلفَه!

وقال، رضيَ الله عنه، من أثناء جواب: وأما قوله ﷺ: «يصبحُ علىٰ كل سُلاَمىٰ من الناس صدقة. .»[3] الحديث، فتلك صدقةٌ ترجعُ إلىٰ الشُّكر

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي وابن حبان.

(٣) رواه أبو داود، ورواه مسلمٌ بلفظ: «. . . من أحدكم».

وحسنِ القيام به، والظَّاهرُ علىٰ مَن ترك ذلك ولكنَّه نسيبٌ إلىٰ الغفلة ويوصف بالتَّقصير عن حقِّ الشُّكر لله تعالىٰ. وكذلك قال ﷺ في بعض طرقِ الحديث: **«فمن فعلَ ذلك زَحزَحَ نفسَه عن النار»**[١]، وفي بعضها: **«ويُجزِىءُ من ذلك ركعتان يركعُهما من الضُّحىٰ»**[٢]، وكلُّ ذلك من الفضائل وفعل الخير الذي يقدِّمه العبد لنفسه ويتقرَّب به إلىٰ ربه.

وقال، رضيَ الله عنه، في الدعاء الوارد في الحديث: **«اللهم إني أعوذ بك من التردِّي والهدم والغرق والحريق»**[٣]: إنّ هذه الأشياءَ ولو كان فيها شهادة إلا أنها لا تأتي إلاَّ بغتةً ويكون حينئذٍ بغيرِ استعداد، وما جاء بغتةً يُشكل ويعسُر، وربما يُقبَضُ وهو غير راضٍ، وذلك مُشكِل. اهـ.

وسُئل رضي الله عنه عن رؤية النبي ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء كلُّ واحد منهم في سماء: أرؤيةَ أرواحٍ وأجسام؟ فقال ــ نفع الله به ــ: رؤيته لهم علىٰ قدر درجاتهم بالنسبة إلىٰ القرب من الله تعالىٰ. ويمكنه عليه السلام أن يرى الأشياء قبل وجودها، فقيل له: كيف رؤية آدم لداؤد عليهما السلام وإعجابُه حسنُ صورته؟ هل هو في الحسن أكمل من يوسُفَ عليه السلام وهو المشهور بذلك؟ فقال نفع الله به: إنّ الله أطلعه علىٰ داؤد ولم يطلعه علىٰ يوسف، وإلاّ فهو أكمل في الحسن، فقد ورد أنه أُعطي شطرَ الحسن.

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس.

(٣) رواه النسائي.

وإنّما أطلع الله آدم علىٰ داؤد دونَ يوسُف ليُظهر تفردَه تعالىٰ بالعلم. اهـ.

وفي حديث: «**اطلبوا الحوائج بعزّة الأنفُس**»[١] قال: أي: اطلبوها بعز ولا تطلبوها بالتضعضع؛ لأن التضعضع ليس من أخلاق المؤمنين.

وقال في معنىٰ «اللهم اجعل القرآنَ ربيع قلبي» كما في الدعاء، أي: بأنْ يعمل في القلب من الأنوار والعلوم كما يعمل الربيع في الأرض.

وفي حديث: «**ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله تعالىٰ**[٢] **فيه ولم يصلوا علىٰ نبيهم إلا كان عليهم تِرَةً**» إلخ قال: يعني أن المجلس لا يخلو أن يكون معموراً بحرام وفضول في الغالب، فإذا لم يحصل ذلك يكفِّر عن ذلك، كان عليهم تِرَةً وحسرة علىٰ فعلهم.

وفي حديث: «**غيرتان إحداهما يحبُّها الله والأخرىٰ يبغضها الله، ومَخْيَلتانِ إحداهما يحبها الله والأخرىٰ يبغضها الله**»[٣].

قال: المَخيلة: روضة يجدها المتصدِّق في نفسه عند الصدقة يفرح لكونه وُفِّق لذلك، وعندما يُسأل فيَرُدّ السائل يرىٰ في نفسه انقباضاً إن كان هو بصيراً بأخلاقِه ضد ذلك، أي: ضد تلك الروضة، وكذلك المخْيلةُ في الجهاد: يفرح إن وُفِّق لذلك.

---

(١) رواه ابن عساكر.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك عن عقبة بن عارم الجهني.

وفي حديث: «**الرجلُ يحبُّ القوم ولمّا يلحَقْ بهم**»[١] قال: أي: يحبهم ويتشبه بهم ولم يبلغ درجتهم، فلا بدَّ في ذلك من التشبه، وهو أنك إذا سمعت عنهم أنّ أحدهم يصلّي الصبح بوضوءِ العشاءِ أربعينَ سنة مثلاً، ومثلَ ذلك مما لا يكاد يدخل في قوة البشر، فتقومُ من الليل ما تيسَّر، فهذا تشبهٌ بهم في صلاتهم، وأما من نام الليل كله حتىٰ يكاد يُفَوِّتُ صلاة الصبح ويعتلّ بالمحبة لهم فقد احتجَّ بعض الناس بذلك، فأجابه بعض الصالحين بأن اليهود والنصارى يحبُّون أنبياءهم، وهم مخلَّدونَ في الشقاء، ما نفعهم ذلك لعدم تشبههم واقتدائهم بهم.

وقال في حديث: «**الرجل يطيلُ السَّفَرَ أشعثَ أغبَر**»[٢]: إنّ هذه الصفات المذكورةَ في الحديث كلها مما يقتضي إجابة الدعاء، إذْ ورد أنّ دعاء المسافر مستجاب، وكم من أشعث أغبرَ ذي طِمْرَيْن لا يُؤبَهُ له لو أقسَمَ علىٰ الله لأبَرَّ قسَمَه، ولكن مع أكل الحرام لم تنفعه تلك الأشياءُ في حصول الإجابة، وإذا لم يُستجب دعاؤه لذلك فكذلك صلاته.

وفي حديث: «**إن الله حمىٰ أمتي أن تجتمع علىٰ ضلالة**»[٣] قال: يعني أنهم لا يجتمعون كلهم عليها، بل لا بد من قائمٍ علىٰ الحق ولو قليلاً، وما ورد أنهم السواد الأعظم لعلَّهُ لم يصح؛ لأنه لم يبقَ في زمن بني العباس مَنْ لم يقل بخلق القرآن الكريم إلا القليل، أحد يُظهِرُهُ ويَدِينُ به، وأحد يُظهره

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد والطبراني فى الكبير.

ولا يَدين به. وظهوره وخفاؤه بسبب ملوكهم، يعني يُظهرونَ ما يكون عليه ملوكهم إمّا أنه كذلك، وإمّا تقيّةً وخوفاً.

وفي حديث: «وخالِقِ الناسَ بخلُقٍ حَسَن»[1] قال: أي: لا تَجْفُ علىٰ الناس ولا تشِحّ عليهم، ولا تنكر عليهم ولا تكن ثقيلاً علىٰ الناس ولا عتّاباً علىٰ الناس، حتى أهلِك وأولادِك وقال: بحسن الخلق يُستجلَب خير الأخيار ويكتفىٰ شر الأشرار.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه الترمذي بلفظ: «اتق الله حيثما كنت» إلخ.

ومن ذلك ما نُقل عن الإمام النِّبراس قطب الأنفاس الحبيب عبد الله بن محسن بن محمد العطَّاس، نفع الله به آمين. المتوفى في (بوقور) بإندونيسيا سنةَ ١٣٥١هـ[1]

قال، رضيَ الله عنه في حديث: «**المؤمنُ مرآة المؤمن**»[2]: أي إنَّ قلب العبد المؤمن مرآةٌ لتجلِّي المؤمن سبحانه وتعالىٰ. وسماءُ التَّنزُّل الإلٰهي: قلوبُ العارفين.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: «**نيةُ المؤمن خيرٌ مِن عمله**»[3]: أي إنَّ عملَ المؤمن قد يكون في ظاهره قليلاً، ولكنَّه ينوي ـ بالصُّورة التي أقامها ـ ما يَنتُج منها من الأعمال الكثيرة، فبهذا الاعتبار يكون الذي نواه أكثرَ من الذي عمله.

وأشار، رضيَ الله عنه، إلىٰ معنىٰ حديث: «**إذا ماتَ ابنُ آدم انقطعَ عملُه . .**»[4]: إنَّ عملَ الإنسان غيرُ سعيه، فالعملُ هو: كلُّ ما باشره الإنسان بنفسه، وذلك هو الذي ينقطع بموته، وأمَّا كلُّ ما سعىٰ الإنسانُ له وتسبَّب

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) رواه البخاري في «الأدب»، وأبو دواد.

(٣) رواه البيهقي وغيره.

(٤) رواه البخاري في «الأدب»، ومسلم، وأبو داود، وغيرهم.

فيه مما يصل الإنسانَ من ثوابٍ وقراءةٍ ودعاءٍ وغيرِ ذلك فهو من سعيه؛ لأنَّه هو السَّبب فيه، فلولا وجودُ الصِّفة التي كانت سبباً لذكرهم له بالدُّعاء والقراءة مثلاً لما ذكروه، فبهذا الاعتبار: كلُّ عملٍ يُعمَل بعدَه وهو سببه فهو سعيٌ له يُثاب عليه.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن حديث: **«ادخلوا الجنةَ بالرحمةِ واقتسموها بالأعمال»**: كيف يكون الكافرُ الذي أسلم وماتَ عَقِيبَ إسلامه؟

فقال رضيَ الله عنه: هو لا شكَّ في الجَنة، ولكنَّه لم يعمل عملاً يستوجبُ منازلَ الكرامة فيها. مثاله مثالُ من أعطاكَ داراً في أرضٍ واسعةٍ وليس فيها إلا دارُ السُّكنىٰ، فأردتَ أن تبنيَ لك قصوراً أخرىٰ فافعل ما شئت.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن حديث: **«الحِدّةُ تعتري خِيارَ أمتي»**[١]، فقال رضيَ الله عنه: المرادُ من الحِدَّة هنا الغضبُ لله عند انتهاك محارمه، وأمَّا إذا كانت الحدَّة في غير ذلك فليست محمودةً بحالٍ وإنَّما هي حماقة.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قول النبي ﷺ في دعائه: **«وأعوذُ بك أن أُغتالَ مِن تحتي»**[٢] قال: **الاغتيال** هو نزولُ الإنسان عن المرتبة التي هو فيها إلىٰ ما هو دونَها.

وسُئل، رضيَ الله عنه، في حديث: **«إنّ لله في أيام دهركم نفحاتٍ فتعرَّضوا لها»**[٣]، هل التَّعرُّض خاصٌّ أو عام؟

---

(١) رواه الطبراني عن ابن عباس، رضيَ الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود والحاكم وصحّحه.

(٣) رواه الترمذي والحاكم والطبراني وابن عبد البر وابن أبي الدنيا.

فقال، نفع الله به: هو عامٌّ لسائر أهل الإسلام، والتَّعرُّضُ هو السَّعي في إزالة الموانع التي تمنعُ حصولَ الرحمة؛ لأنَّ المقصودَ دوامُ التَّذكر ورؤية الحقِّ في كلِّ شيء.

قال، رضيَ الله عنه، في معنىٰ ما ورد: **«رجعتم من الجهادِ الأصغر إلىٰ الجهادِ الأكبر»**[1] قال: الجهادُ الأصغر ما وقع إلا من الجهاد الأكبر؛ لأنَّ الإنسانَ لو ما جاهدَ نفسَه ما طاوعته علىٰ الخروج للجهاد والتَّعرُّض للقتل.

قال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر»**[2]: **السِّجنُ** المشارُ إليه هو أحكام التَّكاليف، فهو كالمسجون بسببها ولو كانت حالته الظَّاهرة تدلُّ علىٰ الرَّاحة، بل ولو مشىٰ علىٰ الذَّهَب فهو مسجون.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن حكمة توصيته ﷺ بالنساء قربَ وفاته؟

فأجاب بقوله: لوجود الضَّعف فيهنَّ ولكونهنَّ سبباً في وجود الذُّرية، والحقائق في النَّسب أيضاً راجعةٌ إليهنَّ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن عدم صلاته ﷺ علىٰ الميت المديون؟

فقال نفع الله به: لكون دعائه ﷺ مقبولاً، وذمَّةُ المديون معلَّقةٌ بالدَّين، فإذا دعا له سقطَ حقُّ المَدِين.

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخه» من حديث جابر.

(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن معنىٰ حديث: **«قضاءٌ مبرَمٌ وقضاءٌ تردُّه أحلامُ الرجال»؟**

فأجاب بقوله: **القضاءُ المبرَم**: الذي لا يُبدَّل، بل هو ثابتٌ عنده في أمِّ الكتاب، **والذي تردُّه أحلامُ الرجال**: هو الذي يقبل المحوَ والإثبات. ومثاله: إذا كتبتَ لأحدٍ كتاباً: افعل هذا ولا تفعل هذا، فالذي كتبتَ له الكتابَ ليس علىٰ يقينٍ كامل بما في ذلك لأنَّه ربَّما يبدو لك تبديلُ بعضِ ما في ذلك الكتاب، فالذي عندك لا يبدَّل، فأمُّ الكتاب عندك.

ومعنىٰ **«أحلامُ الرجال»**: عقول الرِّجال النُّورانيّة، ومثاله: مثال ناسٍ مجتمعين عند ماءٍ كثيرٍ وعندهم صبيّ، فأراد الصَّبيُّ أن يقعَ في الماء ويكاد أن يرميَ بنفسه، فهل الحاضرون كلُّهم يقومون إلىٰ الصَّبي ويتداركونه ويمنعونه من الوقوع في الماء؟ كلا، بل أهلُ العقول منهم، فهم قد منعوه من القضاء في الظَّاهر، كاد أن يقع فيه ولولاهم لوقع فيه، فهذا قضاءٌ غير مبرَم، قضىٰ الله له بالوقوع في الماء فسخَّر له من ينقذه منه.

وقال، رضيَ الله عنه، في قول النبي ﷺ: **«للصائم فرحتان، فرحةٌ عند فطره وفرحةٌ عند لقاء ربه»**[1]: ليس المراد من الفرحة عند الإفطار ما يظنُّه بعض النّاس أنه بسبب جهد الجوع وزوال تعب الصَّوم، وإنَّما هو سببُ ما أتمّه الله عليه من النِّعمة حيث وفَّقه الله للصيام وأقدره علىٰ إتمام صوم ذلك اليوم.

---

(١) رواه البخاري وأحمد والنسائي.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: «**أنا سيّدُ ولد آدمَ ولا فخر**»[١]: معناه ولا فخرَ بعد هذا الفخر، ولا فخرَ غيرُ هذا الفخر، أو يكون بمعنىً آخر: لا أفتخرُ عليكم، بل إنّي أُظهِرُ لكم مقامي. وكلُّ صاحب مقامٍ هكذا لا يَجحَد ما أقامه الله فيه بل يُظهِر ذلك.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: «**بدأ الدِّينُ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ**»[٢]: المعنىٰ أنَّه كما بدأ الدينُ غريباً في وقت الفترة لا يعرفه أحدٌ سيعود بعدَ ذهابه بالكلّيَة غريباً في وقتِ فترةٍ بعد خروج الدَّجَّال، ومثلَ ما بدأ الدِّين بنبيٍّ يعود آخرَ الزَّمان بنبي هو سيِّدنا عيسىٰ عليه السلام، وهذا الدِّين الذي يعود به سيِّدنا عيسىٰ هو الدِّين الذي جاء به نبيُّنا وسيِّدنا محمدٌ ﷺ؛ لأنَّ الأديانَ كلَّها نُسخت بدين نبيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: «**يسٓ قلبُ القرآن**»[٣]: إنَّ المرادَ بقوله: «**يسٓ**» هو نفسُه ﷺ، والمراد بقوله: «**قلب القرآن**» أي: قلب الوجود كلِّه، فالوجود ختمة كلِّ شيء: [متقارب]

وفِي كُلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ الوَاحِدُ

والنبي ﷺ قلبُ الوجود وروحُه.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حينَ يزني وهو**

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

(٢) رواه مسلم والبيهقي.

(٣) رواه ...

مؤمن»[١]: ليس المرادُ أنّه يُنتزَعُ إيمانُه بالكلِّية، فإذا قلنا: يُنتزَع بالكلِّية حكمنا عليه بالكفر، فما ضدُّ المؤمن إلا الكافر، بل نقول في تلك الحالة: ناسي إيمانه وغافلٌ عنه، فهو عاصٍ ويستحقُّ العقوبة إن لم يعفُ الله عنه، فلو نبَّهْتَه وذكَّرتَه وقلت له: إنَّ فعلك الزِّنا حرامٌ أم لا؟ لقال لك: حرام، ولو قلتَ له: هل تعتقد أنَّ الله يراك ومطّلعٌ عليك أم لا؟ لقال لك: نعم، إنَّه مطلعٌ عليّ، وإذا كان بهذه الصِّفة كيف تقول إنه غير مؤمن.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله ﷺ: **«واحشُرني في زُمرةِ المساكين»**[٢] ما الحكمة في طلبه أن يُحشَر في زُمرة المساكين؟

فقال نفعَ الله به: ليس المرادُ من المساكين والفقراء قِلالَ المال أو أنَّهم الذين يسألون النَّاس المسألة، بل المرادُ بهم مساكينُ الله الذين لا يكون افتقارُهم إلاَّ إلىٰ الله وحدَه لا غيره، فغِناهم بالله وافتقارُهم إليه، فهؤلاء مساكين الله الذين طابَ النبي ﷺ أن يُحشَر في زمرتهم.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: **«لا تفضِّلوني علىٰ يونسَ ابن متّىٰ»**[٣]، أي: لا يكون تفضيلي عليه بتفضيلكم لي عليه، بل إنِّي مفضَّلٌ عليه بتفضيل الله لي عليه لا بتفضيلكم.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله ﷺ لبعض الصحابة: **«إنّ الفقرَ أسرعُ إلىٰ محبتي من السَّيل إلىٰ منتهاه»**[٤]: ما المراد من الفقير هنا؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) رواه الحاكم عن أبي سعيد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الترمذي.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: **«أنا سيّدُ ولد آدمَ ولا فخر»**[١]: معناه ولا فخرَ بعد هذا الفخر، ولا فخرَ غيرُ هذا الفخر، أو يكون بمعنىً آخر: لا أفتخرُ عليكم، بل إنّي أُظهِرُ لكم مقامي. وكلُّ صاحب مقامٍ هكذا لا يَجحَد ما أقامه الله فيه بل يُظهِر ذلك.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: **«بدأ الدِّينُ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»**[٢]: المعنىٰ أنّه كما بدأ الدينُ غريباً في وقت الفترة لا يعرفه أحدٌ سيعود بعدَ ذهابه بالكلّية غريباً في وقتِ فترةٍ بعد خروج الدَّجّال، ومثلَ ما بدأ الدِّين بنبيٍّ يعود آخرَ الزّمان بنبي هو سيِّدنا عيسىٰ عليه السلام، وهذا الدِّين الذي يعود به سيِّدنا عيسىٰ هو الدِّين الذي جاء به نبيُّنا وسيِّدنا محمدٌ ﷺ؛ لأنَّ الأديانَ كلَّها نُسخت بدين نبيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: **«يسٓ قلبُ القرآن»**[٣]: إنَّ المرادَ بقوله: **«يسٓ»** هو نفسُه ﷺ، والمراد بقوله: **«قلب القرآن»** أي: قلب الوجود كلِّه، فالوجود ختمة كلِّ شيء: [متقارب]

وفِـي كُـلِّ شـيءٍ لـهُ آيـةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ تَـدُلُّ عَلَـىٰ أنَّـهُ الـوَاحِـدُ

والنبي ﷺ قلبُ الوجود وروحُه.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: **«لا يزني الزاني حينَ يزني وهو**

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

(٢) رواه مسلم والبيهقي.

(٣) رواه البيهقي.

مؤمن»[١]: ليس المرادُ أنّه يُنتزَعُ إيمانُه بالكلّية، فإذا قلنا: يُنتزَع بالكلّية حكمنا عليه بالكفر، فما ضدُّ المؤمن إلا الكافر، بل نقول في تلك الحالة: ناسي إيمانه وغافلٌ عنه، فهو عاصٍ ويستحقُّ العقوبة إن لم يعفُ الله عنه، فلو نبَّهْتَه وذكَّرتَه وقلت له: إنَّ فعلك الزِّنا حرامٌ أم لا؟ لقال لك: حرام، ولو قلتَ له: هل تعتقد أنَّ الله يراك ومطّلعٌ عليك أم لا؟ لقال لك: نعم، إنَّه مطلعٌ عليّ، وإذا كان بهذه الصِّفة كيف تقول إنه غير مؤمن.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله ﷺ: **«واحشُرني في زُمرةِ المساكين»**[٢] ما الحكمة في طلبه أن يُحشَر في زُمرة المساكين؟

فقال نفعَ الله به: ليس المرادُ من المساكين والفقراء قِلالَ المال أو أنَّهم الذين يسألون النَّاس المسألة، بل المرادُ بهم مساكينُ الله الذين لا يكون افتقارُهم إلاَّ إلىٰ الله وحدَه لا غيره، فغِناهم بالله وافتقارُهم إليه، فهؤلاء مساكين الله الذين طابَ النبي ﷺ أن يُحشَر في زمرتهم.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: **«لا تفضِّلوني علىٰ يونسَ ابن متّىٰ»**[٣]، أي: لا يكون تفضيلي عليه بتفضيلكم لي عليه، بل إنِّي مفضَّلٌ عليه بتفضيل الله لي عليه لا بتفضيلكم.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله ﷺ لبعض الصحابة: **«إنّ الفقرَ أسرعُ إلىٰ محبتي من السَّيل إلىٰ منتهاه»**[٤]: ما المراد من الفقير هنا؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي رالنسائي.

(٢) رواه الحاكم عن أبي سعيد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الترمذي.

فأجاب بقوله: ليس هو فقيرَ المال الذي يكون صاحبه فقير الزكاة، بل هو الفقير إلىٰ الله الغنيُّ به عمّن سواه، مثل قوله ﷺ: «اللهمّ أحيِني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشُرني في زُمرةِ المساكين»[١]. فليس مسكينَ الزَّكاة، بل هو الذي سكونُه إلىٰ الله وفقرُه إلىٰ الله، والسكونُ إلىٰ غير الله فيه خطرٌ عظيم، فقير الله ومسكين الله وإن احتاج إلىٰ غيره لكنَّه لا يرىٰ المعطيَ إلا الله، وأمَّا الذي احتاجَ إليه واستعان به فلا يراه إلاَّ واسطة محض، فلا يكونُ له إليه سكون، وعلامة ذلك أنه إن لم يُعطَ المطلوبَ ممن استعان به لا يتشوَّش منه ولا يذمُّه ولا يعتب عليه؛ لأنَّه يرىٰ الأشياءَ كلَّها من الله وإلىٰ الله وما الخلق إلاَّ وسائط، فلا يكون له سكونٌ إلا إلىٰ الله لا غيره.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن معنىٰ ما ورد أنه ﷺ يُوزَن بأمته فيرجحُ بهم.

فأجاب بقوله: المرادُ بالوزن هنا هو الوزن المعنوي لا الوزن الحسي، والمعنىٰ أنَّ إنسانيته ﷺ التي تضمَّنت علمَه بالله ومعرفته بالله وتضمَّنت جميعَ الصِّفات الحسنة المطلوبة من الإنسان بكمالها لا يوازيها إنسانيَّةُ غيرِه من الناس، فهو ﷺ الإنسانُ الكامل الجامعُ للكمالات كلِّها. وكلُّ إنسانٍ تكون إنسانيّته بقدر ما عنده من الصِّفاتِ الحسنة المطلوبة في الشَّرع، فنقول لكلِّ مَن عنده شيءٌ من الصِّفات الحسنة: إنسانٌ كامل، لكن لا يكون كمال إنسانيّته مطلقاً، بل بقدر ما عنده من الإنسانية، فلا يستوي الناسُ في الوصف بالإنسان الكامل، بل هم في الوصف بها مراتبُ متفاوتةٌ بقدر ما عندهم من العلم بالله وبقدر ما عندهم من الصفات الحسنة، فأحقُّ الناس بالوصف

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

بالإنسان الكامل الأنبياءُ علىٰ قدر مراتبهم، ثم الأولياء علىٰ قدر مراتبهم، ثم المؤمنون علىٰ قدر مراتبهم، وأكملُهم وأحقُّهم بهذا الوصف نبيُّنا محمدٌ ﷺ؛ لأنَّه أعلمُ الخلق بالله وأعرفهم بالله وأجمعهم للصِّفات الحسنة والكمالاتِ كلِّها، فجميعُ ما مع الأنبياء والرُّسُل والأولياء والصالحين من العلم بالله، وجميع الصفات الحسنة، مستمدَّةٌ من نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وهو الإنسانُ الكامل حقيقةً علىٰ الإطلاق.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عما ورد في الخبر[١]: **«أنهم جعلوا للنبي ﷺ محلاً مرتفعاً ليعرفَه الغريب ويميِّزَه من بين أصحابه»**، كيف ذلك مع أنهم وصفوُهُ بأن وجهَه ﷺ أضوَأُ من القمر؟

فأجاب بقوله: هو حقيقةً أضوأُ من القمر، وإنَّما الناسُ في رؤيتهم لوجهه ﷺ يختلفون، فمنهم من يظهر له نوره الحقيقي، فيراه بالوصف الذي وُصف به، ومنهم من لا يظهرُ له نوره الحقيقي بل يحتجب عنه فيراه مثل النَّاس.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن معنىٰ الحديث القدسي: **«أنا عندَ ظنِّ عبدي بي فليظنَّ بي ما شاء»**[٢]. وفي رواية: **«عندَ حسنِ ظنِّ عبدي بي»**[٣]؟

فأجاب بقوله: الحقُّ جلَّ وعلا عند ظنِّ عبده به، فكلُّ ما يظنُّه العبدُ بربِّه

---

(١) لفظ الخبر: «كان يجلسُ مع أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدُهم فيأتي الغريبُ فلا يدري أيهم هو، حتىٰ طلبوا إليه أن يجلسَ مجلساً يعرفه الغريب، فبنوا له دُكَّاناً من طينٍ فكان يجلس عليه»، رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذرّ.

(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة، والبيهقي.

(٣) رواه أحمد والدارمي.

قرَّبه به عنده ويعطيه علىٰ حسب ظنِّه إن كان حسناً أو سيئاً، وأمَّا رواية: «أنا عندَ حسنِ ظنِّ عبدي بي» فيه ترغيبٌ للعبد بأنَّه لم يجعل ظنَّه بربِّه إلا حسناً.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله ﷺ: **«مَن صنع إلىٰ أهل بيتي معروفاً ولم يكافئه فأنا أكافئه يومَ القيامة»**[١] إذا كافأه في الدُّنيا هل معناه أنه لا يُكافَأُ فيه منه ﷺ في الآخرة؟

فأجاب: نعم يُكافئه ﷺ في الدَّار الآخرة وإن سبقت له مكافأته في الدُّنيا منَ الذي صنع معه المعروف، وأمَّا إذا لم يكافأ في الدنيا فتحصل له منه ﷺ المكافأة مرَّتين: مكافأةٌ من جهته ﷺ ومكافأةٌ من جهة الذي فُعِل معه المعروف من أهل بيته ولم يكافئه في الدنيا.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله ﷺ في حديث وابصة: **«استَفْتِ قلبَـك»**[٢]: هل يعمُّ كلَّ قلبٍ فيكونَ الاستفتاء لكلِّ الناس وفي كلِّ وقت؟

فأجاب بقوله: نعم، هو عامٌ في كل وقت ولكلِّ الناس؛ لأنَّ القلبَ لا يكذب أبداً، بل صاحبُ القلب الذي يكذب، فإذا كان هناك مثلاً عدوٌّ لك وجاء أحدٌ يمدحه ويصفه بأوصافٍ متَّصفٍ بها، فأنت تنكر هذه الأوصاف بلسانك وتردُّ علىٰ الذي يصفه وتقول بلسانك: ليست هذه الأوصاف فيه، لكنَّ قلبك يصدِّقه ويقول: «سَوَا» فيه هذه الأوصاف، فالقلب يصدِّق واللسان يكذِب، والحقيقة عند القلب؛ لأنَّ حقيقةَ الإنسان قلبُه، فما هو إلاَّ

---

(١) رواه ابن عساكر.

(٢) رواه أحمد والدارمي.

بالقلب، ولو لم يكن له قلبٌ لسُلِب منه العقل، ولا يعقل إلا بالقلب لكنْ قد يطرأ عليه العمىٰ كما يطرأ علىٰ العين، ومثلُ هذا القلب لا يُستفتى.

وقال رضيَ الله عنه في قول النبيِّ ﷺ لسيِّدنا الحسن: «يا حسن خذه» إشارةٌ علىٰ أن الحسنيِّين تكون فيهم الرِّياسة الظَّاهرة، والحسينيّون وقعت لهم الخلافة الباطنة؛ لأنَّ جبريلَ يقول وهو مخفيٌّ: «يا حسين خذه».

وقال، رضيَ الله عنه، في الحديث القدسي: «**لا يزال عبدي يتقرّبُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبَّه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويده التي يبطشُ بها...**»[1] إلىٰ آخره، قال: هذا الحديثُ لم يُبقِ للإنسان شيئاً مما يدّعيه أبداً، فقد أخذ عليه السَّمع والبصر واليد والرِّجل، وهكذا بقية الأجزاء امتحقت ولم يبقَ إلا الله تعالىٰ؛ لأنَّ الإنسانَ من مسموعاتِ الحقِّ ومن مُبصَراتِ الحق ومن مقدوراتِ الحق، فإذا وصل العبدُ إلىٰ هذا المقام تحقَّق أنَّه لا يسمع إلا بالله، ولا يبصرُ إلا بالله، ولا يبطش إلا بالله، ولا يمشي إلا بالله.

وقال، رضيَ الله عنه، **في رؤيته ﷺ سيدَنا جبريلَ في الصورة التي ملأت الأفق**: إشارةٌ إلىٰ أنَّ الدِّين يعظُمُ وينتشر في الدُّنيا.

وفي «تاج الأعراس» عن الحبيب العلوي بن محمد الحداد، رضيَ الله عنه، قال:

سُئل سيدي الحبيب عبد الله بن محسن العطَّاس نفع الله به، عن معنىٰ

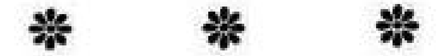
---

(١) رواه البخاري.

قوله ﷺ في حديث الشفاعة حيث يقول: «ولم يَبْـقَ إلا ربُّ العزة فيشفع».

فأجاب نفع الله به أنَّ أسماءَ الجمال تشفعُ في أسماء الجلال[١].

وسُئل عن قوله ﷺ: «ما اتخذ الله من وليٍّ جاهل، ولو اتخذه لعلّمه»[٢]، فقال: المرادُ من قوله: «جاهل» أي بالله، يعني أن الوليَّ لا يكون إلا عارفاً بالله بخلاف الأحكام الشرعية فإنه قد يجهل شيئاً منها.



---

(١) وقوله: «أسماء الجمال» يعني: التي تُشعر بالفضل: كالرَّحيم، والخالق، والرزاق.. إلىٰ آخرها. وأسماء الجلال: هي التي تُشعر بالعدل كالقهار، والجبار، والمميت.. إلىٰ آخرها. وفي بعض الأدعية المأثورة: «اللهم تجلَّ علينا بأسماء الجمال، وعلىٰ أعدائنا بأسماء الجلال».

(٢) قال الحافظ ابن حجر: ليس بثابت ولكن معناه صحيح، وقال الحافظ الديبعي لم أقف عليه مرفوعاً.

ومن ذلك ما نُقل عن الإمام الكامل العارف الواصل سيدنا عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي نفعنا الله به آمين. المتوفَّىٰ ليلةَ الاثنين تاسع رجب سنةَ ١٣١٤هـ. ببلدة (الغُرْفة)[١]

أفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: «**نية المؤمن خيرٌ من عملِه**»[٢]: أنَّ النِّيَّة من أعمالِ القلب، وأعمال القلب أتمُّ وأكملُ أعمال الجوارح، وتكون هذه المخايرة عند اجتماع العمل والنية، أمَّا مع خلوِّ العمل عن النية فهو لا شيء، والنية بلا عملٍ وإن كان لها فضلٌ فهو بالنسبة إلىٰ من لم يكن له نيةٌ ولا عمل، وأمَّا العملُ المقرون بالنية فلا لُحُوقَ للنية المفرَدة به فضلاً أن تكون خيراً منه، والاستشهادُ بهذا الحديث عند فوات العمل بهذا الاعتبار في غيرِ محلّه. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عما ورد: «**أفضلُ الدعاء الحمدُ لله**»[٣]؟

فأجاب بما معناه: أنَّ الحامدَ لله هو المُثني عليه طالبٌ للمزيد، قال الله تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، فبه يُعلَم أنَّ الحامدَ لله الشَّاكرَ له داعٍ له وطالبٌ منه. ومما يبيِّنُ ذلك: أنَّ الفقيرَ إذا وقف بحضرة

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) أخرجه البيهقي عن أنس في «شعب الإيمان».

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه.

غنيٌّ كريمٍ فطينٍ لا تخفىٰ عليه الإشارة التي تتضمَّن فصيحَ العبارة، فذَكَر له محاسنه وسنِيَّ مواهبه وعطاياه وأياديه، كان ذلك الحمدُ والثَّناءُ شكراً له متضمِّناً طلبَ المزيدِ والعطاء من ذلك الغني الكريم الجواد. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد في الحديث القدسي وهو قوله: «**مَن شَغَلَه ذكري عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين**»[1]: أنّ المراد أنَّ هذا السَّائلَ مستغرِقٌ في ذكر الله ومتلذِّذٌ به مشغولٌ في ذلك عن مسألته التي يقصد منها حظوظ النَّفس، بل غاية ما يطلب أن يكونَ في حضرة ربِّه علىٰ بساطِ قدسه، غائباً عن نفسه، متلهِّياً به عن يومه وأمسه، ولم يكن ممن اشتغل بالعطيَّة عن المعطي: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد في الخبر أو الأثر: «**اعمل لدنياك كأنك لا تموتُ أبداً، واعمل لآخرتك كأنك ميتٌ غداً**»[2]: أن أمورَ الدُّنيا لا يُحتفلَ ولا يُبالىٰ بها ولا يُحتاج إلىٰ المبادرة إلىٰ إصلاحها، بل الأَولىٰ أنْ تعاملها معاملةَ من يطول أملُه كأنَّه لا يموتُ ويؤخِّرُ الاشتغالَ بها من وقتٍ إلىٰ وقت، ولا يكون هذا من طول الأمل المذموم بل هو دليلٌ علىٰ استحقارك للدُّنيا وعدمِ عنايتك بها، هذا إنْ كنت مشغولاً عن ذلك بمهمَّاتك الدِّينية. «**واعمل لآخرتك كأنك ميتٌ غداً**» يعني أن تبادرَ ــ بأعمالك التي تقدِّمها لآخرتك ــ وتشمِّر وتجدَّ وتجتهد، مبادرةَ وتشميرَ وجدَّ واجتهادَ من يعلم

---

(١) رواه الترمذي والدارمي.

(٢) رواه ابن عساكر.

أنّه يموتُ غداً.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: «**شيَّبتْني هودٌ وأخواتُها**»[١]: إنَّ المرادَ الشَّيبة المعنوية، وهي: ارتفاع القدر وعظم المنزلة عند الله لا الشَّيبة الحسِّيَّة، لأنَّه ﷺ خرجَ من الدُّنيا وليس فيه من الشَّيب الحسِّي إلا شعَراتٌ معدودة.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد في الحديث: «**كلُّ يومٍ يصبحُ العبادُ فيه إلاّ وملكانِ ينزلان من السماء يقولُ أحدُهما: اللهمَّ أعطِ منفِقاً خَلَفاً، ويقولُ الآخر: اللهمَّ أعطِ ممسِكاً تَلَفاً**»[٢]: أنَّ الملائكةَ لا تدعو إلا بخير، فيكون المرادُ بهذا الدعاء للمُمسِك لا عليه، ويكون معناه بأنْ يُتلفَ ماله في الخير حتَّىٰ يلحقَ بالمنفق.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد في الحديث: «**درهمٌ سبقَ ألفَ درهم**»[٣]: بأنَّ السَّبق بصدق الثِّقة بالله والتَّوكلّ عليه، فيتصدَّق العبدُ بما عنده وإن قلَّ ويؤمِّلُ ما عند الله. ومثَّل ذلك برجلين: أحدُهما لا يملك إلا درهمين فيتصدَّقُ بأحدهما، والآخر يملك الألوفَ الكثيرةَ من الدَّراهم فيتصدَّق بألفٍ من جملة تلك الألوف، فصاحبُ الدِّرهم تصدَّق بنصف ماله وصاحبُ الألف تصدَّق بألفٍ من أمواله الكثيرة، ولا شكَّ أنَّ من تصدَّق بنصف ماله ثقةً

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) متفقٌ عليه.

(٣) ذكره في «جامع الأحاديث والمراسيل» وفي «الفتح الكبير» بلفظ: «سبق درهم مائة ألف درهم».

بفضل الله وكرمه أفضلُ ممن تصدَّق بشيءٍ من عَرَض مالٍ كثير؛ لِمَا دلَّ عليه تصدُّق الأول من كمال اليقين دلالةً أتمَّ وأكملَ من دلالة تصدُّق الثّاني.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد من دعاء الملائكة لأهل الميِّت بعد الدَّفن: «**ارجِعوا إلىٰ دنياكم أنساكم الله موتاكم**»: أنَّ هذا الدُّعاءَ من الملائكة رحمةً بالخَلقْ وشفقةً عليهم، فإنَّهم لو لم ينسوا موتاهم لطال حزنهم، وتنغَّصت معايشهم. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله ﷺ: «**صلِّ صلاةَ مودِّع**»[1] كذلك يُقال عند كلِّ عبادةٍ من صوم وذكر وتلاوة وغيرها، فافعلها بأحسن ممكنٍ كأنَّها آخرُ صلاةٍ أو صومٍ أو أيِّ عبادة كانت. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله ﷺ: «**استفتِ قلبَكَ وإن أفتَوك وأفتَوك**»[2]: إنَّ المرادَ بهذا القلب هو القلب المنوَّر المبرَّأ عن الهوىٰ والميل إلىٰ ما يقتضيه الطَّبع، فليس كلُّ قلبٍ يُستفتىٰ وتُقبَل فتواه فافهم! اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن معنىٰ ما وردَ في الحديث: «**أنا من الله والمؤمنون مني**»[3].

فقال نفع الله به: نعم، هو ﷺ من نور الله والمؤمنون من نوره ﷺ. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد [في الحديث]: «**من أحبَّ قوماً فهو**

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه أحمد والدارمي ولفظه: «وإن أفتاك الناس وأفتوك».

(٣) رواه الديلمي بلا إسناد عن عبد الله بن جراد بزيادة: «..عز وجل».

منهم»[١]، و**«أنتَ مع مَن أحبَبْتَ»**[٢]: أنَّهُ لا بدّ مع هذا من الموافقة لهم ولو في بعض أعمالهم الحسنة، فإنّ اليهودَ والنصارىٰ يحبُّون موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام وليسوا معهم، ولا يُشترط أن يوافقهم في جميع أعمالهم، وإلا فهم هم، فاعلم ذلك. اهـ.

وأفاد، رضيَ لله عنه، علىٰ ما ورد: **«إنّ اللَّهَ كتبَ الجهادَ علىٰ الرجال، وكتبَ الغَيرةَ علىٰ النساء»**[٣]: أنّ من معنىٰ ذلك صبرُها ومجاهدتُها لنفسها على مشقة ما يحصُلُ لها من ضرَّاتها، فليس المرادُ أنَّها تُعذَر فيما يحصل منها من الإساءة عندما يحصل لها شيءٌ من المشقَّة من ضرَّاتها.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ الدُّعاء النبويّ الذي يُطلب من الضَّيف للمُضيف وهو قوله: **«أفطرَ عندكم الصائمون. . .»**[٤] إلىٰ آخره: أنّ المرادَ بهذا إنشاءُ الدعاء لهم بأن يكونَ طعامُهم لا يأكله إلا المتَّصفون بهذه الصِّفات المذكورة، لا الإخبارُ الذي يتضمَّن تزكيةَ النَّفس. ويُقاسُ بذلك كلُّ ما شاكله من الأدعية التي ظاهرُها الإخبار. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ معنىٰ ما ورد: **«إنّ العالمَ يستغفرُ له كل شيءٍ حتىٰ الحيتان في البحر»**[٥]: أنّ العالم إذا عمل بعلمه وعلَّم النَّاس العلمَ

---

(١) رواه الطبراني بلفظ: «من أحب قوماً حشره الله في زمرتهم».

(٢) رواه البخاري وأحمد.

(٣) رواه الطبراني والبزار عن ابن مسعود.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه أبو داود والترمذي ولفظه: «من في السموات والأرض حتىٰ الحيتان. . .».

وأمر النَّاس بالخير واءتمروا ونهاهم عن الشَّر وانزجروا رضيَ الله عن العباد وأنزل الرَّحمةَ ببركة الطَّاعة، والغيثُ ينتفع به كلُّ شيءٍ من الحيوان والسَّمك في البحر، وهذا من بركة العلم ودعوة العالم إليه، وكذلك العالِمُ يأمر بالإحسان إلىٰ الحيوان في سائر أحواله حتىٰ ذِبحه فيما يذبح وفي قتله حيث جاز قتلُه وينهىٰ عن المُثلة، فبان بذلك وجهُ كون كلِّ شيءٍ يستغفر للعالم حتَّىٰ حيتان البحر. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله عليه الصلاة والسلام في سيدنا عمرَ ابن الخطّاب، رضيَ الله عنه: «**ما تركَ له الحقُّ من صَدِيق**» أو كما قال: أنه كان بنُصحه وأمره وزجره جميعَ الناس، لا يترك أحداً لكونه صديقَه بل هم عنده في الحقِّ سواء، وليس المرادُ أنَّه صار لا صديق له أصلاً، بل الصَّداقة إيمانيّة حاصلةٌ بينه وبين جميع الصَّحابة وغيرهم من المؤمنين. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: «**رجعنا من الجهاد الأصغر. . .**» ـ أيْ: جهاد الكفَّار الظَّاهر ـ . . . «**إلىٰ الجهاد الأكبر**»[1] أي: جهاد النَّفس والهوىٰ والشَّياطين، فإنَّ الجهادَ الظَّاهر فرعٌ من فروع الجهاد الباطن؛ فلا يخرج للجهاد الظَّاهر إلا إنْ جاهد نفسه وغلبها، وإلاّ فإنَّها تدعوه إلىٰ اختيار الدَّعة والرُّعونة والبقاء في منازل المتخلِّفين وتُخوِّفه القتلَ والأسرَ ومكابدةَ الغُربة ومشقَّة السَّفر وغيرَ ذلك مما يُضْعف عزمه

---

(١) رواه ابن سعدٍ في «طبقاته» عن أبي ذر. قال ولفظه: «ما ترك لي الحق من صديق».

وهمَّته، فإمَّا غلبتْه وإمَّا غلَبها، فبان أنَّ الجهادَ الأكبرَ هو جهاد النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، فما جاهدَ الكفَّار إلاّ بعد جهاد نفسه. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهمَّ أحيِني مسكيناً وأَمِتني مسكيناً واحشُرني في زُمرة المساكين**»[1]: أنّ المرادَ بهذه المسكنة هي السَّكينة والطُّمأنينة. ورَدَ هذا علىٰ سبيل الترغيب في الإحسان إلىٰ أهل الضَّعف والمسكنة، وليس المرادُ المسكنة العرفيّة كما هو ظاهرٌ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد عن الله تعالىٰ: «**سبقت رحمتي غضبي**»[2]: ليس السَّبقُ هذا سبقَ زمن وإنَّما سبقُ ظهورٍ وغَلَبة.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد في «الصَّحيح» من قول الصَّحابة رضيَ الله عنهم حين أخبرهم ﷺ عن البقرة التي تكلّمت فقالوا: «سبحانَ الله، بَـقَرةٌ تَتكلَّم!»، فقال ﷺ: «**آمنتُ بذلك أنا وأبو بكرٍ وعُمر**»[3]. لمَّا قيل له: أليس كلُّهم مؤمنين بذلك؟ فقال: بلىٰ، ولكن إيمانَ أبي بكرٍ وعمرَ لم يقترن به تعجُّبٌ، بخلافِ غيرهم؛ فإنَّ قولهم: «سبحانَ الله..» إلىٰ آخره دالٌّ علىٰ التَّعجُّب.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: «**اطلبوا العلمَ ولو بالصِّين**»[4]: أنّه يمكن أن يُرادَ بهذا الطَّلب للعلم إفادتُه لمن لا يعلمه من

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي.

(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة، والديلمي في «الفردوس» عن ابن عنبسة.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البيهقي والخطيب وابن عبد البر والديلمي وغيرهم عن أنس.

أهل تلك الجهات، ويكون من هذا ما وقع من الإفادة لأهل تلك الجهات من علماء السَّادة العلويَّة، فقد حصل منهم نفعٌ عظيم بسبب أسفارهم إليها، فكم أقاموا فيها من شعائر الدِّين، فيكون هذا من أعلام نبوَّته ﷺ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد: **«تفكُّر ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ ستين سنة»**: أنّ المتفكِّر في جلال الله لا شكَّ في فضله علىٰ المتعبِّد بغير فكر، فالقليلُ من التَّفكُّر في جلال الله وعظمته وعجيبِ صُنعه من أعمال القلوب، ولا شكَّ أنَّ أعمالَ القلوب تفضُل علىٰ أعمال الجوارح كما هو ظاهر. وإنْ كان التَّفكُّر في غير ما ذُكر ـ كأنْ يكون في عِلَل الأعمال مثل: الرِّياء والعجب ونحو ذلك ـ مع قصد الأخذ في الاحتراز منها وسدِّ أبوابها، والفكر فيما سبق له من الزَّلات والخطايا ليتوبَ منها، أو الفكر فيما يكون في المستقبل من الموتِ وما بعدَه فذلك أيضاً أفضلُ من عبادة العبد بجوارحه، فربما دخلت الآفات في العبادات البدنيّة، فصارت هباءً منثوراً. اهـ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ الدعاء الوارد: **«اللهمَّ إني أسألك مُوجِباتِ رحمتك»**[1]: أنّه ليس المرادُ أنَّ شيئاً يجب علىٰ الله، وإنَّما هذا ونظائره مما يُوهم هذا، والمعنىٰ أنَّ هذا الوجوبَ يفيد تأكُّد الجزاء وتحقيقَ الوعد جوداً وكرماً حتَّىٰ صار كأنَّه واجبٌ عليه، وإلا فلا علىٰ الإلهِ شيءٌ يجبُ.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد: **«مَن حَفِظَ القرآنَ فقد أُدرِجَت**

---

(١) رواه الحاكم وقال: حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط مسلم.

النبوةُ بينَ جنبيه»[١]: أنّ ذلك لا يكون إلا لمَن حفظ حدودَه، وأحلَّ حلاله، وحرَّم حرامه، وكذلك ما ورد في: **«مَن حَفِظَ أسماءَ الله الحسنىٰ دخلَ الجنة»**[٢] أنّ ذلك لمَن عرفَ معناها. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: **«أُحثُوا الترابَ في وجوه المدّاحين»**[٣]: إنَّ المرادَ: أَعطوهم شيئاً من المال؛ إذ المالُ من التراب. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن معنىٰ قوله ﷺ: **«لا يكونُ المؤمنُ مؤمناً حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»**[٤]. وقيل له: أرأيتَ لو كان محبوبي غيرَ محبوبٍ لأخي، كيف أحبُّه له مع أنّه ربما يكره... إلىٰ آخرِ السؤال؟

فأفاد نفع الله به: أنّ المرادَ تحبُّ له ما تعتقد أنّه يساويك فيما تريد وتحبّ، وقصده كقصدك، وكذلك لا بدَّ أنْ يكون محبوبُك خيراً لا يكرهه الشَّرع وإلا فلا تحبُّ له. وليس المرادُ من هذا الحديث أنّه يلزمك أنّك تودُّ أن تتحوَّل نعمتك إلىٰ أخيك وأنت تخلو عنها؛ لأنَّ هذا شأنٌ آخر يُقال له: الإيثار، ولا يقدر علىٰ العمل به إلاَّ الأقوياء، ولكن المرادَ أنْ يحملَك صدقُ الإيمان علىٰ النَّصيحة لإخوانك، فلا تنال أمراً من الأمور التي يرغب فيها أخوك المؤمن فيها صلاحُ معاده ومعاشه إلاَّ وتحبُّ أن يكونَ له مثل ذلك.

---

(١) رواه الحاكم بلفظ: «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة..» وقال صحيح الإسناد.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه.

(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود.

(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد بلفظ: «لا يؤمن أحدكم...».

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد: **«مَن شربَ الخمرَ في الدنيا لم يشربه في الآخرة، ومن لبسَ الحريرَ في الدنيا لم يلبَسْه في الآخرة»**[(١)]: إنَّ الله سبحانه وتعالىٰ إذا أدخلهم الجنَّة سلبَ عنهم الشَّهوةَ والميلَ والرَّغبة للبس الحرير وشرب الخمر، ولا يصحُّ ما يُقال: إنَّهم لا يدخلون الجنّة أصلاً بتأويل أنَّ أهلها لباسُهم فيها حريرٌ وشرابُهم فيها خمرٌ لذَّةٌ للشَّاربين، وهل الشَّرابُ في الجنّة ليس إلاّ الخمر؟ واللِّباس إلا الحرير؟ وكيف يصحُّ إخراجُ شاربِ الخمر ولابسِ الحرير عن عموم المؤمنين الذين لا بدَّ من دخولهم الجنّة ولو بعد مزيدِ عذابٍ كما انعقد علىٰ ذلك إجماعُ أهل السنة؟! ولا يخلَّدُ في النَّار مؤمنٌ ولو أتىٰ ما أتىٰ به من المعاصي، خلافاً لفرقة الاعتزال القائلين بتخليد الفاسق في النَّار. وإنْ قال قائلٌ: إنَّ شاربي الخمر ولابسي الحرير يدخلون الجنّة ولكنَّهم ممنوعون من شرب الخمر ولبس الحرير علىٰ جهة العقوبة لهم. فقد أثبتَ هذا القائل عقوبةً في الجنَّة، والعقوبةُ منفيةٌ من دار النَّعيم، فتعيَّن ما قلنا من تأويل ما ورد بسلب شهوتهم لما ذكر. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد: **«إنّ أهلَ الجنة لا يتحسَّرون إلا علىٰ ساعةٍ مرتّ بهم في الدنيا لم يذكروا الله فيها»**[(٢)]. وهل تبقىٰ حسرةٌ علىٰ المؤمن في الجنّة؟

فأجاب بما معناه: بأنَّ هذه الحسرةَ مؤوَّلةٌ بحصولها لأهل الجنَّة قبل دخولها إذا عاينوا ما أعدَّه الله من جزيل الثَّواب وحسن المآب للذَّاكرين الله

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه، والبخاري ومسلم بلفظٍ غيره.

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين».

كثيراً، أو تؤوَّل بالفرض والتَّقدير بأنّه لو فُرض أنَّ في الجنّة حسرةً لم تكن إلاّ علىٰ ساعةٍ خَلَت عن ذكر الله. والمقصودُ من هذا التَّرغيبُ في الذِّكر والتنويهُ بعظيم فضله، وإلاَّ فليس في الجنّةِ دارِ النَّعيم من حسرة.

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد من قول المصلِّي في تشهُّده: **«السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته»**[١]: أنّه لمّا كان السلامُ للتأمين من المسلم للمسلم عليه أنْ لا يصله منه سوءٌ وكان ﷺ آمناً من ذلك السُّوء بيقين، فيكون معنىٰ هذا التَّسليم في جنابه صلواتُ الله وسلامُه عليه هو تأمينٌ من إساءة المسلِّم في شيءٍ مما شرعه الله علىٰ يديه صلىٰ الله عليه وآله وصحبه وسلم، ومن إخلاله به.

وكان، رضيَ الله عنه، يفيدُ علىٰ ما ورد: **«للصائم فرحتان: فرحةٌ عند فطره، وفرحةٌ عند لقاء ربه»**[٢]: أنّ فرحته عند فطره ليس المرادُ بها الوقوع علىٰ شهوته من طعامٍ وشراب وإن كان اللّفظ يحتمل ذلك، بل المرادُ ما هو أعلىٰ من ذلك وهو تمامُ هذه العبادة العظيمة، وبقاءُ العبد بصفة التّأهُّل لها إلىٰ أنْ كملت وصارت ذخيرةً له إلىٰ يوم لقاء ربِّه وهو يوم حصول الفرحة الثّانية التي لا ألذَّ ولا أجلَّ منها.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عن قوله عليه الصلاة والسلام في دعاء الفجر: **«وتحفظُ بها غائبي، وترفَعُ بها شاهدي»**؟[٣].

---

(١) حديث التشهُّد رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد والدارمي.

(٣) رواه الطبراني عن ابن عباس.

فأجاب: بأنَّ «غائبي» ما يكون من الأعمال القلبيّة، و «شاهدي» ما يكون من الأعمال البدنيّة، وكنّىٰ بالحفظ والرّفع عن القبول. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد في الحديث: **«طلبُ العلم فريضةٌ علىٰ كل مسلم»**[1]: إنّ النّاسَ اختلفوا في معنىٰ هذا الحديث، فكُلٌّ نزّله علىٰ فنٍّ من الفنون، وأصوبُ ما قيل فيه: **أنَّه علمُ الحال**، وهو ما يلزم العبدَ من حينِ يصبحُ إلىٰ حين يُمسي، ومن العلم الذي طلبُهُ فرضٌ علىٰ كل مسلمٍ هو الذي تتوصَّل به إلىٰ معرفة الحلال لتتناوله ومعرفة الحرام لتجتنبه. اهـ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عما ورد في الخبر: **«إنّ من الذنوبِ ذنوباً لا يكفِّرها إلا الهمُّ في طلبِ المعيشة»**[2].

فأجاب بما معناه: أنّ الذّنوبَ أنواعٌ، وكلُّ نوعٍ منها يُقابَل بعمله من أعمال البِرِّ يكون مكفِّراً له، فذنوبٌ لا تكفِّرها إلا الصَّلاة، وذنوبٌ لا يكفِّرها إلا الصَّوم، وذنوبٌ لا يكفِّرها إلا الصَّدقة، وهكذا بقيّة أعمال البِرِّ: كلُّ عملٍ منها يقابَلُ بنوعٍ من الذُّنوب يكفِّره، ومن جملة أعمال البرِّ اكتسابُ الحلال من محلِّه وإنفاقُه علىٰ مستحقِّه، فالمهتمُّ بطلب الحلال علىٰ الوجه المذكور عاملٌ بِبِرٍّ، مجازىً بتكفير بعض ذنوبه. اهـ.

وقال رضيَ الله عنه: وقد أبدىٰ بعضُهم علىٰ قوله ﷺ: **«أنا وخيارُ أمتي**

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه ابن عساكر بزيادة: «.. لا يكفِّرها الصلاةُ ولا الصيامُ ولا الحجُّ ولا العُمرة».

بُرآءٌ من التكلّف»[1] معنىً حسناً، وهو أنه ﷺ وخيار أمّته لا يأتون بالأعمال المرضيّة من فعل المعروف وترك المنكر من كلِّ ما هو من واجبات الشَّرع ومندوباته فعلاً وتركاً، ويباشرون ذلك علىٰ محبّـةٍ ورغبةٍ وميل، بل يكونون متلذِّذين بذلك، ليس عندهم تكلُّفٌ ولا مشقَّة ولا ثقلٌ لذلك الأمر والنَّهي، كما هو شأن من عداهم ممن لم يبلغ مقامَهم ولم يتَّصف بوصفهم من عامَّة المؤمنين. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: **«كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل»**[2]: إنَّ الغريبَ عن وطنه لا يكونُ له التفاتٌ إلىٰ الأسباب التي تؤدّي إلىٰ المطالب التي يرغبُ فيها المستوطنون مما يُنشيءُ طولَ أملهم وتوهُّمَهم استمروَ إقامتهم في وطنهم، بخلاف الغريب، فليس عنده شيءٌ من ذلك لغربته عن وطنه، والمؤمنُ يرىٰ الدنيا دارَ غربة، ولا يرىٰ له وطناً إلا في الآخرة، فهو علىٰ الدَّوام منزعجُ البال، متوقِّع الارتحال إلىٰ وطنه، وهذه الحالةُ للمؤمن الزَّاهد في الدُّنيا أدنىٰ حالتَيْه: أنْ يكون كأنَّه غريبٌ في الدُّنيـا؛ فإنَّ الغريـبَ قد تكون له أيـامٌ وليـالٍ، فربَّما اشتغـل بحاجـاتٍ تحصـل له في مدة إقامتـه، بخلاف عابر السَّبيـل، فليـس له التفـاتٌ ولا تعريـجٌ علىٰ شيء، فالتَّشبيه بعابر السَّبيل أبلـغ، وهو أعلىٰ حالتي المؤمن الزَّاهد. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد في الحديث: **«إنّ مَن حافظَ علىٰ**

---

(١) رواه البخاري ولفظه: «نُهينا عن التكلّف» وفي لفظ: «أنا وأمتي..».

(٢) رواه البخاري والترمذي وأحمد.

قراءةِ سورةِ الواقعةِ كلَّ ليلةٍ لم تُصِبْهُ فاقة»[١]: إنَّما كان كذلك لما فيها ممَّا يدلُّ علىٰ التَّوكُّل من قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة:٥٨]، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة:٦٣]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ [الواقعة:٧١]. فإنَّ تلك الآياتِ تدعو قارئها إلىٰ الثِّقة بالله والتَّوكُّل عليه والعلم أنَّه هو المعطي والمانع، ليس للإنسان معه مشاركةٌ في جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ، ومن تحقَّق بذلك كان من المتَّقين، والمتَّقي بخيرات الدُّنيا والآخرة قَمِين، ورزقه حاصلٌ له من غير كدِّ يمين، أو رشح جبين. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: **«وما يُدريك لعلَّ الله اطَّلعَ علىٰ أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»**: لا يتوهَّم متوهِّمٌ أنَّ أهل بدر قد أُبيح لهم شيءٌ من المحرَّماتِ الشَّرعية مما هو محرَّمٌ علىٰ غيرهم، حاشا وكلا، وإنَّما المراد إمَّا أنهم لم يَبْقَ لهم بعد ذلك القولِ ميلٌ إلىٰ شيءٍ من المعاصي فيكونون محفوظين، أو تكون هفَواتٌ علىٰ الأحايين، ولكنَّهم ملاطَفون لا يصرُّون علىٰ شيءٍ من الذُّنوب، بل يبادِرُون بالتَّوبة منها في الحال. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد في الخبر: **«نِعمَ الرجلُ صهيبٌ لو لم يَخَفِ اللّٰهَ لم يَعْصِه»**[٢]: إنَّ صهيباً كان عنده من إجلال الله وتعظيمه والحياءِ منه ما يمنعه من المعصية، ولو فُرض أنَّه علم أنَّ الله لا يعاقبه عليها،

---

(١) رواه البيهقي عن ابن مسعود.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية».

فيتركُ الذَّنب إجلالاً لله، لا خوفاً من عذابه. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ ما ورد في «الصحيح»: من قولِ الرَّجُل الذي أذنبَ فقالَ: «**ربِّ أذنبتُ ذنباً فاغفِرْهُ لِي**»، فغَفرَهُ له. ثم أذنبَ فقال: «رَبِّ إنِّي أذنبتُ ذنباً فاغفِرهُ لي، فغفرَ له». ثم قال ثالثاً كذلك. ثم قالَ: «**اعمل ما شئتَ فقد غفرتُ لك**»[1]: أيْ أنَّك ما دمتَ تذنبُ وتتوبُ فأنا أقبلُ توبتَك وأغفرُ لك، ليس في ذلك إهمالٌ له وإباحةٌ له في ركوب المعاصي. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ ما وُرِيَ في «الصَّحيح» في حديث الشَّفاعة، وأنَّ كلاًّ منَ الأنبياء يقولونَ حينَ يأتونَ إليه ليشفعَ لهم: اذهبوا إلىٰ غيري، إلىٰ أن أتَتِ النَّوبةُ عند سيِّدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ فَيقولُ: «**أنا لها**» فَيَشفعُ: إنَّهم لم يأتوا إليه ابتداءً بل تردَّدوا من نبيٍّ إلىٰ نبي، فيكون فعلُهم ذلك فيه تنويهٌ بشرفه ﷺ وأنَّه أوجه الشُّفعاء عندَ الله عزَّ وجل، فلو أتوا إليه ابتداءً وشفع لهم لَبقيَ عند الناس احتمالٌ أنَّ غيره من الأنبياء لو قُصِد وطُلِب منه أن يشفعَ ويقوم في هذا المقام لقام وحصلَ به المقصود، فلهذا الاحتمال تأخَّر إتيانُهم إليه ﷺ إلىٰ أن تعذَّر أكابرُ الأنبياء وانتهىٰ الأمرُ إليه ﷺ.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عما ورد في الحديث الصَّحيح من أمره ﷺ بجلد الجارية إذا زَنَت ثم في الثالثة قال: «**بيعوها ولو بضَفِير**»[2] والمشتري كالبائع في الأمر بالبعد عنها، فكيف ساغ ذلك؟

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

فأجاب: بأنَّها ربَّما حصلَ لها الإعفافُ عند المشتري بأن يزوِّجها، أو يتسرَّاها، أو يصونها من الفجَّار بهيبته وبالإحسان إليها أو غير ذلك.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ أحدَكم ليعمل بعملِ أهل الجنة فيما يبدُو للناس وهو من أهل النار**»[١]: قوله: «**فيما يبدو للناس**» يدلُّ علىٰ أنَّ عملَ هذا الذي صار إلىٰ ما صار إليه كان معلولاً بالآفاتِ الباطنة، وإنما ظاهرُه من أعمال أهل الجنَّة، وباطنُه ليس كذلك، وعند الخاتمة ظهرَ واتَّضحَ ما كان أبطنَه من خسيسِ قصده وسوء عقيدته، نسأل الله العافية.

وسُئل، رضيَ الله عنه، عما ورد: «**إنَّ لكلِّ نبيٍ دعوةً مستجابةً وقد دعا بها**»[٢]. كيف لا تكون للنبيِّ إلا دعوةٌ واحدةٌ مستجابة، مع أن اللائقَ أنَّ دعاء النبي يكون كله مستجاباً؟

فأجاب نفع الله به: أنَّ هذه الدَّعوة المذكورةَ هي دعوةٌ عامَّةٌ يدعو بها النبيُّ فيما شاء، مقطوعٌ بإجابتها، بخلاف بقيَّة دعَواتِهم فليست كذلك. اهـ.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول في معنى الدعاء الوارد: «**وقوِّ في رِضاكَ ضعفي**»[٣]: الأولىٰ أن يبقىٰ هذا الدُّعاء علىٰ ظاهر ما دلَّ عليه من طلب إبدال الضَّعف المُلابِسِ لي بالمعنىٰ الحسِّي والمعنوي المثبِّط لي عن القيام

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» بلفظ آخر.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن أنس.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك».

بالحقوق الرَّبّانية، بالقوَّة التي اقتدرَ بها علىٰ الوفاء بأداء الأوامرِ الشَّرعية، وذلك من أعزِّ المطالب وأعظم المناقب لكل طالبٍ وراغب.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: «**لا هجرةَ بعدَ الفتح**»[١]: مِن معنى ذلك أنَّ السَّالك إلىٰ الله إذا وقع علىٰ جليّة الحقِّ وحصلَ علىٰ رتبة الشُّهود والوصال لا عاد يحمل عليه هجرٌ بعد ذلك ولا إبعاد.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول علىٰ ما ورد في الدُّعاء النَّبَوي: «**وأعوذ بعَظَمتِك أن أُغتالَ من تحتي**»[٢]: أي أعوذُ بك أن يتغلَّب عليَّ مَن رتبتُه دون مرتبتي لتحكُّمه حتَّىٰ يُخرجني من نفوذ حكمي بالدُّخول في قيود حدود مرتبته، فهذا هو الاغتيالُ من تحتي، وهذا هو حقيقة قوله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الحجر: ٧٤].

وأفاد، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: «**أكرِمُوا عمَّتَكم النخلة**»[٣]: أنَّ عمارة النَّخل يكون فيه صلةُ رحمٍ علىٰ ما يقتضيه معنىٰ هذا الحديث، والكلُّ مشتركون في النَّخل من حيث كونها عمَّةَ الكلِّ وإن كان الآخذُ لشيءٍ من ثمرها من حقِّ الغير عاصياً بحكم الشَّرع؛ حيث أهمله وعمل بخلافه. اهـ. أو كما قال.

وكان، رضيَ الله عنه، يفيدُ علىٰ ما ورد: «**إنّ خادمَ القومِ سيدُهم**»: أنَّ

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) رواه البزار عن ابن عباس.

(٣) رواه أبو نعيم والرامهرمزي، وأبو يعلىٰ في «مسنده».

السِّيادةَ والخدمةَ باعتبارين: فمِن حيثُ كونُه مباشراً للخدمة يقال له: خادم، ومن حيثُ إنّ القومَ قد صاروا محتاجين ومفتقرين إلىٰ خدمته هو سيدُهم، فهذه الخدمة والسيادة شاملةٌ لكلٍّ من احتاج إلىٰ الآخر، فالمحتاج والمحتاج إليه كلٌّ منهما سيِّدٌ من وجهٍ وخادمٌ من وجه. مثاله: المَلِكُ سيِّدٌ من حيث نفوذ حكمه علىٰ الرَّعيّة، وخادمٌ من حيثُ سياستُه لهم ورعايتُه لهم وحفظُه لأنفسهم وأموالهم، ومنعُه مِن تعدِّي بعضهم علىٰ بعض، وقِس علىٰ ذلك.

وكان، رضيَ الله عنه، يقول في قوله ﷺ: «**لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه كلبٌ أو تصاوير**»[1]: أنَّ «البيتَ» هو القلب، و «الكلبَ» هو الهوىٰ، و«الصورةَ» هيَ الدُّنيا، أي: لا تدخل الملائكة قلباً فيه هوىً أو دنيا، يعني ملائكة الأسرار والمعارف والأنوار. اهـ.

ذكرها الحبيب عبد الباري بن شيخ العيدروس في «مجموع كلامه».

❋ ❋ ❋

---

(١) متفق عليه ولفظه: «.. وصورة».

ومن ذلك ما نُقل عن العارف بالله الحبيب الإمام أحمد بن حسن العطَّاس المتوفىٰ سنة ١٣٣٤ هجرية ببلدة (حُرَيضة)[١]

سُئل الحبيب الإمام أحمد بن حسن العطاس رحمه الله عن قول النبي ﷺ: **«حسناتُ الأبرار سيئات المقربين»**[٢] فقال نفع الله به:

هذا يعرفه أهله، وسأضرب مثلاً: النَّاس أقسام، بعضهم قريبٌ وبعضهم متقرِّب. أمَّا **المتقرِّب** فهو المتمسِّك بأذيال الأعمال الصَّالحة من فريضةٍ ونافلةٍ ودعوةٍ وإرشادٍ وعلمٍ وعمل وغير ذلك، وثمراتُ أعماله القرب، ويليق به أن يتقرَّب، **والقريبُ** حاضرٌ في الحضرة، وإذا كان في الحضرة حاضراً، هل يَحْسُن منه أن يقومَ يصلِّي مثلاً؟ لا يحسن منه، والأعمال اللائقة في حق المتقرِّب تُعدُّ إساءةَ في حقِّ القريب.

وقال، رضيَ الله عنه، في الدُّعاء الوارد عنه ﷺ: **«لبَّيك وسعدَيك، والخيرُ كلُّه بيديك، والشرُّ ليس إليك»**[٣]: إنّ الله تعالىٰ طلبَ من العباد

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ليس هذا بحديث، بل هو من كلام أبي سعيد الخرّاز كما في «كشف الخفاء» (١ :٤٢٨).

(٣) رواه مالك والدارمي وأحمد.

امتثالَ أمره واجتنابَ نهيه، فطلبَ منهم الفروضَ وإعلاءَ الدين ومجاهدةَ الكفار وتعظيمَ شعائره وغيرَ ذلك، فنخاطبه بـ «لَبَّيْكَ» ونجيبه إلىٰ ما طلب، و «الخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ» لا نعلي ونعطي ولا نمنع ولا نتحرَّك ولا نسكن إلا بك وبعونك وتوفيقك، و «الشَّرُّ ليس إليْك» هذا تنزيهٌ للمرتبة. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: «سِيروا بسَيرِ ضُعفائكم»[1]: هذا الحديث عامٌّ في كل شيءٍ في السَّيْر واللِّباس والعوائد وفي كلِّ شيء يتَّبع النَّاسُ فيه بعضُهم بعضاً.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: «تُنكَح المرأةُ لمالها وجمالها وحَسَبِها ودِينها»[2]: وجُودتها وذكائها. والمرأة الصالحة الموافقة أن تكونَ معك وتحتَ طاعتك كثوبك تأخذه عند الحاجة وتتركه عند عدمها، ومتىٰ كانت المرأة طائعةً لا فاسقةً ولا سارقةً فينبغي أن يستكفيَ بها الزَّوج ولا يطلبَ غيرها ولا يكلِّفها ما لا تطيقهُ من العمل والأخلاق، وفي الحديث: «المرأةُ كالضِّلع الأعوَج إذا ذهبتَ تُقِيمُه كسَرْتَه»[3].

قال سيدُنا الإمام أحمد بن حسن العطّاس، رضيَ الله عنه: بلَغَنا عنه ﷺ أنّه قال: «رأيتُ أني أهاجرُ إلىٰ أرضٍ ذاتِ نخلٍ وأُراها يثرباً أو

---

(١) رواه الشافعي والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وابن خزيمة.

(٢) رواه البخاري بلفظ: «لأربع..» ومسلم.

(٣) رواه الشيخان عن أبي هريرة بلفظ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأةَ خُلقت من ضِلع، وإن أعوجَ ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمُه كسرتَه...».

حضرموت»: قال السَّلف: هجرةُ ذاته الشريفة إلىٰ المدينة، وهجرةُ أولاده إلىٰ حضرموت. اهـ.

وسئلَ، رضيَ الله عنه، عن الغَطِّ الصَّادر من جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: **ما هي الحكمةُ فيه؟**

فقال: **الغَطُّ** هو الدَّفع بقوة، والحكمة فيه ـ والله أعلم ـ لأجل أنْ يلتئمَ الجسمُ بالرُّوح ويتَّحدا ويكونا كالشَّيء الواحد؛ لأنَّ بين الجسم والرُّوح حجاباً لطيفاً من البشرية.

وقال، رضيَ الله عنه، في حديث: **«عَجِبَ ربُّك من قومٍ يُقادون إلىٰ الجنة بالسلاسل»**[1]: هم المتثاقلون عن فعل الطاعة، وتقودهم العنايةُ كرهاً لها.

وقال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: **«الإمامُ ضامنٌ»**[2]: ليس معناه أنَّه يضمن ما اختلَّ وقصر من صلاة المأمومين، بل معناه أنَّه ينوبُ عنهم في المخاطبة والسُّؤال، فإذا لم يأتِ بالمقصود من حيثُ الذَّات أو أخلَّ بشيءٍ من المأمور به في الصلاة فقد خانهم. اهـ.

* * *

---

(١) رواه البخاري وأحمد وأبو داود عن أبي هريرة.

(٢) تمامه: «والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين»، رواه أبو داود والترمذي وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة، وأحمد عن أبي أمامة.

ومما نُقل عن الحبيب العارف بالله محمد بن زَين بن سُمَيط رضيَ الله عنه ونفعنا بعلومه، آمين، المتوفى سنة ١١٧٢هـ ببلدة (شبام) بحضرموت[١]

وقال، رضي الله عنه، في قوله ﷺ: «إنّ النورَ إذا دخلَ القلبَ انشرحَ وانفسَح»، فقيل له: هل في ذلك مِن علامةٍ؟ قال: «نعم، التجافي عن دار الغُرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، والاستعدادُ للموت قبلَ نزوله»[٢]، قال: دارُ الغرور هي الدّنيا، وحقيقتها: كلُّ شيءٍ لم يُرَدْ به وجهُ الله تعالىٰ، والدّار الآخرة وإن كانت صورتُها عبادةً فهيَ بالحقيقة دنيا.

ومعنىٰ التجافي والعزوفِ عن الدُّنيا هو انصرافُ القلب وميلُه وانزواؤه عنها والإعراضُ عن لذَّاتها ومشتهياتها عنه بحكم الشَّرَه والهوىٰ والنّهمة، لا بقصد الاستعانة علىٰ طاعة الله وعلىٰ القيام بوظائف عبادته وعبوديّته، فمتىٰ صحَّ قصدُه في كلِّ ما يتناوله ويتعاطاه من أمر الدُّنيا، كالتقَوّي به علىٰ طاعته سبحانه والاستعانة علىٰ محابِّه ومراضيه، فقد انتفىٰ عن طلب الدُّنيا المذمومة شرعاً، وانقلب ذلك بنيّته آخرةً، فقد عُلِم بذلك أنَّ الدنيا والآخرةَ هما قصدُ الإنسان فقط، فقصدُه بما يتعاطاه لله تعالىٰ هي الآخرة كائناً ذلك ما كان،

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) أخرجه الحاكم والبيهقي في «الزهد» من حديث ابن مسعود.

وقصدُه بذلك التَّمتُّع من غير قصدٍ لله عزَّ وجل هي **الدُّنيا**.

ومعنى **الإنابة إلىٰ دار الخلود** هو الرُّجوعُ إلىٰ الله عز وجل والأسفُ علىٰ ما فرَّط في جنبه، ودوامُ الإقبال عليه. ودارُ الخلود هيَ الآخرة، وهي ما أُريد به وجهُ الله، والتَّقوىٰ ما لا أُريد به النَّفسُ والهوىٰ. ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، والحيوان هو البقاء والدَّوام، وعدم الفناء والانصرام. فلو قُدِّر مثلاً أنَّه مليءٌ من العرش إلىٰ الفرش خَرْدَلاً، وقُدِّرَ أنَّ طائراً يأخذ في كلِّ ألفِ ألفِ سنةٍ حبةً من ذلك الخردل لنفد جميعُ ذلك الخردل ولم ينقُص من مدَّة الآخرة مثل خردلةٍ واحدة، أهلُ الجنة في النَّعيم الدائم، وأهلُ النَّار في العذاب السَّرمد. اهـ. مع بعض حذف.

* * *

ومما نُقل عن الحبيب العارف بالله الحسن بن صالح البَحْر رضيَ الله عنه ونفعنا بعلومه، آمين[١]

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: «**عليكم مِن الأعمالِ بما تُطِيقون فإنّ الله لا يَمَلُّ حتىٰ تمَلُّوا**»[٢] قال: إنّ الحقَّ تعالىٰ لا يمَلُّ من إسداء وارداتِ الثَّواب والجزاء الموعود علىٰ الطَّاعة والعبادة حتىٰ تملُّوا أنتم، فإذا حصل منكم ذلك المَلَلُ انقطعَتْ عنكم وارداتُ الجزاء والثَّواب، وليس السببُ في انقطاع ذلك إلا مَلَلُكم.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: «**مَن رأىٰ منكم منكراً فليغيِّره بيده...**»، وهذا في حقِّ السّلاطين وأولياء الأمور، «**...فإن لم يستطع فبلسانه**»، وهذا في حقِّ العلماء والدُّعاة، «**...فإن لم يستطع فبقلبه**»، وهذا في حقِّ بقيّة المؤمنين، «**...وذلك أضعفُ الإيمان**»[٣]؛ لأنَّ أدنىٰ مراتب الإيمان الكراهيّة القلبيّة للمَعصية مع المفارقة وعدم المخالطة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» عن عمران بن حصين.

(٣) رواه مسلم وأحمد والأربعة عن أبي سعيد.

وقال، نفع الله به، في قوله ﷺ: **«مَن ماتَ لا يشركُ بالله شيئاً دخلَ الجنة، وإن زنىٰ وإن سرق»**(١) كرَّرَ ذلك ثلاثاً.

قال: لأنَّ من ثبَّت اللّٰهُ قلبه بنور الإيمان في الأزَل لا يضرُّه العصيان؛ لأنَّ الخاتمةَ تكون علىٰ مقتضىٰ السَّابقة، ولأنَّ ما كان من الأعمال الظاهرة يعملها الإنسانُ بقصد الدُّنيا وزهرتها ووجاهتها وأغراضها الفانية يُكتب في الصَّحيفة وينسلخ بانسلاخها والخروج عنها، وما كان من الأعمال يعملها العبدُ بقصد الـدَّار الآخـرة يُكتب في اللوح المحفـوظ ويبقىٰ ببقائها، وما كان يعمله بقصد وجه الله يكتب في أمِّ الكتاب عند الحقِّ تعالىٰ. واستدلَّ بقوله عليه الصـلاة والسـلام: **«إن أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنة. . .»**(٢). إلىٰ آخـر الحديث، وبقولـه تعالـىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]. اهـ.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ قوله ﷺ: **«العافية عشرة أجزاء، تسعةٌ منها في الصمت»**(٣)، قال: لأنَّ اللِّسان ترجمانُ القلب وهو رئيس الجوارح، ولأنَّ الجوارح كلَّها تكفُر اللِّسان تقول: **«إن استقمْتَ استقمنا وإن اعوججتَ اعوججنـا»**، ولأنّ الله لا يؤاخذ بما في القلـب من الخـواطر ونحـوه، وإنَّما يُؤاخـذ عبدَه بما تكلَّـم به، فإذا تكلَّـم بالسيىء انعكـسَ ظلامـه علىٰ القلب فيسري ضررُه علىٰ الجوارح. اهـ.

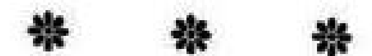
---

(١) متفقٌ عليه، ورواه أحمد عن ابن مسعود.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) تمامه: «والعاشر في العزلة عن الناس» رواه الديلمي في «الفردوس» عن ابن عباس.

وقال، رضيَ الله عنه، علىٰ حديث: «قلبُ المؤمن عرشُ الرحمن»: أي ليس فيه إلاَّ شهودُ فعل الله، كما أنَّ العرشَ لا يكون فيه إلا مجرَّد فعل الله كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أي: بمظهر فعلٍ وقدره، وإلا فالحقُّ تعالىٰ رفيع الدَّرجات عن العرش والكرسيِّ أو غيرها.



ومما نُقل عن الحبيب العارف عبد الباري بن شيخ العيدروس نفع الله به، آمين[١]

قال، رضيَ الله عنه، في قوله ﷺ: «علماءُ أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[٢]: الكاف تمثيليّة، أي أنبياء معنىً لا صورة، فلا ينبغي أن يُدعَىٰ أحدٌ بالنَّبي؛ لأنَّ النُّبوَّة انقطعت بنبينا ﷺ، أي صورتها، وأمَّا معناها فباقٍ لمن قام بالدَّعوة إلىٰ الله. قال القائل: [طويل]

فعالِمُنا مِنهُمْ نَبيٌّ ومَن دَعا إلَىٰ الحَقِّ مِنَّا قَامَ بالرُّسْليَّةِ

أي بالتبعيّة له ﷺ؛ لأنَّه حوىٰ لِمَا تفرَّق في الأنبياء والرُّسل، بل هم من نوره.

* * *

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) تقدم تخريجه وأنه لا أصلَ له.

فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

❁ ❁ ❁



زاوية العيدروس العلمية

بحوطة آل أبي علوي بتريم